الجمـهوريـة الجزائـريـة الديـمقراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد ـ تلمسان ـ
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم : الثقافة الشعبية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي
موسومة

تمثلات الشعر الشعبي للشخصيات السياسية
الشيخ بوعمامة ، ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة

إعداد الطالب : **إشـراف:**

سالم بن لباد أ.د. محمد سعيدي

أعضاء لجنة المناقشة

ـ أ.د. عبد الحق زريوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسـا
ـ أ.د. محمد سعيدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
ـ أ.د. مصطفى أوشاطر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضـوا
ـ أ.د. محمد بلوحي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بلعباس	عضـوا
ـ أ.د. بلحاج كاملي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بلعباس	عضـوا
ـ د. محمد بن سعيد	أستاذ محاضر – أ-	جامعة وهران	عضـوا

السنة الجامعية : 2012-2013

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

أهدي هذا العمل:

- إلى والدي رحمه الله
- إلى الوالدة أطال الله في عمرها
- إلى إخوتي
- إلى أهل بيتي: زوجتي وأبنائي أحمد زكرياء ورجاء فاطمة الزهراء
- إلى الحاج محمد وزوجته وأبنائه.

- إلى الأصدقاء: إسماعيل خربوش والدكتور بن عيسى عبد الحليم والأستاذ حسين خالفي...

شكر وعرفان

أتوجه بالشّكر إلى كلّ من أتاح لنا الفرصة للقيام بهذه الدّراسة، وأخصّ بالذّكر الأستاذ الدكتور محمد سعيدي الذّي وجهني وصبر عن عناء مراجعة وتصحيح هذا العمل، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذا البحث، وزاد كرمهم أكثر عندما تشرفوا بمناقشتهم البناءة له، كما أتوجه بالشّكر إلى كلّ من ساعدني من قريب أو من بعيد.

مقدمة

مقدمة:

مرّ الشّعر الشّعبيّ منذ نشأته بمراحل تاريخية مختلفة، تغنّى فيها الشّاعر بثقافته الشّعبيّة، ذاكرا أهمّ الأحداث في حياته، وكان الشّعر في كلّ الأوقات، الهواء الذّي استحال على الفرد الجزائري التنازل عنه، لأنّه جزء من حياته يعكس همومه، ويذكر آلامه وآماله، ويعبّر عن آفاقه ومستقبله.

ويعتبر الشّعر الشّعبيّ شعر العامة المنظوم بلغتهم الخاصة والمتناقل بينهم مشافهة، والذّي ينشأ في حضنهم، ويعبّر عن الطبقة الكادحة التّي تسعى إلى ضمان رزقها. فالشّعر يؤثّر ويتأثر بالأوضاع والأحداث التّي تميّز فترة إنتاجه، وقد يتأثّر بالأمور والعوامل السيّاسيّة، كما يتأثّر أيضا بالأحداث الاجتماعيّة واتجاهات الشّعراء الدينيّة.

وما يساعد الشّعر الشّعبيّ في الظهور والانتشار هو المناخ الثّقافيّ السائد في المجتمع الجزائريّ، وحضور الإنتاجات المعرفيّة الواعيّة، وتداول المعارف بين الأجيال، ووجود تلك المؤثّرات الثّقافيّة المختلفة التّي ورثها الشّاعر عن الأجداد والمتمثّلة في العادات والتقاليد، والطبائع الشّعبيّة التّي لها دور فعّال في المجتمع الجزائريّ، فالثّقافة الشّعبيّة من هذا المنطلق هي أساس القاعدة الشّعبيّة، ومعيار اجتماعيّ وتوتر تعبيريّ الذّي تنتج عنه ثقافة الفرد في المجتمع.

والشّعر الشّعبيّ باعتباره شكلا أدبيّا، فهو وسيلة لمعرفة الواقع النّفسي والاجتماعي، والكشف عن مختلف العقليات التّي نشأت في حضن الثّقافة المحليّة، والتّي مثّلها الشّاعر الشّعبيّ بالألفاظ ذات الدّلالات السوسيوثقافية. فهو يعكس كلّ التمثّلات الفرديّة والجماعيّة للواقع المعاش، والمتمثّلة في التّطلعات والمعتقدات ونظرتهم في الحياة.

لقد وقع اختيارنا في هذا البحث على مجموعة من القصائد الشّعبيّة لشعراء شعبيّين من عدّة مناطق في الجزائر، الذّين تجمعهم بنيّة ثقافيّة وحضارة واحدة، ويعملون على تشكيل أدبيّ واحد، وحاولنا إبراز أهمّ التمثّلات الشّعريّة للشّخصيّات السيّاسيّة، بعد أن اخترنا ثلاث شخصيّات سيّاسيّة معروفة في تاريخ الجزائر، وكان هذا الاختيّار مبنيّ حسب فترات زمنيّة متعاقبة، وكلّ فترة تمثّلها شخصيّة من هذه الشخصيّات الثلاثة.

وعلى هذا الأساس ورد عنوان البحث على الشكل الآتي: " تمثّلات الشّعر الشّعبيّ للشّخصيّات السيّاسيّة (الشّيخ بوعمامة، وابن باديس، وعبد العزيز بوتفليقة)، أمّا الإشكاليّة المطروحة حول الموضوع فهي: ما مدى تأثير الشّخصيّات السيّاسيّة على الفكر الشّعبيّ؟ وما هي أهمّ التمثّلات الشّعريّة التّي صوّرها الشّاعر الشّعبيّ حول الشخصيّات السياسيّة الثلاثة؟ وكيف رسم الشاعر هذه الشخصيات في المخيال الشعبي ؟

حاولنا الإجابة عن هذه التساؤلات وتساؤلات أخرى بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النّصوص الشّعريّة.

وهكذا رسمنا خطّة البحث في مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة:

فالمدخل عبارة عن تحديد للمصطلحات التّي لها علاقة بالعنوان، كتحديدنا لمفهوم كلّ من التمثّل والشّعر الشّعبيّ، والشّخصيّة، إضافة إلى العلاقة بين بعض المصطلحات الموجودة في المضمون، كعلاقة الشّعر بالتّاريخ وعلاقة الشّخصيّة بالسيّاسة والثّقافة والمجتمع...

أمّا فيما يخص الفصول الثلاثة، فقد حددنا كلّ فصل بشخصيّة سيّاسيّة وجاءت معنونة على الشكل الآتي:

- **الفصل الأول**: دراسة بعض التّمثّلات حول شخصيّة الشّيخ بوعمامة، والتّي حصرناها في ثلاثة أبعاد أساسيّة: بعد دينيّ ثقافيّ، وبعد اجتماعيّ، وبعد سيّاسيّ.

- **الفصل الثاني**: خصصناه للتمثّلات الشّعريّة الشّعبيّة لشخصيّة ابن باديس، وحددناها في ثلاثة أبعاد؛ بُعد إصلاحيّ ثقافيّ دينيّ، وبعد إصلاحيّ اجتماعيّ، وبعد إصلاحيّ سيّاسي.

- **الفصل الثالث**: وخصصناه للتّمثّلات الشّعريّة الشّعبيّة لشّخصيّة عبد العزيز بوتفليقة، وحصرناه في ثلاثة أبعاد أيضا: البّعد الثّقافيّ، والبّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ، والبّعد الإصلاحيّ السيّاسيّ.

أمّا الخاتمة فهيّ عبارة عن مجموعة من النتائج المتحصل عليها عن طريق دراسة موضوع التّمثّلات للشّخصيّات السيّاسيّة.

ومن بين الأسباب التّي دفعتنا لاختيّار هذا الموضوع نذكر سببيّن: الأول موضوعيّ، والثّاني ذاتيّ، أمّا الأوّل يتمثّل في وفرة القصائد الشّعبيّة التّي ذكرت الشّخصيّات السيّاسيّة الثلاثة المحددة للبحث، ونخصّ بالذّكر الشّيخ بوعمامة وعبد العزيز بوتفليقة، ومحاولة منّا جمع مجموعة شعريّة لا بأس بها، قصد إفادة الباحثين في هذا المجال.

أمّا السبب الذاتيّ فيتمثّل في سبب واحد رئيسيّ هو إكمال العمل الذّي بدأناه في رسالة الماجستير-الموسومة تحت عنوان " **تمثلات الشعر الشعبي لشخصية الأمير عبد القادر**" الصادرة سنة 2009 عن جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان - قصد إضافة أشياء كنّا قد أهملناها سهوا أو جهلا منّا بأهمّيتها في إثراء ذلك العمل، ونقوم بمحاولة ثانيّة لعلّ وعسى أن نفيد بها الباحثين المقبلين على مثل هذه الدّراسات.

أمّا الهدف الذي نسعى للوصول إليه من خلال معالجة موضوع التمثلات في الشعر الشعبي، يتمثل أولا في إعطاء نظرة إيجابية عن البحث في مجال الشعر الشعبي خاصة و الأدب الشعبي عامة، وإبراز الدّور الذي لعبه الشاعر في الحياة الاجتماعية و السياسية والثقافية.

واجهنا بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث، نذكر منّها قلّة الكتابات الشّعريّة الشّعبيّة حول شخصيّة ابن باديس رغمّ شهرته في المجال العلميّ والإصلاحيّ، حيث اعتمدنا على بعض القصائد التّي تعد على أصابع اليد، منّها قصيدة "ابن باديس" للشّاعر الشّعبيّ عمر موسى، وهي القصيدة الوحيدة التّي لم تطبع، حصلنا عليها عن طريق الشّاعر نفسه، أمّا باقي القصائد فهي موجودة في بعض المصادر النّادرة، وخاصة المجلات الخاصّة بالمتلقيّات الشّعريّة المقامة بالجزائر، والتّي من الصعب الحصول عليها إلاّ بالاتصال بالشّعراء مباشرة، أو بالأساتذة المشاركين في هذه التّجمعات.

اعتمدنا على بعض المصادر منّها المتوفرة ومنّها النّادرة، خاصة التّي تتعلق بالنّصوص الشّعريّة مثل: **"ديوان من وحي الوئام"** لأحمد بوزيان،

وكتاب **"الشّاعر محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة"** للعربي بن عاشور. كما اعتمدنا على مجموعة من الدراسات في الأدب الشعبي ككتاب **"دور الشعر الشعبي في الثورة(1830م-11945م)"** للدكتور التلي بن الشيخ وكتاب **"الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى"** للعربي دحو وكتاب لعباس الجراري و المعنون**" بالزجل في المغرب(القصيدة)"** .واعتمدنا أيضا على بعض المراجع الفلسفية و النفسية و التاريخية نذكر منها كتاب**"سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتوبولوجية النفسية"** لأحمد نعمان، وكتاب **"الإنسان والتاريخ (أثر التاريخ و تأثره بسيكولوجية الفرد)"** لكريستين نصّار، وكتاب **"علم النفس الشخصية"** لكامل محمد عويضة الذي راجعه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي.

وختاما لهذا البحث، نتمنى أن نكون قد وفّقنا، ولو بالقليل في إعداد هذا البحث، وأن يضيف هذا العمل الجديد لدى الباحثين في مجال دراسة الشّعر الشّعبيّ.

المدخل: تحديد المصطلحات

1- المبحث الأوّل: تعريف التّمثّلات

2- المبحث الثّانيّ: تعريف الشّعر الشّعبيّ

3- المبحث الثّالث: تعريف الشّخصيّة

4- المبحث الرابع: الشّخصيّة والتّاريخ

5- المبحث الخامس: الشّخصيّة والثّقافة

6- المبحث السادس: الشّعر والشّخصيّة

7- المبحث السابع: الشّعر والسيّاسة

8- المبحث الثامن: الثّقافة والمجتمع

1) المبحث الأول: تعريف التّمثّلات

يمكن تحديد مفهوم التّمثّلات من خلال ما يتضمنه المصطلح من أبعاد، ومن خلال تحديد المعنى اللّغويّ والمعنى الاصطلاحي، بالإضافة إلى بعض المفردات التّي تقترب في المعنى العامّ للتّمثّلات.

1- المعنى اللّغويّ:

"التّمثّلات" في اللّغة جمع تمثّل؛ و"التمثّل" كلمة مشتقة من "المِثْلِ والمَثِيلْ". جاء في معجم مقاييس اللّغة لأبي الحسن أحمد بن فارس في باب الميم والثاء وما يثلثهما أنّ «الميم والثاء واللام أصل صحيح يدّل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره والمِثْلُ والمِثالُ في المعنى واحد، ومَثَّلَ به، إذا نكَّل وهو من هذا أيضا لأنّ المعنى فيه أنّه إذا نكّل به جعل ذلك مثلا من صنع ذلك الصنيع»[1].

وقد أورد ابن منظور في لسان العرب تعريف المَثَل بقوله: «المَثَل: الحديث نفسه، وقوله عز وجل: (لِلّذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وِللَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) [سورة النحل الآية 60]، وقال ابن سيده: وقد مَثَّلَ به وامْتَثَلَهُ وتَمَثَّلَ به تَمَثُّلَهُ، وامْتَثَلَ القومُ وعند القوم مثلاً حسناً وتَمَثَّلَ إذا أنشد بيتا ثمّ آخر ثمّ آخر وهي الأمثولة وتَمَثَّلَ بهذا البيت وهذا البيت بمعنى.

ويقال: تَمَثَّلَ فلان ضرب مَثَلاً وتَمَثَّلَ بالشيء ضَرَبَهُ مثلاً»[2].

أمّا "لاروس" فيجعل «التمثّل من "مَثَلَ يَمْثُلُ مُثُولاً"، ومَثَلَ التَماثِيلَ أي صورها، ومَثَلَ الشيء بالشيء أي شبهه به وكذلك من تَمثَّلَ يَتَمَثَّلُ تَمَثُّلاً، وتَمَثَّلَ الشيء له يعني تصور له وتشخَصَهُ، وتَمَثَّلَ بالشيء ضربه مَثَلاً، وتَمَثَّلَ به: شبه به»[3].

---

1 – أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج5، طبعة اتحاد الكتاب العرب، 2002م، ص227.

2 – ابن منظور، لسان العرب طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، الجزء13، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999، مادة (مثل) ص24,23,22.

3 –لاروس، المعجم العربي الأساسيي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، بيروت، 1991م، ص117.

تدلّ هذه التّعاريف على أنّ التَمَثّلَ والتمْثِيل متقاربان، فهما يشتركان في حضور صورة الشّيء أو الشّخص في ذهن الملتقي؛ لأنّ «التَمْثِيلُ: تصوير الشيء كأنّك تنظر إليه، والتِّمْثَالُ: اسم الشيء المُمَثَّل المُصَوِّر على خلقه غيره»[1].

وعرّفه الزبيدي على أنّه: «وقد مَثَّلَ به تَمْثيلاً وامْتَثَلَهُ وتَمَثَّلَهُ، وتَمَثَّلَ به...على أنّ هذا قد يجوز أن يريد به تَمَثَّلَ بالأمثال...وتَمَثَّلَ بالشّيء: ضربه مثلا، يقال: هذا البيت مثلٌ يَتَمَثَّلُهُ، وَيَتَمَثَّلُ به... ومَثَّلَهُ لَهُ تَمْثيلاً: صوّرهُ له بكتابة أو غيرها حتى كأنّه ينظر إليه، وامتثله هو: أي صوّره... قال تعالى: "فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" [سورة مريم الآية 17] أيّ تصوَّرَ»[2].

من خلال هذه التّعريفات يمكن تحديد المعنى اللّغويّ للتّمثّلات، بأنّها تصوير الشّيء بالكتابة ونحو ذلك، كأنّك تنظر إليه، فهو التّشبيه بحيث يحظر الشّيء المراد تمثّله في مخيّال الفرد، بواسطة الكتابة أو اللّغة عند الكلام.

2-**المعنّى الاصطلاحيّ**:

قد يختلف المفهوم الاصطلاحيّ للتّمثّلات عند الباحثين حسب مجال البّحث والدّراسة، وقد عرّف المصطلح في عدّة دراسات أهمّها:

أ-الدّراسات التعليمية: اهتمّ أصحاب هذه الدّراسة بتحديد مفهوم التّمثّلات، حيث نجد تعريفا لـ "أصطولفي Astolfi" يقول: «التّمثّلات هيّ عمليّة فكرية صعبة بالنّسبة للمتعلّم، والتّي تتوقف خصائصها على تنظيم المعارف في الذّهن، وعلى العوائق الخاصّة بكلّ حقل معرفيّ للترميز الذّي يكتسبه المتعلّم انطلاقا من الوضعيّة والتّفاعلات الفرديّة»[3].

1 – أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السمرائي، دار مكتبة الهلال، ج8، (د.ط) (د.ت)، مادة (مثل) ص229.

2 – محمد بن محمد أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، (د.ط) (د.ت)، مادة (مثل) ص380.

3 – عزام مصطفى، أهمية التصورات في التكوين الأساسي للمعلم البصريات نموذجا، سلك مفتشي التعليم الابتدائي، (د. ط)، 1997، ص149.

ب- الدّراسات السوسيّولوجيّة: التّمثّل عند الباحث في مجال علم النّفس الاجتماعيّ هو: «بناء فكريّ للشّيء وللحقيقة ويشكل إحدى الأدوات التّي تمكن الفرد أو المجموعة من إدراك المحيط»[1].

ج- التعريف التركيبيّ: يعرّف ديبون C.dupont التّمثّل أو التّمثّلات كما يلي: نعتبر التّمثّلات كبنيّات فكريّة تحتيّة في كلّ سيرورة ديداكتيكية لبناء المعرفة، وتشكّل نموذجا تفسيريّا وشبكة لتحليل الحقيقة، كما تجد مصدرها في كلّ ما هو وجدانيّ ومعرفيّ واجتماعي»[2].

وما يمكن القول من خلال هذه التّعريفات إنّ التّمثّلات بنيات فكريّة تفسّر الظواهر الاجتماعيّة والثّقافيّة والسياسية الموجودة في المحيط الذّي يعيش فيه الفرد، وهي أيضا عبارة عن استحضار لشخصيّات دينيّة أو تاريخيّة أو سيّاسيّة من الذّاكرة العامّة للمجتمع إلى ذهن الفرد، وبذلك يستوعب فيها الذّهن تلك المعطيّات الواقعيّة التّي تنشأ علاقة بين الفرد والشّخصيّة التّي يتمثّل بها.

3) **خصائص التمثّل**: يشترط في عملية التمثل وجود العناصر الآتية:

أ-**الموضوع**: من شروط التمثل وجود الموضوع، حيث تتفاعل الشخصية والعالم الداخلي للموضوع، لوجود علاقة بين الشخصية محل التمثّل، وهذا العالم الذي سميناه الموضوع.

ب-**الرّمز ودلالته**: تعدّ الأساليب الرّمزية ودلالتها من بين شروط التّمثل، والتّي تعطينا الصورة الحقيقية للتّمثّلات الشّعرية في القصيدة الشّعبية، لأنّ الخطاب الشّعريّ الشّعبيّ يعبّر عن الواقع البشريّ بصوره الذّهنية المختلفة ذات البناء الذّاتي والرّمزي، والذّي يعكس الواقع الاجتماعيّ والسيّاسيّ والثّقافيّ والدّينيّ...

إنّ الخطاب الشّعري الشّعبي وعاء من الصور الرّمزية التّي تدلّ على الأشياء الموجودة في العالم المحيط بالشّاعر، والتّي تدلّ عليها الألفاظ والجمل من خلال إعطائها المعنى الخفيّ الذّي يسعى إلى حضور الأشياء المرموز إليها بذاتها في المخيال الشّعبي للمتلقي.

1– J.P Astolfi et M.Develay, La didactique des sciences, PUF, paris, 1989, p 3-6.
2– L.Benouri et autres, Les représentations, C.F.I.E, section section naturelles, 1994,p 3-6.

ج-**التخيّل**: وهو تصوير الواقع في المخيال الشّعبيّ نتيجة البحث عن حلول للأحداث الاجتماعيّة، السيّاسيّة والثّقافيّة...، والتّي تسهم بشكل أو بآخر في إحياء موضوع التّمثّل في القصيدة الشّعريّة الشّعبيّة.

فالتّخيل آلية «تشتغل بآليات مختلفة تتحكم فيها الظروف السوسيو-ثقافية، وإذا أصبح من البديهي القول إنّ الفعل التخيّيلي يتجاوز الواقع»[1]. فمن المنطقي القول إنّ الانتفاء بالتخيّل في الشّعر الشّعبيّ يجعل من الواقع موضوعا له ويسهل على الشّاعر استحضار الذكريات وتصويرها في قالب شعريّ.

2) المبحث الثاني: تعريف الشّعر الشعبي

قد يصادف الباحث في مجال الأدب الشعبي مجموعة من الكتابات التّي تنظر إلى القصيدة الشّعرية على أنّها الزّجل أو الملحون أو الشّعر الشّعبيّ، وقد تتفرع من هذه التسميات الأساسية تسميات أخرى حسب النّص الشعري، مثل: المبيت، أو الموشح، أو القصيدة.

ومن بين المصطلحات التّي جلبت اهتمام الباحثين مصطلح "الملحون"؛ لأنّه أكثر شيوعا وشهرة، وقد عرّفه المرزوقي بقوله: «إنّ الشّعر الملحون الذّي نريد أن نتحدث عنه اليوم، فهو أعمّ من الشّعر الشّعبيّ، إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية، سواء معروف المؤلف أو مجهوله، وسواء دخل في حياة الشّعب فأصبح ملكا له، أو كان من شعر الخواص، وعليه فوصف الشّعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحن يلحن في كلامه أي أنّه نطلق بكلام عاميّ أو بلغة عامية غير معروفة»[2].

والملاحظ في هذا القول أنّ المرزوقي قد ألمّ على التّعريف، كما يبدو هذا التعريف هو الأصّح، لكن النقطة التّي تثير الانتباه هي أن الشّعر الشّعبيّ لا يخضع لقواعد اللغة من نحو وصرف، وهو ما أشار إليه عبد الله ركيبي: «لمّا كان الشّعر الملحون- في معظمه- تقليدا للقصيدة المعربة فإن الفرق بينه وبينها

1 – د.آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص51.

2 – محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط5، 1967م، ص51.

هو في الإعراب، فهو إذن من "لحن" في الكلام إذا لم يراع الإعراب والقواعد اللّغوية المعروفة»[1].

فاشتقاق كلمة الملحون من "لحن" تعطينا فكرة أنّ الشّعر الملحون يستعمل لغة غير سليمة، كما يدلّ على أنّه إنتاج شعريّ نظم من أجل الغناء واللّحن.

أمّا محمد عبده غانم فقد أشمل في تعريفه عن تعريف المرزوقي عندما قال: «تستعمل كلمة الملحون تابعة لكلمة "حميثي" أو بدلا منّها للدّلالة على الشّعر الذّي لا يلتزم بقواعد اللّغة الفصحى»[2].

وهذا يعني أنّ القصيدة الملحونة تتميّز بخصائص القصيدة الفصيحة، لكن نقطة الاختلاف كانت في عدم الالتزام بقواعد الإعراب، وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى هذه نقطة أيضا لمّا ميّزه عن الفصيح ببنائه المخالف لقواعد اللّغة والقريب من العامية وبين سبب نشأة هذا النوع، حين قال: «كانوا يقرضون الشّعر في سائر الأعاريض...ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشّعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء...»[3].

وحاول عباس الجراري أن يوحِّد الاسم في أغلب الأقطار العربية بإطلاق كلمة "الزّجل" على ما أطلقه غيره بالملحون، لكن علميّا فإنّ الدّراسات الأدبية محصورة في كلّ الأقطار العربية بين الأقاليم الضيّقة، ولكلّ جهة خاصيّة تميّزها عن الأخرى، لذلك لا يمكن أن يكون هناك توحيد؛ لأنّنا لو بحثنا عن التسميّة في أقطار العالم العربي، لعثرنا على مجموعة من التّسميّات مثل: "الزّجل"، "الحميني"، "الموّال"، و"المبيت"، و"الموشّح" وغيرها.

وقد نجد الباحثين في مجال الشّعر الشّعبي يفضّلون بعض التّسميات على البعض الآخر، فمحمد المرزوقي مثلا يفضِّل اسم "الملحون" عندما يقول: «فوصف الشّعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحن "يلحن" في كلامه؛ أيّ أنّه نطق بلغة عاميّة غير معربة. أمّا وصفه بالعاميّ فقد ينصرف

1 – د.عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي)، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، (د.ط)، 2009م، ص361.

2 – د. محمد عبده غانم، شعر الغناء الصنعاني، دار العودة، بيروت، ط2، 1980م، ص55.

3 – ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، المجلد2، ص582.

معنى هذه الكلمة إلى عامية لغته، وقد ينصرف إلى نسبته للعامة، فكان وصفه بالملحون مبعدا له هذه الاحتمالات»[1].

أمّا عباس الجراري فيفضل مصطلح الزّجل بقوله: «فإنّنا نفضّل إطلاق الزّجل على كلّ أنواع الشّعر الشّعبي المغربي وندعو إلى هذه التّسمية بدلا من أيّ تسميّة أخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع والانتشار»[2].

لكن عبد الله ركيبي يخالف عباس الجراري في إطلاقه الزّجل على الشّعر الشّعبيّ باعتبار أنّ الزّجل خليط من العامية والفصحى، وهو يميل إلى إطلاق مصطلح "الملحون" على الشّعر؛ لأنّ التسمية بالنسبة له: «لا تتعارض كثيرا مع بقية المصطلحات، فهي وإن اختلفت معها في بعض ما ذكرنا فإنّها تتفق معها في السمة الغالبة على هذا الشّعر، وهي أنّ روحه ولغته عاميّة في معظمها، ولكنّها تعدّ تسمية خاصة بالقياس إلى مصطلح "الشّعر الشّعبيّ" مثلا، الذّي هو أعمّ وأشمل من المصطلحات الأخرى»[3].

إنّه من الصعب تقديم تعريف موحد وأحاديّ للشّعر الشّعبي؛ لأنّ معظم التعاريف السابقة تثبت أحقية التسمية للمصطلح عن آخر، لكن الرأي الصواب هو لكلّ منطقة وتسميتها الخاصة.

وأوّل من استعمل كلمة "الشّعر الملحون" بدلا من "الزّجل" هو المؤلف ابن سعيد «فبعد إعطاء مثالين عن الزّجل لأحد الشعراء الأندلسيين الذّين عاشوا في عهد الموّحدين ذكر بأنّ هذا الأخير له شعر ملحون على الطريقة العامة»[4].

أمّا عن نشأة الشّعر الشّعبي وظهوره الأوّل في الجزائر، فهو محلّ خلاف بين الباحثين، ويرجع ذلك للإهمال الذّي لحق الشّعر الشّعبي من طرف المؤرخين الذّي سكتوا عن ذكر الشّعر الشّعبي رغم معايشتهم فترات ظهوره، لكن معظم آراء الباحثين تحدد فترة ظهوره في الجزائر بعد دخول الفاتحين الإسلاميين العرب، «وأرجع البعض هذه الظاهرة إلى أنّ هذه الإبداعات ليست وليدة اختراع

1 – محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، ص51.
2 – عباس الجراري، الزجل في المغرب" القصيدة، مطبعة الأمنية، المغرب، ط1، 1970م، ص54.
3 – عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص364.
4– Tahar Ahmed, La poésie populaire Algérienne: Rythme, mètre et Forme, Alger: SNED, 1975, p12.

من طرف فرد معين، وإنّما يتعلق الأمر بعادة كلامية طويلة الأمد وبطيئة التبلور»[1].

يرى عبد الله ركيبي أنّه من الصعب أن نحدِّد «عصراً معينا لنشأة هذا الشّعر في الجزائر أو في غيرها من البلدان العربية، فبعض الباحثين يرجعون نشأة الشّعر العاميّ إلى عصور موغلة في القدم، إلى تلك اللّهجات العربية التّي ربّما ظهر بعضها في العصر الجاهليّ»[2].

هذه اللّهجة دخلت إلى الجزائر في فترة الفتوحات الإسلامية، وانتشرت أكثر بدخول الهلالين وبني سليم إلى الجزائر حاملين معهم عدّة لهجات، اختلطت بدورها باللّهجة الأمازيغيّة عن طريق المصاهرات بين العرب والأمازيغ، ممّا أدّى إلى اختلافها من منطقة إلى أخرى؛ فالجزائر لم تستقل على سياسة موحدّة بسبب التقسيم الفاصل في فترة سابقة، بما أنّ المنطقة الشرقية كانت تابعة للأغالبة والحفصيين. أمّا المنطقة الغربية فكانت تابعة للزيانيين، وفي فترة أخرى كانت المنطقة الشرقية تابعة للحماديين الصنهاجيين، والمنطقة الغربية كانت للمرابطين والمرينيين والأدارسة، وهذا من الأسباب الأساسية في عدم توحيد الجزائر سياسيّا وثقافيّا واجتماعيّا...

وخلاصة القول إنّ الشّعر الشّعبي المعروف في الجزائر دليل على تأثير الحضارة العربية والإسلامية؛ لأنّ مصدره الزّجل الأندلسي. أمّا تسميته بالشعر الملحون فقد يختلف في الدّلالة بين المفهوم في القرن السابع والشعر الملحون في الوقت الحاليّ، باعتبار أنّ الأول يطلق على الشّعر المتداول في الحاضرة. أمّا الثاني فهو شعر بدويّ التداول، وبعيد عن المصطلحات التّي تطلق على الشّعر الشّعبيّ، يمكن تعريف الشّعر الشّعبيّ بأنّه «ذاكرة الشعب التي تختزن همومه وأشواقه، وهو الصّورة الحقيقية لواقعه المعيشيّ، يصاحبه في أفراحه، فيعبّر عن النّشوة العارمة التّي تهزّه، وهو يأخذ من حياته نصيبا من البهجة، ويواكبه في

1–Tahar Ahmed, IBID, p09.

2– عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 365.

صراعاته اليومية، وهو يبذر ويحصد، ويصارع الصّخر في الجبال والعواصف والبحار»[1].

كما يمكننا التميّيز بين الشّعر الشّعبيّ والأشكال الأدبية الأخرى بالخصوصية المتمثلة في أنّه شعر شفويّ، مجهول المؤلف، أُلِّف للغناء والتّلحين، متناقل من جيل لآخر عن طريق الرّواية الشفوية.

وقد ميّز التلّي بن الشيخ الشّعر الشّعبي بخاصية اللّحن فهو يرى: «بأنّ ليس هناك خصوص وعموم بين أنواع الأدب الشّعبيّ، أضف إلى ذلك أنّها تخص النّطق بصورة خاصة»[2].

ويركز عبد الله ركيبي على نقطتين أساسيتين في تعريفه للشّعر الشّعبيّ، واللتّين يراهما مناسبة، «فقد توحي بأنّه مجهول المؤلف والشائع، وأنّ صفة الشّعبيّة وحدها في الأدب تنصرف إلى ما له عراقة وقدم، والحقيقة أنّ الاعتماد على صفة الشّعبيّة وحدها، وعلى معرفة المؤلف أو عدم معرفته لا تكفيان لنفيّ مصطلح الشعبيّ على هذا الشّعر، وتبقى هذه المصطلحات يتداولها الدّارسون بين الشّعبيّ والملحون»[3].

وبذلك يمكن الخلاص إلى أن الشّعر الشّعبي هو تصوير وتعبير عن وجدان الشّعب؛ لأنّه يعكس معاناته وآلامه وآماله وقضاياه المختلفة، ويستعمل لغة سقط عنها الإعراب والصرف والمعجم، وهذا ما تحدث عنه العربي دحو قائلا: «لو أنّ المسألة كانت خاصة بالنحو والصرف لأمكن نفي هذا الاسم عن هذا الشّعر، أو لأمكن لنا عدّ بعض الشّعراء المدرسيين في عداد الشعراء الشعبيين؛ لأنّ الأخطاء النحوية والصرفية لا تخص الشّعر وحده كما لا تخص الشّعراء الشّعبيّين وحدهم بل يشترك فيها المدرسيون والشعبيّون»[4]. ومن خلال

1 – محمود هني، الأدب الشعبي، مفهومه، مضمونه، دار الأدب العربي للطباعة، سنة 1972م.المقدمة نقلا عن شعيب مقنونيف، مباحث في العشر الملحون الجزائري(مقاربة منهجية) منشورات مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، ص47.

2 – التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة (1830-1945م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص372.

3 – عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص363.

4 – العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1989، ص26.

هذا لا يمكن أن تفصل اللّغة بين مفهوم القصيدة الشّعبية والقصيدة الفصيحة؛ لأنّ الشّاعر الشّعبيّ لم يكن جاهلا للّغة العربية الفصيحة، ولم يكن جاهلا لقواعدها؛ بل كان حافظا للقرآن الكريم مثقفا دينيا ولغويا، أمثال الشيخ السماتي والعربي بلخير وابن قيطون... فاللّغة وسيلة أو أداة يستعملها المبدع الشعري للاتصال والتواصل بالقارئ، ينقل من خلالها المعانيّ والأفكار والأحاسيس إلى المخيّال الشّعبي.

وقد ميّز عبد الله ركيبي بين ثلاثة أنواع لغويّة في القصيدة الشّعبيّة وهي:

أ- اللّغة المتفاصحة التّي تقترب عن الفصحى.

ب- العاميّ الخالص: والمتداولة في الحديث العادي بين أفراد المنطقة.

ج- اللهجة البدوية والمعروفة عند شعراء البدو، وهي مزيج بين المتفاصحة والعامية[1].

وقد استعملت هذه اللّغة لأنّها الآلية الوحيدة التّي لها القدرة على نقل الأفكار ودلالاتها إلى المتلقي بالصّورة الرّمزيّة والإيحائيّة العميقة والبسيطة.

3 - المبحث الثالث: تعريف الشخصية

أ- **لغة**:

ورد تعريف الشخص في كتاب العين بأنّه «سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكلّ شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، وجمعه الشُّخوص والأشخاص... وقد شَخَصَ يَشْخُصُ شُخُوصًا وأَشْخَصْتُهُ أنا، وشَخَصَ الجرح: ورم. وشَخَصَ ببصره إلى السماء: ارتفع، وشَخَصَتِ الكلمة في الفم، إذا لم يقدر على خفض صوته بها، والشَّخِيصُ: العظيم الشَّخصِ»[2].

أمّا ابن منظور في لسانه فيعرّفه بقوله: «الشَّخْصُ: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكّرٌ، والجمع أشخاص وشُخُوصٌ وشِخَاصٌ...والشَّخص: كلُّ جسم له ارتفاع وظهورن والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشَّخْصِ...وشَخُصَ

1 – انظر: عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص539.
2 – أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، ص 165.

الرجل، بالضَّم، فهو شخِيصٌ أي جسيم، وشَخَصَ بالفتح، شخوصًا: ارتفع، ابن سيدة: وشخص الشيء يشخص شخوصا انْتَـبَرَ.

والشُّخُوصُ: ضدُّ الهبوط، وشَخَصَ السهمُ يَشْخُصُ شُخُوصًا، فهو شاخِصٌ، علا الهدفُ»[1].

ب- **اصطلاحا**:

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الشّخصيّة لاختلاف مجال الدّراسة، وضمن المنظور الاجتماعيّ تُعرَّف الشخصيّة بأنّها «التصرفات أو السلوك الصادر عن الشخص، وأورد بعض هؤلاء أسبابا بيئية مكتسبة لهذه التصرفات كأسلوب التربية في الأسرة، ولم ترد أي استجابة تشير إلى احتمال وجود أساس وراثي للشخصية»[2].

ويمكن أن نحدد مفهوم الشخصية بأنّها: «الصفات التّي تميّز الإنسان عن غيره، من النّواحي النّفسيّة والعقليّة والعلميّة»[3].

وأغلب التعريفات من المنظور الاجتماعي تصبّ في تعريف "هول لندزي" الذّي حصرها في معنيين: «أولهما المهارة الاجتماعية والحذق، وثانيهما يرى أن شخصية الفرد تتمثل في أولى الانطباعات التّي يخلقها في الآخرين وأبرزها، كأن نقول: شخصية عدوانيّة أو شخصية مستكينة، وهكذا»[4].

أمّا من المنظور الفلسفيّ، فيرى الباحثون أنّ الشخصيّة موضوع معقّد، ويعود سبب هذا التّعقيد كون الشخصيّة تشمل جميع الصّفات الجسمية والعقلية والوجدانية والخلقية في حالة تفاعلها وتكاملها في شخص معيّن.

أمّا عند علماء النّفس فيمكن أن نذكر بعض التعريفات:

1 – ابن منظور، لسان العرب، مادة (شخص)، ص46,45.
2 – د. أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط4، 1987، ص34.
3 – المرجع نفسه، ص35.
4 – د. أحمد محمد عبد الخالق، المرجع السابق ، ص37.

1- تعريف جوردون ألبورت Allport: «الشّخصيّة هي التنظيم الدينامكي داخل الفرد لتلك الأجهزة النّفسية الجسمية التّي تحدد طابعه الخاص في توافقه لبيئته»[1].

2- تعريف جيلفورد Guilford: «شخصية الفرد هي ذلك النموذج الفريد الذّي تكوّن منه سماته»[2].

3- تعريف ريموند كاتل Cattell: «الشّخصيّة هي ما يمكننا من التنبؤ بما سيفعله الشخصي عندما يوضع في موقف معين...إن الشخصية تختص بكل سلوك يصدر عن الفرد سواء أكان ظاهرا أم خفيا»[3].

4- تعريف أيزنك Eysenk: «الشّخصيّة هي ذلك التنظيم الثابت والدائم إلى حدّ ما، لطباع الفرد ومزاجه وعقله وبنيّة جسمه، والذّي يحدد توافقه الفريد لبيئته»[4].

قد تلتقي تعريفات الشخصية بين المفهوم الأنثروبولوجي ومفهوم علم النّفس فالتعريف الأنثروبولوجي للشّخصية يمثّله "يوسف مراد" بقوله: «الشّخصيّة هي الصّورة المنظمة المتكاملة لسلوك فرد ما، يشعر بتميّزه عن الغير، وليس مجرد مجموعة من الصّفات وإنّما تشمل في الآن نفسه ما يجمعهما، وهي الذّات الشاعرة وكلّ صفة مهما كانت ثانوية تعبّر إلى حدّ ما عن الشّخصية بكاملها...»[5].

فنقاط الالتقاء بين التعريفين الأنثروبولوجي وعلم النفس، يكون في أنّ الشّخصيّة هي سلوك الفرد، لكنّ الأنثروبولوجيين يربطون هذا السلوك ويجعلونه ذا علاقة وطيدة بالمجتمع، ويهتم كذلك بالأفعال الصادرة عن الشخصية، ويحصرون تكوّن ونموّ الشخصية، بالتّفاعل الموجود بين الأفراد فلن تكون هناك شخصية دون مجتمع.

1 – المرجع نفسه ، ص39.
2 – المرجع نفسه، ص40.
3 –المرجع نفسه، ص40.
4 – د. أحمد محمد عبد الخالق، المرجع السابق ، ص40.
5 – د.عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 240، ص44.

يؤكِّد هذا التعريف أحمد نعمان بقوله: «هيّ ذلك الطابع العام المميّز، والثابت-نسبيا- المكون من مجموع الصفات الجسمية والنّفسية المتكاملة في انتظام، وديناميكية، والمتكيّفة مع البيئة الاجتماعية والطبيعية، التي يعيش فيها الفرد وتبادل التأثير معها»[1].

وكان الاهتمام بدراسة الشخصية في المجال الأنثروبولوجي على يد "إدوارد سابير" Edward Sabir في مقال نشره في مجلة علم النفس الاجتماعي سنة 1943م.

وعالج سليجمان SELIGMAN هذا الموضوع في إنجلترا، وذلك من خلال مقال نشره بمناسبة تعيينه رئيسا للمعهد الملكي الأنثروبولوجي، ويدور هذا المقال حول العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس. كما تناول ليفي ستراوس Levi Strauss هذا الموضوع في المقدِّمة التي صدر بها مقالات مارسيل موسmauss[2].

أمّا في المجال الأدبي والنقدي فتعرف "الشخصية" على أنّها الكائن الورقيّ الذي يبدعها الكاتب في أعماله الأدبية، فهي «التعبير عن قيمة حيّة عاقلة ناطقة، فكان المعنى إظهار شيء، وإخراجه وتمثيله وعكس قيمته...»[3].

والشخصية حسب مصطفى السيوفي «عالم معقد شديد التركيب، متباين الأنواع...تتعدد بتعدد الأهواء والمذاهب، والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية والأفكار المذهبية. والحق أنّه ليس لتنوعها وتباينها واختلافها من حدود»[4].

فالشّخصيّة في الرّواية كائن ورقي حيّ يرسمه الرّوائي ويتفنن في إبداعه وإعطائه الدّور الأهمّ والمناسب. ولها في الرواية «منزلة عظمى في الحياة الاجتماعية والفكرية والجمالية معا؛ ذلك لأنّ الشخصية الرّوائية يحكم قدرتها

1 – أحمد نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجية النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص165.

2 – د. أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، ص31.

3 – د.عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص85.

4 – أ. د. مصطفى السيوفي، تصوير الشخصيات في قصص محمد فريد أبو جديد، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2010-2011، ص59.

على حمل الآخرين على تعرية طرف من أنفسهم كان مجهولا إلى ذلك الحين، فإنّها تكشف لكلّ واحد من النّاس مظهرا من كينونته»[1].

أمّا الشخصية في الشّعر فهي كائن روحيّ يسكن الذّات الشاعرة من خلال التأثير والتأثّر الحادث في الواقع المعاش، وهي في الشعر إمّا أدبية أو دينية أو تاريخية، يستدعيها الشّاعر في نصوصه حتّى «يجعل النّص ذا قيمة توثيقية، يكتسب بحضورها دليلا محكما، وبرهانا مفحما على كبرياء الأمّة...أو بمعنى آخر، يستلهم الشّاعر أوجه التشابه بين أحداث الماضي ووقائع العصر وظروفه، إن سلبا أو إيجابا، فهو في هذا كلّه يطلق العنان لخياله لكي يكشف عن صدى صوت الجماعة، وصدى نفسه في إطار الحقيقة التاريخية العامة التّي يبحث عنها، أو الموضوعات التاريخية الكبرى، التّي تشكل حضورا بارزا في تاريخ الأمة دون الخوض في جزئيات صغيرة»[2].

فالشّخصيّة وسيلة تعكس وجهين في آن واحد؛ وجه الماضي وما يحمله من نظرة مستقبلية وإطلالة مشرقة، ووجه الحاضر المملوء بالنّواقض وسلبيات الحياة.

4- المبحث الرابع: الشّخصية والتاريخ

إنّ العلاقة بين الشّخصية والتاريخ هي علاقة تمتاز بالتّكامل والتّفاعل، فالتّاريخ يؤثّر في الشّخصيّة، كما تؤثّر الشّخصيّة في التّاريخ. فالدّور الذّي يقوم به التّاريخ هو الدّفع بالشّخصيّة إلى تنظيم نمط جديد من الحياة، فيرجع إلى الماضي ويستمدّ منه الركائز الأساسية للحياة الجديدة في ضوء الأسس القديمة من الحياة الماضية، وتعطيه الجرعة الرّوحية التّي تقويه وتساعده على النّهوض والسعي إلى بناء حاضره، مستفيدا من تجارب وخبرات الماضي المؤلمة ولمريرة وحتّى المفرحة منها.

1 – المرجع نفسه، ص60.

2 – نمرموسى، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، مجلد 33، العدد 2، أكتوبر وديسمبر، 2004، ص117.

وقد نجد في هذه الخبرات والتّجارب شخصيات ووجوه مضيئة من شأنها أن تساعد الشّخصية المعاصرة في بناء الحاضر، وتكون مصدر قوّة دائمة وعامل من عوامل البناء والإنتاج والإبداع.

إنّ التصفح الدقيق لما حمله الماضي من قدرة الإنسان القديم على تكوين شخصيته، يجبر الباحث على دراسة آثاره ومخلفاته الفكرية والثّوابت النّفسية والتغيرات التّاريخية؛ لأنّ الشّخص كائن حيّ وفاعل يؤثّر ويتأثّر بالواقع، ويطمح دائما إلى صنع التّاريخ.

وبذلك تعتبر الشّخصية الابن والأب للتاريخ في آن واحد، لأنّنا نلمس ذلك التّفاعل والتأثير المتبادل بين الشّخصيّة والتّاريخ، فبارتفاع وسمو الشّخصيّة ترتفع نظرته التاريخية، «كما كان وعيه للماضي أصفى ومجابهته له أصدق وأعمق، اغتنى كيانه الإنسانيّ وغدا أقدر على الإنتاج والإبداع»[1].

أمّا الإنتاج الذّي يربط الشخص بماضيه ويميّزه عن الشّخص الآخر، فيتعلق بالعادات والتقاليد والأعراف التّي ورثها عن أجداده وتمسك بها، حتّى أصبحت جزءا ضروريّا في حياته، فهو سلوك اجتماعيّ اعتمدته الشّخصيّة القديمة في بناء المجتمع عن طريق التجربة والاختبار، وأقرّها التّاريخ وسجلها في صفحاته، ثمّ تناقلتها الأجيال، وحافظوا عليها كوسيلة لتعزيز الرّوابط وإبراز الخصائص التّي تميّزها عن باقي الشخصيّات البشرية الأخرى.

إنّ خصال الشخصية مكتسبة من سلوكات ماضية ألفها الإنسان القديم، ومارسها لتصبح تراثا شعبيّا متوارثا عبر الأجيال، لا يمكن الاستغناء أو التنازل عنّها؛ لأنّها راسخة في «أعماق نفوس الشّعب واختلطت بمشاعره، وتسري في أشعاره وقصصه وأمثاله وأغانيه ورقصه وأزيائه... واقترنت بحياته اليومية فيتألف من هذا ما يسمّى بالفنون الشعبية وما يتصل بـ"الفولكور"»[2].

وقد يصنع الإنسان شخصيته وفق متطلبات الحياة، كما يصنع تاريخه وتاريخ البشرية، فهو جزء من حلقات التاريخ المترابطة والمتصلة فيما بينها.

1 – قسطنطين زريق، نحن والتاريخ (مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1974م، ص22,21.

2 – كريستين نصّار، الإنسان والتاريخ (أثر التاريخ وتأثره بسيكولوجية الفرد)، جروس برّس، لبنان، ط1، 1991م، ص56.

والملاحظ من هذا أنّ المكونات التّي يبنيها التّاريخ هي مأخوذة من صميم الشّخصيّة المتمثّلة في النّظم السيّاسيّة والأوضاع الاقتصادية والأعراف والتّقاليد والأحوال الاجتماعية التّي تتكامل فيما بينها ولا يمكن الاستغناء عنها.

5- المبحث الخامس: الشّخصيّة والثّقافة

إنّ للثقافة دورا أساسيّا في حياة الإنسان المتحضر، فهي من المميزات التّي تميّز شخصية عن أخرى، فدرجة ثقافة الشّخص وذكاؤه يظهر أثناء حديث الشخص، فالذكاء قوّة كامنة داخل الإنسان ينتفع به ويوظفه عند الحاجة إليه، والثّقافة هي حسن الاطلاع الواسع والشامل التّي تمكّن الإنسان من أن يكون له رأي وأثر في المجتمع الذّي يعيش فيه.

أمّا الشخصية فهي كلمة إغريقية النشأة، وتعني بالإنجليزية "القناع"، وهو اللّباس الذي «يلبسه الممثلون في المسرح الإغريقي في القرن الخامس قبل الميلاد في أعمال ايسخولوس أو في مسرحيات "الماسك" أو"الأقنعة" التي انتشرت في إنجلترا في القرن السابع عشر في أعمال بنجوسون»[1].

و يمكننا موافقة التعريف؛ لأنّه قد يكون الأقرب في التصوير الواقعي فقناع الفرد هو وجهه، وكل وجه يدلّ ويرمز على شخصية هذا الفرد أو ذاك. فيعبّر الوجه عن شخصية حامله، فعندما ترى «وجه إنسان تعرفه، فإنّك لا ترى ملامح وجهه فقط؛ بل ترى صورة لشخصيته، بكلّ ما تعرفه عن جوانب ذاته»[2].

كما يمكننا تحديد مفهوم الشخصية على أنّها مجموعة من الخصائص، تميّز شخصية عن أخرى، ويمكن تمثيلها في ثلاث خصائص:

أ- الخاصية الجسمية: لأنّ للجسم دورا هامّا كعنصر مكوّن للشخصية، فصحة الجسم وقوة البنيّة تمنح صاحبها الثّقة والإقدام.

ب- الخاصية الحسيّة: أو المشاعر كالعاطفة والانفعال والذكاء وقدراته التّي تؤثر مثل الشخصية؛ لأنّ الإنسان الذكي يحسن السيطرة على الآخرين والغبي يسيء في معاملته للنّاس.

1 – مجدي كامل، الشخصية القوية، طبع ونشر وتوزيع دار الأمين، القاهرة، ط1، 1997، ص7.
2 – المرجع نفسه، ص7.

وقد نجد خصائص أخرى تميّز الشخصية عن أخرى، وتجمع بين الخصائص السابقة المذكورة، والتّي نسميها الجانب الذاتي من الشخصية حيث تمتاز الشخصية بالعقل والعاطفة والإرادة...

ومن هنا يمكن أن نوجز القول بأنّ للشخصية جانبا ماديا ملموسا وظاهرا وجانبا معنويا خفيّا يتطلب الجهد لكشفه، ومنها الثابتة والمتغيرة، كلّها صفات تميّز الإنسان عن الآخر...

وأنّ للثّقافة علاقة بالشخصية يكون التبادل عنصرا أساسيّا، ويبرز دور التّأثر في سعي الإنسان الدائم نحو التطور في الحياة والبحث عن الأفضل في ظلّ النّظام الثقافيّ المتطور.

6- المبحث السادس: الشعر والشخصية

إنّ علاقة الشّعر بالشخصية هي علاقة وطيدة، لا يمكن الفصل بينهما؛ لأنّ الشعر جزءٌ من الشخصية التّي يتغنى بها، فيذكر مواقفها ويفتخر بإنجازاتها، فالشّاعر قد يواكب المقاومة ويعيش لحظاتها ويصور الظروف المحيطة بها سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية....

والمتصفح لمضمون القصيدة يجد نفسه أمام مجموعة من الصور التّي تعكس هموم الجماهير ومتاعبها وآلامها ومعاناتها، كما نجد الشّاعر يحثّ الشّخصية على الوقوف ضدّ العدوان، ومقاومة كلّ أشكال العنف والاضطهاد.

لقد كان للشّعر الشّعبي دور هام في توحيد الشخصيات وجمع كلمتهم ضد الاحتلال والنّهوض والتطور بالشعب، كما يبيّن ويوضح مصير الضعف في اختلاف الرأي وعدم التوحيد.

وللشّاعر دور في المحافظة على الثّقافة العربية، وذلك من خلال توعية الأفراد قصد محاربة كلّ أنواع السياسات الهدّامة التّي تسعى إلى إضعاف الشخصية؛ لأنّ الثّقافة بالنسبة للاستعمار السلاح الذي يشتت به كيان المجتمع ومقوماته، لذلك حارب اللّغة واستعمل كلّ الوسائل حتى يمنع التعليم، وهنا برزت الشخصية من خلال صمودها ضدّ كلّ أنواع الهدم الممارس من طرف الاستعمار.

وتظهر ملامح الثّقافة في الشخصية الجزائرية في المواضيع الحاسمة؛ كالدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والوطن. وكان حضور المبادئ الرّوحية واضحا في الحياة الاجتماعية؛ بوجود الزوايا، وسعيها للمحافظة على الثقافة الأدبية والدينية لهذا المجتمع.

7- المبحث السابع: الشعر والسياسة

عرفت الحياة السياسية في عهد الاستعمار استقرارا في مجال الفكر من خلال التشبث بمبدأ تحرير الوطن، وكان دور الشاعر هو ترسيخ فكرة المقاومة ونشرها بين أفراد المجتمع، فالنظرة السياسية وجدت منذ ظهور شخصية الأمير عبد القادر الذي زرع فكرة تأسيس الدولة، كما طوَّر الخطط الحربية وأعطاها دروسا تلقى وتطبق ميدانيا، وأعاد للجزائر هيبتها التي فقدتها في العهد العثماني.

ومما زاد المقاومة قوة، ارتباطها بالعامل الديني الذي ردده الشاعر الشعبي في معظم قصائده من خلال الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والوطن، هذا العامل جعل الشعب يلتف حول الثورة ويمجدها ويوحد الصفوف ضد الاستعمار.

كما كان للارتباط بالثقافة العربية دور في توحيد الشعب، وربطه بوطنه وغرس الفكرة الوطنية، التي تجسدت بالاعتماد على العواطف الدينية كوسيلة لزرعها بين أفراد المجتمع الواحد، وجعلها هدفا يصبو إليه هذا الشعب قصد التحرر من قيود الاستعمار وسياسته الغاشمة.

8- المبحث الثامن: الثقافة والمجتمع

ومن خلال ما سبق نتوصل إلى وجود ارتباط بين الثقافة والمجتمع، فالمجتمع يختلف عن آخر باختلاف ثقافة كل مجتمع، والثقافة صفة تتصل بالإنسان وترتبط بحياته، فلا يمكن أن يوحد مجتمع دون ثقافة ولا وجود لثقافة دون مجتمع «فالثقافة هي كذلك الدم في جسم المجتمع يُغذي حضارته ويحمل أفكار" النخبة" كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل

واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدّة والأذواق المتناسبة، وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي»[1].

ويعرِّف حسين مؤنس الثقافة بأنّها: «مجموع المعلومات والمعارف والممارسات والقيم الخاصة بشعب ما، التّي يعيش بمقتضاها، وهي التّي تميزه عن غيره من الشعوب لأنّها تعبير صادق عن شخصية وملامح هذه الشخصية وطريقته الخاصة في الحياة»[2].

والثّقافة هي مجموعة من المفاهيم المكونة من العلم والفولكلور والأخلاق والأذواق والسلوكات اليومية، والتي ترتبط وتتمسك بها الشخصية في المجتمع المعيّن.

وينسب علماء الأنثروبولوجيا مصطلح الثّقافة إلى مظاهر الحياة الاجتماعية، فهي من اكتشاف الإنسان باعتباره شخصية اجتماعية مرتبطة بالعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع، وتتوارثها الأجيال، لتصبح بذلك جزءا مهما في الحياة الاجتماعية.

وقد يتأثر المجتمع في بناء الشخصية، حيث «تنشأ المجتمعات من بيئات جغرافية مختلفة تطبع أفرادها بطابعها، وكثيرا ما تساعد هذه البيئات على سيادة نوع خاص من الحكم، وعلى خلق طراز خاص من النظام الاجتماعي، ومن ثم يوجد الفرد في وسط له من العادات والتقاليد والنظم السياسية والاجتماعية، والقيم الروحية والمادية، ما يكون له أثر بعيد في ثقافته الاجتماعية، وما يعمل بالتالي على تكوين شخصية بلون خاص»[3].

ويمكننا أن نميّز بذلك بين عدة شخصيات من خلال المجتمع أو البيئة التي نعيش فيها؛ فسكان السهول تمتاز شخصية أفرادها بالليونة، أما سكان منطقة البحر الأبيض المتوسط فيعرف عنهم السلوك الانفعالي والمرح.

1 – مالك بن النبي، شروط النهضة، ترجمة كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ندور مالك ابن النبي، دار الفكر، دمشق، 1979، ص131.

2 – حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1987م، ص19.

3 – كامل محمد عويضة، علم نفس الشخصية، مراجعة أ.د.محمد رجب البيومي، عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ص97.

إنّ الإنسان بفطرته يميل إلى المجتمع، فيرتبط به ارتباطا تفاعليا وثيقا، يؤثر فيه ويتأثر به، ولا يمكن للفرد أن يعيش بمعزل عن المجتمع، أو أن يعيش بعيدا عن الأفراد؛ لأن «المجتمع متحرك دائما غير ثابت يؤثر ماضيه في حاضره، كما يؤثر هذا وذاك في مستقبله»[1].

ويمكن أن نختم القول في تحديد هذه المصطلحات إلى خلاصة مفادها وجود علاقة قوية بين جميع هذه المصطلحات، والتي يفرضها الموضوع المعالج، ويجعلها قائمة وثابتة بين التمثل والشخصية السياسية والثقافة والمجتمع، حيث تؤثر هذه المصطلحات وتتأثر بعضها ببعض، فيكون مجال البحث أشمل وأوسع في إطار البحث الميداني.

1 – كامل محمد عويضة، المرجع السابق ص170.

الفصل الأول:

تمثّلات الشّعر الشّعبيّ لشخصيّة الشّيخ بوعمامة

1-تمهيد

2-المبحث الأول: البّعد الثّقافيّ والرّوحيّ

3-المبحث الثاني: البّعد الاجتماعيّ

4-المبحث الثالث: البّعد السيّاسيّ

1- تمهيد:

اقترن اسم الشّيخ بوعمامة* بعدّة معارك، والتّي بقيت راسخة في الذّاكرة الشّعبية الجزائرية، لما كان لمواقفه وبسالته من أثر إيجابي في النُّفوس من حيث تقبّلها والتأثّر بها.

فالشّيخ بوعمامة هو ذلك الرّمز الصوفيّ البارز الذّي سكن في قلوب أفراد المجتمع الجزائري من خلال وقوفه الباسل ضدّ الاستعمار، ومحاولته تخفيف الضّغط على الشعب الذي كان يعيش ضغطا نفسيا ومعنويا واجتماعيا....

أمّا الشّاعر الشّعبيّ فقد استطاع باستعماله اللّغة الدّالة إبراز العلاقة بينه وبين الشخصية ومدى تعلقه بها، فحاول التأثير في المتلقي باستعمال الكلمات الرّمزية المشيرة إلى سرّ العلاقة الخفيّة وترسيخها في الذَّاكرة الشّعبية، والمتمثلة في الصورة الذّهنية المرَكّبة من تمثّل الشَّخصية وأعمالها الميدانية، حيث يتحدث الشَّاعر عنها باعتبارها شخصية تاريخية مبيّنا مواقفها وسيرتها لتكون قدوة يقتدى بها.

ويسير الشَّاعر الشَّعبي على درب شعراء الأدب المعرب في المدح، حيث تكون الشَّخصية الممدوحة مثلا وقدوة للأجيال، و«يعتبر عامل الاستعمار وما ارتكبه في حقّ المجتمع الجزائريّ سببا من بين الأسباب التّي تجعل الفرد الجزائريّ يؤسس تصوراته وتمثُّلات لها علاقة بالشَّخصية السياسية، ومدى التأثّر النَّفسي النّاتج عن التّعلق بما قدمته هذه الشَّخصية والدَّفع إلى مواصلة الصّراع من أجل التحرَر»[1].

ومن أهمّ المواضيع التّي عالجها الشَّاعر الشَّعبي؛ الحالة الاجتماعية والمعاناة التَي يعيشها الشعب، حيث يلجأ إلى الذكر والافتخار بالأبطال

*- الشيخ بوعمامة هو أحد أحفاد الولي الصالح الشيخ عبد القادر محمد المعروف بسيدي الشيخ، وقد عرف الشيخ بوعمامة بأطول مقاومة الاستعمار الفرنسي، ولد سنة 1845م بأمغار، وهناك بعض المراجع ترد مكان ازدياده بمدينة فكيك المغربية، وبحكم معاهدة لالة مغنية أصبح من أولاد سيدي الشيخ الغرابة حيث نشأ وترعرع في هذه المنطقة، توفي الشيخ بو عمامة سنة 1908م، (نقلا عن العربي بن عاشور، محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة).

1- جمال حمودي، تمثّلات المجتمع الجزائري لمرض السرطان، المركز الاستشفائيّ الجامعيّ لتلمسان نموذجا، مقاربة أنثروبولوجية، مخطوط مذكرة ماجيستر في الأنثروبولوجيا، جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، سنة2007م، ص89.

الجزائريين، يصورهم في قالب أسطوري مثير لكن الجوهر حقيقي مأخوذ من الواقع.

فكان البطل صورة لا تخشى النَّار ولا الحديد ولا الخوف... وموضوع المقاومة بالنسبة للشَّاعر هيّ المادة الخام التّي يصوِّر ويبدع من خلالها في تصوير شخصياته وأبطاله، فكان التصوير مناسبا لتلك الفترة التّي تحتاج إلى دعم معنويّ.

أمّا الأسلوب فكان ناجحا في مخاطبة كلّ أفراد المجتمع سواء المتعلّم أو الأميّ، حيث استطاع إيصال الرّسالة الموجّهة إلى الشَّعب، وأصبحت الشَّخصية الرَّمزية للشَّيخ بوعمامة، والتّي بُعثت من أجل تحرير الجزائر عبارة عن صورة عجيبة، يذكرها الشّاعر الشّعبي للإشادة بمواقفها البطولية، وبيان الطريقة المثْلى التّي استطاع بها التغلّب على الجيش الاستعماريّ، رغم قوته المادية والمعنوية.

فالشّيخ بوعمامة أصبح عملاقا في المخيال الشّعبي؛ لوقوفه كغيره من الأبطال في وجه الظّلم والاستبداد، فكانت مقاومته أطول مقاومة، استطاع فيها أن يقف ضد الاستعمار ويصمد في وجهه، بدون خوف ولا تردد.

فما يُذكر الشّيخ إلاّ وتعيد الذّاكرة الشّعبية صورة الرّجل وما قدمه في سبيل الوطن وردعه لكل ظالم.

وكانت ثورة الشّيخ بوعمامة* آخر صفحة من صفحات الجهاد والفداء في القرن الماضي، تضاف إلى النّكبة الكبيرة التّي عاش الشّعب الجزائريّ مآسيها وآلامها، بعد أن ظلّ صامدا، ولم يلق السّلاح طوال نصف القرن من الثّورات والتّضحيات[1].

*- والظاهر أن الشيخ بوعمامة هوسي سليمان الذي قاد الثورة مع عمه سي الأعلى وقد شاركا معا في الثّورة عام 1871م، وآخر أهم الثّورات الوطنية في القرن التّاسع عشرة، وهي ثورة أولاد سيد الشّيخ في جنوب الجزائر عام 1881م، والحق أن هذه الثورة قد بدأت عام 1864م، حين شرعت قوات الاحتلال في التسلل إلى صحراء.(نقلا عن العربي بن عاشور، محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة).

1– د. التلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م-1945م)، سحب الطباعة الشّعبية للجيش، الجزائر،2007م، ص،234.

إنّ الصّورة التّي تمثّلها شخصية الشّيخ بوعمامة في الذّاكرة الشّعبية لا يجب أن تؤخذ على ظاهرها، كالاحتفال والإعجاب بها وبما قدمته للشّعب، وإنّما هي رمز من الرّموز الثّورية الجزائرية، كانت تهدف إلى استرجاع السّيادة وتعبّر عن إحساس الشّعب وطموحاته.

أمّا المادة الشّعرية التّي تناولت بطولات ومواقف الشّيخ بوعمامة فهي مادة غزيرة وكبيرة تختلف في الأغراض والمواضيع، حيث حاولنا جمع معظمها لنجعل منها مادة تستحق البّحث والتّنقيب، فمن خلالها يمكن أن نكشف عن المواضيع التي يعالجها الشّعر الشّعبي.

فالشّاعر الشّعبي له غاية في ذكر الأبطال وتمجيدهم، و«من المؤكّد أنّ الغايّة التّي يرمي إليها الشّاعر الشّعبي في تمجيد البطل لا تهدف إلى تكريس عبادة الشّخصية، بل تهدف أساسا إلى إحقاق الحقّ من جهة وإلى التعبئة والتجنيد من جهة أخرى»[1].

فهذا يعني أن الشّاعر يحاول من خلال ذكر الشّخصيات الثّورية البارزة والتّي سميناها رموزا بطولية أن يهيّئ النّفس الشّعبية للوقوف ضدّ الاستعمار، كما يدعوهم إلى الوقوف وقفة رجل واحد ضدّ كل استبداد وظلم، وكأنّه يتساءل عن سبب دخول هذا الدّخيل الأجنبي إلى وطننا، رغم الاختلاف في العقيدة واللّغة. و«بذلك أصبح الشّعر الشّعبيّ يواكب الأحداث ويصور المعاناة التيّ تلقاها الشّعب إبّان الاستعمار ولم تنته بشاعته»[2]، فلجأ الشّاعر إلى أسلوب التّحفيز والبحث عن الوسيلة لزرع وبعثّ روح المقاومة في نّفوس الطبقات الشّعبيّة، ليصبح الشّاعر وسيلة إعلامية، يصوّر الانتصارات ويحفّز الأهالي على الجهاد في سبيل الله والوطن، فهو «وسيلة تغذّي الحماس عند الجندي وتدفعه إلى القتال والاستماتة في الميدان»[3].

1 - أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف المجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، (د. ت)، ص: 10.

2 - الطيب بن دحمان، القصيدة الشعبية عند شعراء قير العبادلة، جمع ودراسة،أحمد كرومي نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر،2001م، ص129.

3 - العربي دحو، الشعر الشعبي، ودورة في الثورة التحريرية الكبرى لمنطقة الأوراس المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر الجزء الأول، سنة 1989، ص: 150

2- المبحث الأول: البّعد الرّوحيّ الثّقافيّ

يعدّ الجانب الدّينيّ أحد الأسس المعتمدة من طرف الشّعراء الشّعبيّين، في مجال النّظم، حيث نلمس التّراث الدّينيّ في جلّ المواضيع المعالجة والصّور الأدبية، كالحكاية والأسطورة وغيرهما.

فالشّاعر أو الباحث في مجال الشّعر لا يستطيع بأيّ حال من الأحوال أن يصرف النظر عن الأصل الذّي هو الجانب الرّوحيّ في الشّخصية، والتّي تكون رمزا من الرّموز التّي يلجأ إليها الشّاعر في إثارة موضوع من المواضيع.

إنّ التّراث الرّوحي لأيّة أمـة ينحصر في سمة التنظيم الجماعيّ، كما يعتبر الوعاء الذّي تنتج فيه القيم الاجتمـاعية والمبـادئ الخلقية التّي ينص عليها المجتمع، والذّي «يحوي جميـع القواعـد والقوانين والسّنن التّي تنظّم علاقات الأفراد بعضهم ببعض وعلاقتهم بمجتمعهم»[1].

كما نلمس ذلك الأثر الذّي غذّى الشّخصية الوطنية نتيجة احتكاكه الدّائم بالتّراث الرّوحيّ، حيث قادها إلى الوقوف والصّمود ضدّ الاستعمار.

إنّ محاولتنا إبراز صـورة التمثّل في القصيدة الشّعبية الجزائرية يجعلنا نعتمد على الرّمز في إبراز الدّلالات؛ لأنّ الخطاب الرّمزي يدلّ على الوعيّ السّياسيّ أو الاجتماعيّ أو الدّيني؛ فهـو يكشف عن الوعيّ الإنسانيّ من حيث نشأته التّي تنحصر بين التّنازع في البقاء والتّنازع ضدّ السلطة.

أمّا عن توظيف الشّخصـية السّيـاسية فـي الشّعر الشّعبي فهو نموذج لتصوير المجتمع؛ فالشّاعر يختار الشّخصيات السّياسية التّي تمثّل روح العصر، والتّي لها مهمة تتمثّل في البحث عن الفوز وتحقيق الـهدف، رغمّ الصعوبات والأخطار التيّ تحيط بها وتمنعها من تحقيق المنشود.

والشّخصية التّي اخترناها هي قمة هذا الظّرف، صاحبها هو الذّي قاوم أطول فترة في عهد الاستعمار، وهو الذّي وضع شجاعته ودهائه في طريق المستعمر، فهو البطل المنقذ للبلد، هو الشّيخ بوعمامة الذّي ترأس مجموعة من المقاومـين واستطاع الصّمود أكثر في وجه الاستعمار، يقول الشّاعر بن رامي مسعود* في قصيدته: "بوعمامة جيش العدو منوا مرعوش":

بُـوعْمَامَـة جِـيشْ الغْدُو مَـنُوا مَرْعُوشْ

عَـارْفِيـنُوا بْطَلْ صَنْدِيدْ مَـنْ الأَوْلِـيَاءْ

1 - د. محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط) (د،ت) ص:43.

*- بن رامي مسعود من مواليد 1959 بعين يوسف ولاية المدية، ثمّ انتقل إلى البليدة مع أهله، تأثر بالشّاعر " لخضر بن خلوف"، و" الشيخ سماتي". سبق له أن سجّل في الإذاعة بعض القصائد، نال بها الدرجة الثّانية، وله رصيد من القصائد في دّيوان الوطني لحقوق التأليف بعضها موجود في كتاب الكنز المغمور في الشّعر الملحون.

وْعَنْدْ الشَـدَهْ أَتْـكوَنْلُـوعَسْكَرْ وجْيُـوشْ

أَيْحَبُوا الاسْتِشْهَادْ ضَدْ الظُلْمْ وَالِلِي كَافْرِينْ[1]

يبدو من خـلال البيتين مدى التّأثّر الذّي تركته هذه الشّخصية في نفوس الشّعب، فالشّاعر مثل أفراد المجتمع قد أثرت فيه شخصية الشّيخ بوعمامة، فوضعه في مرتبة سامية هي مرتبة "الأولياء".

1– بن رامي مسعود، الكنز المغمور في الشّعر الملحون، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1999م، ص: 22.

ويراد من لفظه "الولي" في المعتقد الشّعبيّ، الوساطة بين الإنسان والله سبحانه وتعالى، وقد ذكرت اللّفظة مرارا في القرآن الكريم كقوله تعالى: **"اللهُ وَلِيُّ الذِّينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالذِّينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَات"**[1].

والمقصود بالوليّ هو ذلك الإنسان الطّاهر والتّقيّ، فكلّ إنسان يحمل هذه الصّفة فهو وليّ الله في الأرض. وأمّا الفرق بين الأولياء فيكون في قوة الإيمان والتّقوى، وعند الصّوفية هي درجة عالية من العبادة، وفي المخيّال الشّعبيّ تنسب لقبر صاحبه بعد موته، ليصبح القبر مكان يقصده النّاس للزيارة. وقد نجد عدّة مصطلحات توحي إلى الوليّ مثل: رجال البلاد والمرابطين والسادة...

فتقديس الشاعر للشّيخ بوعمامة بنسبته للأولياء دليل على الصّفة التّي يتميّز بها الشّيخ عن باقي أفراد مجتمعه، وهو يثّبت بذلك على أنّ الشّخصية المثال الكامل للرّجل الذي يُقتدى به. كما يرى فيه البركة التّي يلجأ إليها النّاس لصدّ الظّلم والاستعمار.

والاعتقاد بالأولياء ظاهرة انتشرت في الجزائر بانتشار التّسلط والقهر والظّلم ضدّ الشّعب، فلجأ إلى الزّوايا والأقطاب قصد طلب الأمان والاطمئنان، حيث نجد «سيطرة الطّرق الصّوفية " على الفكر الإسلامي والمجتمع المغاربي في القرن 19، فبلغ عدد الزّوايا في الجزائر 349 زاوية، وعدد الموردين أو الإخوان 295 ألف مريد»[2].

يرى الشّعب في الأولياء المحميّة التيّ تحميهم من الاضطهاد والتعسّف السلطويّ والاستعماريّ على الشّعب؛ «فالثّورة الجزائرية، لم تكن حربا من أجل الحرب، وإنّما من أجل الدّفاع عن المبادئ المقدّسة المتمثّلة في الدّين الإسلاميّ واللّغة العربية واستقلال الجزائر»[3].

ولمّا يستعمل الشّاعر لفظة "الولي" في القصيدة للدّلالة على الرّجل الصوفيّ، الذّي يمتاز بالطّهارة وقوة الإيمان بالله، والشّاعر يضع الشّخصية في

1- سورة البقرة، الآية: 257.
2– عمار الطالبي، كتاب أثار ابن باديس، المجلد الأول، ط1،1968م، ص: 18.
3– عبد الله خليفة ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 1977م، ص: 51.

مرتبة سامية؛ لأنّه وليّ الله في الأرض، بعثه الله لصدّ الظّلم والتنكيل بالظّالمين، وهو الذّي يتوسط بين الشّعب والله في تلبية دعواتهم.

وقد أشار الشّاعر في القصيدة نفسها إلى رفقاء الشّيخ حين يقول: "أَيْحَبُوا الإِسْتِشْهَادْ ضَدَّ الظُّلْمْ وَالكَافْرِينْ"، وهو الهدف نفسه الذّي يصبو إليه الشّيخ؛ أي أنّ الكلّ قد اتحد على كلمة واحدة، هي الوقوف ضدّ الكافر والظّالم، والتمسك بالدّين وزرع قوّة الإيمان، كلّ هذا تتمثّل في التسارع إلى الجهاد والتسابق للاستشهاد، وقد ترمز العبارة أيضا إلى أنّ قوة الشّيخ بوعمامة هي تمسكه بدينه والقيام بتعاليمه، فهو ابن الزّاوية الشّيخية التّي ألزمه أبوه بمقدمها الشّيخ محمد بن عبد الرحمان، الذّي علمه بعض آيات القرآن الكريم، والحديث الشّريف وطريقه الأوراد والأذكار والمبادئ العامة للتّصوف والزّهد في الحياة، وهذا كلّه يؤهله لأن يكون قطبا من أقطاب الزّاوية، فهو يمتاز عن شباب المنطقة بالحكمة والوّرع، وسداد الرأي ونفاذ البصيرة وحسن التّدبير...

و«الفّكر الشّعبيّ عموما يؤمن بالسّير المثالية للأبطال، بحيث يكون التّاريخ مكيّفا طبقا له، وذلك انعكاس للوجدان الجمعيّ، وتلكم هي سمة البطولة في الأدب الشّعبيّ التّي توارثها الأجيال على مرّ العصور»[1].

إنّ الشّعب هنا يتعلّق بالأبطال الذّين تركوا بصماتهم في الحياة من خلال مواقفهم وشجاعتهم، فالتّاريخ يكتب بين أسطره سيَر وملاحم هذه الشّخصيات، فتعكس بذلك الشّخصية البارزة، صورة الشخصية العامة الموجودة في المجتمع، فيذكر الشّاعر الشّخصية على أنّها البطل الذّي لا يقهر، وذلك بجمع بطولاته التّاريخية، وتصويرها بأسلوب من المبالغة والتّعظّيم، فيضعه في المقام الذّي يكون دائما فائزا وقاهرا لأعداء مهما بلغت قوة هذا العدو.

وعندما نتبع العطاء الأدبيّ الشّعبي نجد عددا كبيرا من القصائد التّي توافق الصّورة التّي ذكرها الشّاعر الشّعبيّ بن رامي مسعود، مثْل ما جاء على لسان الشّاعر محمد بلخير* في قصيدته " أَنَا خْدِيمْ رَحْلْ البَيْضَا":

1– محمد زروال، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار بالرويبة، الجزائر، 1994م، ص: 39

*- محمد بلخير بن قدور، والذي درجت تسميته على الألسنة العامة" محمد بلخير"، ولد سنة 1835م بمنطقة " تاغست" بالواد المالح دائرة بوعلام التّي تبعد بحوالي 70 كلم بين وهران وعين تيموشنت ولقب بشاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، كان كثير الاحتكاك بالمدّاحين في الأسواق كما احتك بالأطفال حفظه القرآن وكان يحفظ الشّعر مثّل اشعار المنداسي وبن مسايب وابن تريكي، والأخضر بن

يَا عَالمْ الخَفِيَةَ مَفْتَاحْ كُلْ بَابْ الشَيْخْ بُوعْمَامَة ِلي رَضِيه

سَلاَكْ مَنْحْصَل سَاعَة حَكْ الرْكَابْ وَالشَيخْ وِينْ كَانْ المَغْبُونْ يْجِيهْ

عَيْطَة شْرُورْ سَلَكْنِي الأَسْقَم بُونْقَاب وِينْ مَايْدُورْ العَقْد يْوَالِيه

هَذِي مْوَايَرْ النَاسْ اللِي هُمَا أَقْطَابْ وِين مَا أَنْضَام خْدِيمَه يَدِيهْ[1]

نلمس من خلال هذه الأبيات بعض التّعقيد من ناحية استعماله الصّور الشّعرية، ويعود ذلك إلى توظيف الرّمز من خلال بعض المفردات كالاستعمال "الأسقم بونقاب" عوض الشّيخ بوعمامة، كذلك" حَكْ الرْكَابْ" بدل الشّدّة والمواجهة والهجوم، والتّعبير "وِينْ مَا أَنْظَامْ" والذي يقصد به الشاعر أينما اتجه.

والشّاعر يستعمل المعاني الإيحائية الرّمزية، وذلك عن طريق «رسم الصّورة الشّعرية التّي تساعد على تفاعل الشّاعر مع طبائع الأشياء وبالتّالي يغوص وراء المعاني البعيدة[2]».

فتظهر الصّورة الشّعرية عبارة عن تركيبة معقّدة، لكن هدفها الوصول لما هو بعيد في المعنى فعبارة "الأسقم بونقاب" توحي لشيء أكثر عمقا من استعمال اسم الشّيخ بوعمامة، والشّيء نفسه بالنّسبة لعبارة "حَكْ الرْكَابْ" التّي هي أقوى من ناحية المعنى بالنسبة لمصطلحات الشّدة والمواجهة، والهجوم.

أمّا الأبيات في حدّ ذاتها، فهي مجموعة من الصّور الشّعرية يراد من خلالها إثارة الموضوع، ودلالة هذه الصور تتطلب التّمعن أكثر في الإيحاءات، فالشّاعر يبدأ القصيدة بمناجاة الله من أجل أن يرضى عليه الشّيخ بوعمامة، فتظهر هنا صورة معقدة، فهل يجوز أن ندعو الخّالق لنفوز برضى المخلوق؟

خلوف تأثر بأولاد سيدي الشّيخ وقاوم الاستعمار تحت لوائهم، وشارك في عدة معارك... (أنظر أ- العربي بن عاشور، محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة صدر بدعم وزارة الثقافة، دار الشروق للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2008م، ص: 8،9،10.

1– المرجع نفسه، ص137.

2– عبد الله التطاوي، الصّورة الفنّية في شعر مسلم بن الوليد، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2002م، ص: 47.

أمّا الشّيخ بوعمامة بالنّسبة للشّعب فهو ذلك الرّجل المتصوّف الذّي وهب نفسه في سبيل الله والوطن، حتى أصبح رمزا في المخيّال الشّعبيّ، فهو رمز العفاف والنّقاء، وهو الرّجل المنقذ من كلّ الشّرور وأين تستغيث به تجده. فيظهر هنا التّأثر الدّينيّ من خلال استعمال الصّور الإيحائية التّي تجعل ذلك الارتباط الواقع بين الفرد والدّين والمجتمع ومدى التّمسك الموجود بين الفرد والمجتمع والدّين، فهي متواليات يجب أن توجد في المجتمع الجزائري وتعتبر من بين الموروثات الاجتماعية.

فما صورة المناجاة هذه إلاّ إيحاء للقيمة الدّينية التّي أصبحت تميّز الشّيخ بوعمامة، وهو دليل على قيمة المخلوق الذّي هو في نظر الشّعب خليفة الله في الأرض، فهو وليّهم وقائدهم وإمامهم الذّي ينير لهم الطّريق، وهذا ما تدلّ عليه عبارة "أقطاب"، وهي تطلق غالبا على الأولياء الصّالحين، فالشّاعر يمثّل الشّيخ بوعمامة على أنّه الوليّ الذي يحضر كلّما استغاث به الفرد.

فكلمة " الأقطاب" من الرّموز التّي اختارها الشّاعر الشّعبي ليعبّر بها عن التأثّر الدّينيّ الواقع بين الشّخصية والشّعب، فالعلاقة قبل أن تكون سياسية كان الأصل فيها روحيّ، وعلاقة الشّعب بالشّخصية نشأت بما تمتاز به الشّخصيّة من صّفات دينيّة وعقائديّة.

وفي استعمال الشاعر لـ"القطب" عوض "الولي" إيحاءٌ منه بعمق التّأثر لأنّ عبارة " الأقطاب" أكثر تأثيرا على النّفس من عبارة " الأولياء".

والصّورة هنا التّي شكّلها الشّاعر تشكّل تصويرا نفسيّا قبل أن يشكّلها تشكيلا فنيّا، ففكر الشّاعر مرتبط بالشّخصية التّي كوَّنت له نتاجا شعريّا.

إنّ الشّيخ بوعمامة يمثّل الشّخصية النّادرة التّي شكّلت معايير عصرها وعقائدها، فهو شخصية دينية عرفت بكراماتها في كلّ مكان، فالشّاعر حين ذكر الشّيخ بوعمامة اعتمد على الرّمز والإشارة والتّلميح؛ لأنّه ينقل تلك الأحاسيس الذّاتية للفرد الشّعبيّ، كما يصف المشاهد الرّوحية التّي لا تتصل بالواقع الماديّ، حيث يستخدم الألفاظ الحسّية التّي تتميّز بالظّاهر والباطن؛ فالظّاهر كلّ ما تعلق بالحسّ والعاطفة، أمّا الباطن فهو ذلك الإحساس الرّوحيّ الإلهي؛ لأنّها رموز هدفها التّعبير عن أشياء أخرى.

فـالشّيخ بوعـمامة أحـد الأقطـاب المتصوّفة الذّي اتصلت بمواقفه تلك السلوكيّات الدّينية الرّوحية التّي تدلّ على حبه الإلهيّ، والشّاعر محمد بلخير من بين الشّعراء الشّعبيّين الذّين تأثّروا بمواقفه حين يقول:

نَغْدُوا للشِيـخْ بُوعْمَامَـة غَوَّارْا مُولَى الَقْبَابْ السَبْعَهْ رَانِي عْلِيهْ شَايَقْ[1]

فاستعمال محمد بلخير لعبارة "القباب السبعة" يمثل رمزا للذّات المقدّسة ليصور لنا تعلقه بالشّيخ بوعمامة، حيث يستحضر القـارئ أو المتلـقي صورة " الوليّ" صاحب الزّاوية التّي تحمل بدورها دلالات روحـيّة بالوظيفة التّي تقوم بها في المجتمع الجزائريّ، من التعليم الدّينيّ واللّغويّ، فالقبة أحد الرّموز التّي توحي إلى الزّاوية، فهو بذلك يجعل الشّيخ صاحب الزّاوية التّي يلـجأ إليها الشّعب، تمسكا وتعلقا بمبادئهم الدّينيّة والعقائديّة.

فمن هنا نقول إنّ الشّاعر قد نجح في نقل المعـاني الحسّية التيّ لها علاقة بالأمور الدّينيّة، من التصّوير الفنيّ العـادي إلى التصـوير الرّوحي، بحيث توضحت المعانيّ الرّوحية؛ لأنّ اشتياق الشّاعر للشّيخ يظهر من خلال عبارة "نغدو"؛ أيّ نذهب، لأنّه قرّر زيارة قبة الشّيخ بوعمامة ليوضّح للقارئ مدى التّعلق القائم بينه وبين الشّيخ، فحبه للشّيخ وتعلّقه به هو رمز للحضرة الإلهية، والقرب من الشّيخ هو القرب من الله تعالى، وما "القباب السبعة" إلا رمز يعكس لنا شوق الشّاعر وتعلقه بالله وحده.

وما يقوي هذه الصّور التّي مثّلها الشّاعر في قصيدته ويبيّنها قوله أيضا في قصيدة بعنوان: "يَا الفَارَسْ حَشَمْتَكْ":

بُوعْمَامَة دُرِيَةْ حْبِيبْ الأَنْصَـارْ بُـوهْ بِينْ اكْتَافْ النْبِي المَعْصُومْ

بُوعْمَامَة يَعْطِي تَسْبِيحْ الأَذْكَـارْ بُوعْمَامَـة سَرَهْ ِفي النَّاسْ مَعْلُومْ

ظَاهْرَة وبَاطَنْ يَعْرَفْهَا بِالأَشْفَـار أَعْطَاه رَبِي مَنْ كُونْ العَالمْ عْلُومْ

بُوعْمَامَـة بَايْالصَحْرَا والأَ ظْهَارْ وَالرْضَى مَنْ عَنْدْ المُولَى القَيُومْ[1]

1– أ. العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص 147.

1– المـرجع السابق ص: 151.

يربط "محمد بلخير" في قصيدة هذه الشّخصية الحربية بالمقوّمات الإسلامية، حيث نجد بصماته الجهادية تضفي عليها صفة التّقديس الدّينيّ حين يمثّل الشّيخ بوعمامـة بذلـك الإنسان المقدّس الـذّي بعثه الله ليقود الأمة الإسلامية ضدّ الاستعمار الكافر، هذا الرّجل الذّي بثّ في قلوب أنصاره القوّة وحبّ الانتصار والتّمسك بالعقيدة والجهـاد في سبيل الله، وفي المقابل بثّ الرّعب والخوّف في قلوب المستعمر أعداء الدّين والوطن.

إنّ قوّة الإيمان بالله والتّمسك بتعاليم الإسلام تجعل المرء صلبا وصامدا، هذه الصلابة تقابل درجة الخوف التّي تزرعها في العدو، إلى درجة موتهم هلعا ورعبا، ودليل ذلك أنّ المستعمر يخاف الموت؛ لأنّه ليس على حقّ، وغير متيقّن بما يقوم به.

إنّ مفهوم الثّورة عند الشّاعر محمد بلخير نـابع من العقيدة الإسلامية، فهو يرى أنّ المستعمر قبل أن يتوجه إلى الجزائر كبلد، فهو موجه للإسلام كدين وهوية، «لذلك فإنّ الدّفاع عن الجزائر، والحفاظ على استقلالها، يعني الدّفاع عن الإسلام. وانطلاقا من هذا التّصور كان وجود الأتراك في الجزائر كمسلمين تعزيز للإسلام»[1].

ومن خلال هذا نرى أنّ الشّاعر محمد بلخير يجسّد المعاني الإسلاميّة في قصائده؛ لأنّ الشّاعر الشّعبيّ يرى أنّ الغزو في حدّ ذاته هو «غزو للإسلام بالدّرجة الأولى، ذلك أنّ الإسلام في مفهوم الطبقات الشّعبيّة هو المقيّاس الذّي يحدد هويّة الإنسان الجزائريّ، وليس مجرد انتماء إلـى الوطن، ومن هنا كان الجهاد في سبيل الله والدّفاع عن الإسلام، هو الهدف الأسمى من النّضـال، وتعبير آخر كانت الفكرة الوطنيّة مزيجا من العقيدة الدّينية والرّوح الوطنية»[2].

وقد مثّل الشّاعر الشّعبيّ محمد بلخير في قصيـدته الشّيخ بوعمامة بعدّة صور توحي بالتّمسك العقائديّ، والانتماء الدّينيّ لكلّ مـن الشّاعر والشّخصية، فارتباط الشّاعر بالشّخصية وتوظيفها في ثنايا القصيـدة دلالـة على ارتبـاطه

1– التّلي بن الشّيخ، دراسات في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(د. ط)،1983م، ص:85.

2– التّلي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ الجزائريّ في الثّورة (1830-1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983م، ص: 98.

بالمقوّمات الدّينية التّي ترمز إليها مواقف الشّخصية، فتمثّلات الشّاعر للشّخصية متعددة في القصيدة، وأبرزها أنّها من سلالة الرّسول "صلى الله عليه وسلم"، وأنّها من ذريته. ودلالة الشّاعر توضحها وحدات القصيدة المتمثّلة في مدح الرّسول "صلى الله عليه وسلم" والتّوسل بشخصيته الطّاهرة والتّبرك باسمه، وإشباع القصيدة بأجواء دينيّة تساعد على رفع المعنويّات والتّأثير تأثيرا إيجابيا في نفوس الشّعب.

ويستعمل الشّاعر في تمثّلاته حول الشّخصية، إشارات رمزية توحي بأن الشّيخ بوعمامة شخصية دينية تربَّت على العقيدة وشبّت في أحضانها، وهذا ما انعكس على سلوكها وأعمالها الجهادية والسّياسية.

كما يبيّن الشّاعر تأثير الأب على ابنه، حيث يربط تربيته بتأثير الأمور الدّينية التّي اكتسبها الأب عن طريق الزّاوية حين قال " بُوهْ بِينْ أَكْتَافْ النْبِي الْمَعْصُومْ"، حيث نجد الشّاعر يسعى إلى إبراز علاقة بين الأب والرّسول "صلى الله عليه وسلم"، وهذه العلاقة تدلّ على الصّفاء والنّقاء، فذَكر الأب بعد الابن باعتبار أنّ الأب رمز المنطلق والعقلانية، ودليل التّجربة الدّينية، وارتباط الأب بالرّسول "صلى الله عليه وسلم" يرمز إلى الارتباط الدّينيّ الرّوحيّ، وهذا ما يمثّله الشّاعر بوجود الأب بيّن أكتاف الرّسول "صلى الله عليه وسلم"، ودلالة على رضا الرّسول على شخصية الأب. أمّا ارتباط الأب بالابن فهو ارتباط روحيّ يدلّ على انعكاس صفات الأب المكتسبة على الابن.

فانتقال صفة النّقاء والطّهارة والصّفاء إلى الابن الذّي تأثّر بتربية أبيه الدّينيّة، تظهر فيها بصمات الأب من خلال التّأثير الرّوحيّ الذّي انعكس على سلوك الشّيخ بوعمامة، وأصبحت تمثّل المبادئ العامّة للشّخصية، التّي ترمز إلى الأصل الذّي ينتمي إليه ونوع التّربية التّي تلقاها.

أمّا عبارة " بُوعْمَامَة يَعْطِي تَسْبِيحَ الأَذْكَارْ"، فلها دلالات عميقة توحي إلى الامتزاج القائم بين عاطفة الشّخصيّة الدّينيّة، والشّخصيّة الثّورية، رغم شدّة المعارك، إلاّ أنّ الشّخصيّة تمسكت بمبادئ الإسلام ومقوماته كالتّسبيح والصّلاة... فصّور الشّاعر الشّيخ بوعمامة بصورة الإنسان المتمسّك بدينه، ولا يهمل واجباته اتجاه الخالق، فهو دائم التّسبيح والصّلاة والذّكر، لم تلهه أمور

الحرب عن واجباته الدّينيّة؛ بل على العكس زادته قوّة وإيمانا؛ لأنّه يعلم مصيره الذّي وعده الله به، لذلك نجده يضحّي بنفسه في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى.

اعتمد الشّاعر على الرّمز أيضا في الوحدة الموضوعية "ظَاهْرَه وَبَاطَنْ يَعْرَفْهَا بَالأَشْفَارْ"؛ لأنّه يعرف أنّ «الرّمز يقوم بدور أكثر ثراء وقوّة في تجسيد مقاصد الذّات المعبّرة، وفي توسيع الفضاءات المعبّرة عنها، وهذا مرده إلى قوّة الرّمز الذّاتية على الإيحاء المتناميّ والتّصور المحدّد»[1]. وهذا يعني أنّ الشّاعر من خلال الوحدة الموضوعية يمثّل الشّيخ بوعمامة بالعالم الذّي يعرف باطن الأشياء، ويفسّر ذلك قول الشّاعر: " اَعْطَاهْ رَبِي مِنْ كُوْنْ العَالمَ عْلُومْ"، للدّلالة على العلوّ والسّمو الذّي يميّز شخصية الشّيخ بوعمامة في المخيال الشّعري الشّعبي، ويكون الشّاعر من خلال التّعبير الشّعري، قد أخرج الشّخصية السّياسية لبوعمامة من التّاريخ وألبسها ثوبا مبالغا فيه، حين يجعل الشّخصية في مقام لا يمكن أن تساويه شخصية أخرى؛ لأنّه يجمع بين الدّين من جهة والعلّم من جهة أخرى، وبذلك يدخل الشّخصية إلى عالم الخوارق، ويجعل منها أسطورة في المخيال الشّعبيّ.

أمّا البيت الأخير ففيه تصوير يطابق التّصوير السابق، فالشّاعر يمثّل الشّخصية بصورة رضا الخالق عليها، وهو دليل على أنّ الشّيخ بوعمامة رجل صالح بعثه الله ليرفع الغبن عن شعبه، أمّا الشّاعر فيجعل منه وسيلة لرفّع المعنوّيات، كما يهدف إلى دعوة الشّعب على إتباعه، فهو أهل للثّقة. وبهذا البناء يسعى إلى جعل من شخصية بوعمامة أسطورة في المخيّال الشّعبيّ الجّزائريّ، بحيث يمكن القول «بأن البنّية الشعرية للرّمز أو البنّية الرّمزية لشّعر ليست بمعزل عن الأساطير والمجاز والّتصوير الاستعاريّ والعلامات الأستطيقية والوعيّ التّخيليّ والتّأمليّ بشكل عامّ»[1].

وبهذا البناء الرّمزي في استحضار الشّخصية الرّمزية للشّيخ بوعمامة، يحاول الشّاعر تكثيف دلالة التّجربة الدّينيّة والثّورية، فيستدعي الرّمز الذّي

1– نباجي ملاح، أليات الخطاب النقدي في مقاربة القصة الجزائرية- دراسة في قراءة القراءة -، دار الغرب والنّشر، الجزائر، (د.ط)، 2002م، ص: 88.

1– د. عاطف جودة نصر، الرّمز الشّعري عند الصّوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1978م، ص: 110.

يكسب أبعادا دلالية، ويوظّفه في ثنايا القصيدة لدّلالة على صحة القول والموقف المتخذ ضدّ الاستعمار كما يستحضر الشّاعر الشّيخ بوعمامة كرمز من رموز التّصوف ويدعّم به وظيفة التكثّيف التّي تتأتى من خلال التّكرار، تكرار اسم بوعمامة في أبيات القصيدة، باعتبار الاسم في حدّ ذاته رمزا يوحي إلى الصّلابة والقوّة، وبهذا يؤدي الشّاعر من خلال هذا الاستحضار إلى غرس دلاليّ يتوافق مع سياق التّجربة، ويتوصل من خلال هذه الدّلالات إلى الهدفّ المراد بلوغه فيكون الرّمز وسيلة لذلك، كما يرى أنّ الشّيخ بوعمامة هو أهمّ شخصية تاريخية تصلح لتجسيد هذا الرّمز؛ لأنّ استحضار الشّخصية في القصيدة يتّكئ على الصّورة الذّهنية الموجودة في المخيال الشّعبيّ.

و الهدف الذّي يسعى إليه الشّاعر من خلال ذكر الرّموز الدّينية حين يستعمل العبارات الدّالة عليها، كاستعماله لفظة "الأولياء" و"الأقطاب" والتّحدث عن الصّلة الرّوحية بين الشّيخ بوعمامة والرّسول "صلى الله عليه وسلم"، هدفها إرضاء الشّعور الدّينيّ للمتلقي، وتكريس هذا الشّعور في ذاته، كما يهدف من خلال توظيف الشّخصية الرّمزية في قصائده إلى تأويل صورة الواقع المعاش؛ لأنّ الشّاعر كغيره من الشّعراء، لا يستعمل الأسلوب المباشر في عكس الواقع والإشارة إلى الأهداف المرجوّة؛ بل يستعمل الأسلوب الرّمزي الذّي يتطلّب من المتلقيّ أن يكون فاعلا في النّص، فهو الذّي يعطي القيمة والأهميّة للنّص الشّعري.

وبالعودة إلى الأبيات السابقة نلاحظ تكرار الشّاعر لاسم الشّيخ بوعمامة عدّة مرات، وهدفه من هذا التكرار إعطاء الأبيات إيقاعا ونغما موسيقيا، يجلب نظرة المتلقي للأمر الهامّ المعالج في القصيدة، كما يركّز على إيصال المعلومة للمتلقّي وترّسيخها في ذهنه. فالتّكرار كما يرى مصطفى السعدني «نوعان بسيط ومركب ويأتي متقاربا أفقيا أو عموديا، والعمودي أكثر تواتر من التّكرار الذّي يرد أفقيا، أمّا التّكرار المركّب كثيرا ما يأتي في شكل عمودي مركب»[1].

1– مصطفى السعدني، البنيّات الأسلوبية في لغة الشّعر العربيّ الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)،ص: 31.

وينظر المحدثـون إلى التّكرار بأنّه: «وسيلة من الوسائل السّحرية التّي تعتمد على تأثير الكلمة المكررة»[2].

أمّا "علي بولنوار" فيرى في فائدة التّكرار أنّه «فضلا عن الدّلالة النّفسية للتكرار فإنّه يحمل أيضـا دلالات فنيّـة تتمثّـل في تحقيق النّغمة والخفّة في الأسلوب، ممّا يضفي على النّص قدرا أكبر من التّأثير على المتلقّي»[13].

فتكرار لفظة "بوعمامة" دليل على الضّغط الذّي تمارسه الشّخصية على الشّاعر، فهي تشكل اهتمامه، لذلك يلجـأ للتّكـرار حتّى ينفّس عن نفسه من الضّغط الذّي يعانيه من جهة ولفت انتباه القارئ من جهة أخرى.

كذلك يوحي التّكرار الطويل في القصيدة الواحدة إلى شدّة طول الزمان الذّي عاشه الشّاعر مع الشّخصية، وقوّة التّمسك والتّأثر بها، وهذا التّكرار قد أتى من دوافع إبداعية ونفسية تكونت وتشكلت والذّات المبدعة.

ويمكن الإشارة إلى أن وجود التّكرار بكثرة على حسب النّقاد، «يكثر في المآسي على حدّ ما نعرف مما قيل في باب الرّثاء»[2]

ومن هنا صحّ لنا القول عن التّكرار؛ «إنّه طاقة الإبداع في النّص التّي تفتح مداه عوالم لا نهائية من الدّلالات والإيحاءات التّي تلقي ضلالها الكثّيفة»[3].

و قد حذا الشّاعر أحمد كرومي حذو أصحابه بالمبالغة في تعظيم وتمجيد الشّخصية وذلك حين يقول:

بَرَكَـةْ رَبِـي وبُـوعْمَامَة

لا تُـكْتَبْ لْـهَا سَـلاَمَـةْ

عْلِيـهَا تَـامْـدَة طِـيـحْ[1]

2– المـرجع نفسه، ص: 30.
3– علي بـولنوار، الشّعر الشعبي في منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص: 92.
2- عبده بدوي، دراسات في النص الشعري الحديث، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ت)، ص:45.
3– علي بولونوار، الشّعر الشّعبيّ في منطقة بوسعادة، ص: 93.

فهو بهذا يبالغ كثيرا في هذا التمثّل، حتّى يكاد أن يصل إلى درجة الكفر؛ لأنّه لا يمكن أن تكون درجة البركة متساوية بين الله والعبد مهما كانت قوّة إيمانه وتمسكه بدينه.

كل هذا يدلّ على الدّرجة الرّوحية التّي بلغها الشيخ بوعمامة في النّفوس وقوّة تأثيره على أفراد الشّعب؛ لأنّ انتماءه للزاوية الشّيخية جعله محلّ ثقة بالنّسبة للشّعب الجزائريّ في هذه المنطقة، وفي بعض المناطق المجاورة؛ لأنّه كما نعرف أنّ زاوية سيدي الشّيخ عريقة كان مؤسسها الأول "عبد القادر بن محمد"* «الذّي تحفظ لنا الذّاكرة أنّه من سلالة أبي بكر الصدّيق»[1]. ولذلك نلمس ذلك التّعلق الوطيد بين الزّاوية وأصحابها والشّعب الجزائريّ المسلم عامة.

و أصبحت للزّاوية وأصحابها هيبة، وهو ما دفع الأحفاد والأبناء إلى المحافظة عليها وإعطائها الصّورة الحقيقية التّي أراد صاحبها أن تكون حتّى يصبح السّلف خير خلف.

فمن هنا نجد ذلك التّقديس للوليّ الصّالح، «بحيث لم يعد مجال للشّك في أنّ تقديس الوليّ الصّالح المسلم يغطي ضروبا عتيقة من التّقديس بقي البربر أوفياء لها»[2].

هذا التّقديس نلمسه عند الشّاعر محمد بلخير، فهو يبيّن صدقه وولاءه للشّيخ بوعمامة، وهو في الوقت نفسه خدمة لسلالة سيدي الشّيخ الوليّ الصّالح، وفي هذه الحالة يكون قد فاز برضى شيخه، يقول في هذه النقطة:

مَنْ وَحْشِ المَحْبُوب مَا نَرْقُدْش اللِيلْ

نَتْغَثْ بَشْنَاهدِيمَا وَاشْ يَرْضِى بُوْعْمَامَة

---

1 – الطيب بن دحمان، القصيدة الشّعبية عند شعراء قير العبادلة- جمع ودراسة - أحمد كرومي نموذجا-، ص: 268.

*- سيدي الشّيخ، اسمه الحقيقيّ عبد القادر محمد بن سليمان بن بوسماحة، ولد حوالي سنة 940ه/ 1533م، توفي في 1025ه/1616م عن عمر يناهز 85 سنة.

1– أ.العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص: 34.

2– شارل أندري جوليا، تاريخ أفريقيا الشّمالية، تعريب محمد مزالي البّشير بن سلامة، الجزء 2، دار النّشر والتّونسية للنشر، تونس، 1983م، ص: 390.

عَاشَقْ في شِيخِي مُولَى الحُبْ هْبِيلْ

لُـولاَدْ ونَـعْطِـي الـخَـدْمَـة[1]

فالشّاعر يقدّس الشّخصية إلى درجة لا يمكنه التفكير في عصيانه، فهو يبعث له بالسّلام؛ لأنّه يعرف قيمته في النّفوس الشّعبية، دون أن ينسى أحفاده في ذلك.

هو هنا يحترم الشّيخ باستعماله المعانيّ الرّمزية التّي تدلّ عن أصالته، هذه الرّموز يعبّر بها الشّاعر عن أحاسيسه التّي يرغب في الإفصاح عنها، فهي أحاسيس صادقة، نابعة من شخصية عاشت عصر الشّيخ، وتكّن له الحبّ والتقدير والوفاء والاحترام، فكيف لا يحترم الشّيخ وهو صاحب العلم والجاه. واحترام القائد هو من شِيَم الرّجل المسلم، واحترام من يتفوق عليك في العلم هي ثقافة مغروسة في الفّكر الشّعبي، والطّاعة هي صفة توجد عند المقاتل الشّهم والشّجاع...

إنّ الصّفات التّي يرمز بها الشّاعر الشّعبي في أشعاره هي صفات متأصلة في الشّخصية منذ القدم، وهي من الصّفات التّي ما يزال الفرد الجزائريّ يحافظ عليها ويفتخر بها ويقدّسها.

يرى الشّاعر محمد بلخير أنّ الولاء للشّيخ صاحب الزّاوية الشّيخية يكون عن طريق خدمة أبنائه، فالشّيخ بوعمامة هو أحد أحفاده، وبهذا يكون السّبيل الذّي يحقق جانبا من السّعادة الرّوحية؛ لأنه يرى أنّ الفوز برضى الوليّ وخدم الزّاوية هو إرضاء لأولاده وأحفاده، فهو ينظر إلى الزّاوية على أنّها ذات هيبة كبيرة، فهي القبلة التّي يقصدها الكبير والصغير، ويسخّرون أنفسهم لخدمتها، ويبحثون على إرضاء وتقديم الطّاعة والولاء لشيوخها، «حتّى أصبحت قبلة للزّوار تقام لها الولائم وتقدم لها الهدايا»[1].

إنّ الخوف من عدم إرضاء المشّايخ قد رسّخ الاعتقاد في الفّكر الشّعبيّ، لأنّهم يعتقدون أنّ دعوة المشايخ مقبولة عند الله تعالى، واللّجوء إليهم لطلب

1- أ. العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة،ص:28.
1– المرجع السابق ص: 28.

البركة ودعوتهم لقضاء حوائجهم المختلفة واجب يجب القيام به، وهذا ما بقي راسخا في نفوس الطبقات الشعبية حتى وقتنا هذا.

والشّاعر محمد بلخير من الشّعراء الشّعبيّين الذّين يؤمنون بهذا الاعتقاد، فهو راسخ في الفّكر الاجتماعي منذ زمن بعيد، وقد توارثته الأجيال حتى وصل إلينا، وهو راسخ في الفكر، ليس من السهل التّخلي عنه أو نسيانه لأنه ثقافة الأجداد.

3-المبحث الثاني: البّعد الاجتماعيّ

عرفت الحياة الاجتماعية إبان الاستعمار أوضاعا اجتماعية مزرية جعلت الأهالي يبحثون على المفرّ الذّي يقيهم شرّ هذا الوضع الذّي حلّ بهم.

فقد وجد الشّاعر الشّعبي موضوعا يستحق المعالجة، فهو يصور هذه الحالة ويمثّل المعاناة والمآسي التّي حلّت بأفراد مجتمعه، فراح يعبّر عنها باستعماله الرّمز؛ لأنّه من «أبرز الظّواهر الفنّية التّي تعتمدها التّجربة الشّعرية»[1].

هذه الأوضاع ولّدت في نفوس الشّعراء قوّة الصّراع من أجل التّخفيف عمّا آل إليه الوضع، من خلال سرده للوقائع التّي عايشوها، والتّحدث عن المعارك والانتصارات التّي حقّقها المجاهدون.

ولعلّ السبب الرئيسي الذّي جعل الشّعراء الشّعبيّين يوظفون الرّمز في أشعارهم، اقتناعهم أنّ «الرّمز وحده هو الذّي يضفي على لغته مسحة من العمق والشفافية والإيحاء، ويعين الصّورة لئلا تكون تشابها بين شيئين»[2].

لقد تمكّن الشّاعر من إيقاظ الشّعب من سباته عن طريق التنبيه، حيث وضّح لهم أنّ العدو الذّي جاء من الخارج يريد القضاء على أسس المجتمع الجزائريّ، والمتمثّلة في العادات والأعراف والدّين الإسلامي؛ يريد القضاء على

1– د. محمد ناصر، الشّعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنيّة (1925- 1975)، دار الغرب الإسلاميّ بيروت، لبنان، 1983 م، ص: 549.
2– المرجع نفسه، ص: 550.

الدّين واغتصاب الأرض التّي تمثّل الأصل، والتّي قاوم من أجلها شخصيات جزائرية كثيرة، أمثال الأمير عبد القادر والحدّاد والمقراني وبوعمامة...

والشّاعر قد أحسن التّصوير، وقد أجاد في استعمال العبارات التّي تصور الوضّع؛ لأنّ «الصّورة الشّعرية هي تجربة معاشه على أرض الواقع، حين نعثر على صورة، فإنّنا نعثر من خلالها على تجربة معاشه حقا»[1].

وكانت المقاومة الشّعبية بقيادة الشّيخ بوعمامة من أهمّ المواضيع التّي استغلها الشّاعر الشّعبي لتخفيف ذلك الضّغط المعاش؛ لأنّه وجد في الشّخصية الاطمئنان الذّي يبحث عنه، بما أنّه ابن الزّاوية ومن الشّخصيات التّي أحبّها الله وميّزها عن باقي الأفراد.

فالشّيخ بوعمامة في المخيال الشّعبي، هو حامل لواء المجتمع والجامع لهمومه، البّاحث عن المستقبل الحسن، هو رمز الوفاء ورمز الأمان، جمع بيْن المقاومة والدّين.

لأنّ الشّيخ بوعمامة في نظر المجتمع الجزائريّ هو من أبناء الزّاوية الشّيخيّة، والتّي تحفظ لنا الذّاكرة الشّعبية هيبتها بين القبائل والتّي توجب على المجتمع تقدّيسها.

استطاع الشّاعر الشّعبيّ أن يوصل المعلومات إلى السكان البسطاء، رغم ضعف المستوى التعليمي الذي تلقاه، حيث عرف كيف يوظّف الخيال في جمع الأخبار ونقلها بشكل يؤثّر في الناس.

فـ«الشّاعر يرى أنّ الحياة لم توجد إلاّ من أجل أنّ نعيش في عزّة وشرف، وإلاّ فلا داعي إلى البقاء على وجه الأرض، إنّ الموت أهون من هذا العارّ الذي لحقهم...»[1].

إنّ الشّخصية الجزائريّة معروف عنها قوّة التّمسك بالأصل، وعدم السّماح لأيّ كان أنّ يمسّ القيّم الجزائرية، والمتمثّلة أساسا في الشرف والعزّة.

1- د. عبد الله التطاوي، الصّورة الفنّية في شعر مسلم بن الوليد، ص: 15.

1– أ- العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص: 42.

وقد تحدث الشّاعر بن رامي مسعود عنها حين حثّ الشّعب على التّمسك بمقوماته التّي تميّز أصالته وانتمائه:

كُونُو أَهْلْ النِّيفْ وْمَنْ جَاكُمْ بِالشَّرْ مَاتَسْمْعُولُوشْ

وْنَخْتَمْ ذَا القْصِيدْ عَلَى مُحَمَدْ إِمَامْ المُرْسَلِينْ تَاجْ الأَنْبِيَاءْ[2]

استعمل الشّاعر أسلوب الأمر المتمثّل في كلمة "كونو"، فهو يدعو قومه إلى التّمسك بأصالتهم المتمثّلة في الدّين الإسلاميّ واللّغة العربية والأصل الأمازيغي، واستعماله لفظة "نِيفْ" لا تعني المستوى السطحي للفظة؛ بل لها دلالة عميقة توحي على الغيرة عن الوطن، والوقوف ضدّ من يحاول المساس بمقوماته، و"نيف" في الفّكر الشّعبيّ هو عزّة المرء وشرفه ورجولته، واستعملها الشّاعر للدّلالة على الوقوف ضدّ الاستعمار، غيرة على مقوماته الشّعبيّة وانتمائه الدّينيّ، الذي يدعو إلى الجهاد في سبيل تحرير الشّعب من قيود الاستعمار.

فكسب الشّيخ بوعمامة قلوب وثقة الشّعب لم يكن من فراغ؛ لأنّ هدفه واضح يلتقي مع أهداف الشّعب، وهو ما زاد من شهرته، فبلغ مستوى السموّ عند الفرد الجزائريّ، وحتّى خارج الحدود وهو دليل على ما وصل إليه الشّيخ بوعمامة من نفوذ روحيّ وقوّة حربية، وهو من أعطى الشّعب الحياة الهنيئة، حسّن الوّضع الاجتماعيّ الذّي أصبح الشّعب يعيشه في ظلّ السياسة الاستعمارية، التّي وظفت كلّ أساليب القمع والقهر حتّى تضعف من إرادته، وتجعله في درجة أدنى بين الشعوب، يقول الشاعر الحاج لعمارة في قصيدة " الوطن والثورة":

بُوعْمَامَـة ذَا القُـدْوَه وَالمْثَـلْ وْكَـذَا مَنْ لَبْطَـالْ مَازَالْ أُومَازَالْ[1]

قد يتجلّى البعد الاجتماعي في القضايا والرّوابط الاجتماعية، وهو ما نلمسه حين يبرز الرّوابط، فالشّاعر يمثّل الشّيخ بوعمامة بالصّورة الرّمزية التّي تبدو أكثر عمقا وتكاملا من خلال الحسّ التّراثي؛ إذ يبدو أكثر أهمية مقارنة

2– بن رامي مسعود، الكنز المغمور في الشّعر الملحون، ص: 22.

1– د.أحمد الأمين، من فحول الشعراء في سيدي خالد بسكرة، دار السّبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص 169.

بالصّور السّابقة، حين يجعله قدوة ومثـالا يقتدى به، فهـو مثـال الإخـلاص والحبّ والحكمة، يمتاز عن غيره بقوة الشّخصية.

أمّـا الدّور الـذّي تؤدية الشّخصية في هذا المقام فهو ما تحمله المثالية المطلقة، فهي الأسوة الـحسنة والقدوة الرائدة والمثل الأعلى، فشخصية الشّيخ بوعمامة تتقدم عن باقي الشـخصيـات بالجاه والسلطان؛ لأنّه صاحب الزّاوية ورجل من رجال الدّين، والمجاهد في سبيل الله والوطن.

فالشّاعر قد كان ماهرا في استعمـاله الـرّمزي بتـوظيفه لفظة "القدوة" والمثل" وهي صفات تدلّ على حقيقة الشّخصية الجزائرية والـتّي غرست فيها منذ القدم، كما تدلّ على أنّ الشّيخ بوعمامة يحسن التّعامل مع أفراد الشّعب، في ظلّ تأزم الوضع المعيشيّ، كما يحسن التّعامل مع الـظّروف التّي تواجهه أثناء المواجهات مع الاستعمار أو مع أساليبه، وتدلّ أيضا على أن الرّجل صالح هو صاحب الطريقة الإيمانية، وهو الرّجل الذّي وحَّد أبناء وطنه، بعدما كانوا عبارة عن قبائل متفرقة تحكمهم أعراف وتقاليد مختلفة. فهو الرّجل الذّي أنشأ زاوية المغرار التحتاني، والتّي أعدّها لحفظ القرآن ودراسة علوم الشّرعية، فكيف لا يقتدى بهذه الشّخصية وهي تحمل هذه الخصال الحميدة، فهو رمز ومثال يقتدى به ومسيّر اجتماعيّ ناجح.

ولم يتوان الشّاعر مدني رحمون* في وصف الاستعمار وتوضيح حقيقته للشّعب وللعالم كلّه، هذا الاستعمار الـذّي يدّعى الـتّحضر والتّمدن، وهو في الحقيقة قاتل ومستبد:

يَاسَـامْع قَـولِي أَفْـهَمْ حُـطْ البَالْ شُـوفْ التَفَاصِيلْ تَفْهَمْ مَاذَا صَارْ

شعْبْ يْكَافَحْ سَتَة سْنِينْ نْسَاء وَرْجَالْ ضَـحِيـنَا لأَجْل نَبْقَـاو أَحْـرَارْ

هَـذَا هُـوَ مَقْصُـودْنَا بِالانْفِـصَالْ مَنْ عَدُو غَشِيـمْ شَـرَبْنَا الأمْرَارْ

*- هو الشّاعر والمجاهد المدني رحمون ولد سنة 1908م بقرية فرفار بناحية طولقة التي تبعد ب: 35 كلم عن ولاية بسكرة، حفظ القرآن، وكان يحتك بالعلماء ويحضر مجالسهم، بدأ العمل السّياسيّ سنة 1929م، بعد انتقاله إلى فرنسا انخرط في حزب الوطني سنة 1936م، وكان الشّاعر على اتصال بحركة الثّورة الجزائرية واكتسب ثقة الشّعب خاصة في فرنسا، وقد أسس جمعية بمدينة القدس سنة 1949م، مع مجموعة من الإخوان المكافحين، شارك الشّاعر في عدّة معارك، توفيّ سنة 1989م وترك مجموعة كبيرة من قصائد الشّعر الشّعبيّ لكن أغلبها حرق أثناء الثورة التحريرية.

قْتَـلْ مَلْيُونَيـنْ عَـجَـزَ وَأَطْفَال ْنِسَاء وَشْيُـوخْ يَحْـرَقْهُم بَالنَارْ

يْهَدَمْ في القُرَى يَنْـهَبْ في الأَمْـوَالْ أَيْفَسَدْ وَايعَـذَبْ فِي البْنَاتْ الكْبَـارْ[1]

لقد سبب الاستعمار المعاناة للشّعب، من خلال تقتيله وحرق منازله وتشريده، فهي من الأسباب التّي جعلته يثور ويبحث عمن يساعده في ذلك، فلجأ إلى الزّوايا التّي كانت تسعى إلى نشر الطمأنينة، وتوضّح رؤاهم حول ما هو في صالحهم وما هو ضدّهم. كذلك كان لها دور في جمع الشعب وتوحيده، وتقوية الرّابط بين أفراده، وكان الأهالي يثقون في شيوخ الزّاوية وأبنائها الذين ينتمون إليها، فالزّاوية تشعرهم بالقوّة المعنوية، وهذا راجع للطريقة التّي بني عليها الوليّ الصّالح مفهوم الزّاوية، والتّي غالبا ما تكون مبنية على شعار العزّة والشّرف والدّين والجاه.

فجاء دور الزّاوية بعد شعور الأهالي بالخطر الذّي يحيط بهم، بقيادة الشّيخ بوعمامة ومساعدة القبائل المجاورة التي بدأت تكثر وتتسع، لشعورهم بالإطمئنان بوجودهم بجانب هذا الرّجل الذّي حلّ محلّ وليّ الزّاوية واستعماله الحكمة في معالجة القضايا والأمور المعقدة، والذّي أعدّ نفسه ليكون الزّاهد المقاتل*.

فالزّاوية تريد إصلاح الدّنيا من الفاسد الذّي جاء بنظرة تخالف أصول الدّين والأعراف، لذلك فهي تحثّ على النّهوض في وجه الظّلم والاستبداد، فلا يمكن للأهالي أن يرضوا بهذه التجاوزات التي يقوم بها هذا الفاسد الأجنبيّ ضدّ السكان من خلال قتل الأطفال والشيوخ والنّساء، وسلب الأراضي والممتلكات والتّي أوصلت الأهالي إلى حالة اجتماعية مزرية، قد وصلت إلى حد عدم استطاعته اقتناء قوت يومه.

يقول الشّاعر محمد بلخير ممجدا الشّيخ بوعمامة، والذّي يمثّل الشّخصية الجزائرية، بأصالتها وشهامة رجالها، المعروف عنهم حبّ الوطن وأبنائه، فلا يستطيع النّوم وأخواته في الله يعيشون المعاناة الاستعمارية:

1– عبد اللطيف حني، شعر مدني رحمون دراسة فنيّة تحليليّة، مخطوط مذكرة ماجستير في الأدب الشّعبيّ، كلية الأدب واللّغات، جامعة الجزائر، 2006م، ص: 75.

*- ويعني ذلك فراق الحياة والفراغ لسيف حتى الفناء في ساحة المعركة.

بُوعْمَامَـة حَرَرْ جَسْدِي مَنْ النَارْ يَا مْسَلَكْ مَنْ جَاكْ غْرِيبْ مَضْيُومْ[1]

يعرج الشّاعر في هذه القصيدة باستعماله الرّمز الشّعري إلى وصف الاستعمار وبشاعة جرائمه، مستعملا ألفاظ وكلمات معبرة ومدوية ذات جرس قويّ، ينمّ عن غضبه ويوقظ إحساسه، وينبه شعوره على هول الجرائم المرتكبة في حقه وحق أبناء أمته، فهو يرمز إلى الاستعمار بالنّار التّي تحرق كل ضعيف مسكين، فصورة "المحرر" الذّي أطلقها على الشّيخ بوعمامة ما هي إلا عاطفة صارخة تلبّي العاطفة الناتجة عن كفاح الشّاعر الطويل، ولكي يثبت لأجيال القيود التي وضعها الاستعمار على الأهالي بجرائمه البشعة وسياسته الظالمة، فكلمة "حرر" تدل على الوضع الاجتماعي الذّي كان يعيشه الأهالي، دلالة على النّية الخالصة لشّخصية الشّيخ بوعمامة، والتّي تبحث وتزرع الطمأنينة لدى الشّعب الجزائريّ، فالأفراد كانوا يعيشون في نار المستعمر، يحترقون بظلمه إلى أن أتى الشّيخ بوعمامة المحرر من نار العدوّ، عدوّ الله والوطن.

فالشّاعر هنا يمجد الشّيخ بوعمامة ويمدحه، ومن جهة أخرى يكشف الصّورة المزيّفة التّي أراد الاستعمار أن يصورها للشّعب وللعالم الخارجيّ، فقد أزال عنه قناع الخداع الذّي طالما استعمله لكسب الشّعب الجزائريّ وترسيخ فكرة الجزائر فرنسية.

إنّ هذه المحاولة التّي أراد الشّاعر فيها كشف المستعمر الهدف منها «اختيار الألفاظ الخادعة والتّعابير المضللة التّي تهزّ الجامدين وأنصار الاحتلال الفرنسي، فإنّ الشّعب الجزائريّ قد تكونت لديه القناعة الكافية بأنّ ما تنشره إدارة الاحتلال، ليس سوى نشر مغلف بالخبثّ، وسوء النّية حتّى ولو كان ظاهره يحمل الخّير، ونبل المقاصد»[1].

ومن بين المواضيع التّي تعالج الوضّع الاجتماعيّ، هي الإشادة بالقيّم الاجتماعية للشّيخ بوعمامة باعتباره عالما ربانيّا، ومدى تأثّر المجتمع به، والعلاقة الوطيدة التّي تربط الأهالي بالشّيخ، فالعلم الذّي يحمله هو تعليم دينيّ،

1– أ.العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص:.151.
1– التّلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثورة (1830-1945)،ص: 334.

يطمئن الأهـالي له لأنّه موجـود في صدر كلّ مسلم يعبد الله ربّا، ويدين بالإسلام دينا، فضـلا عن كونه عالما ربانيّا فإنّ الشّعب قد تواطأ على معرفة فضله وسبق زهده وتقواه. فيصبح العلم أكثر تأثيرا وأبـلغ في التوجيه والإقناع.

إنّ الدّور الذّي أصبحت شخصية الشّيخ بوعمامة تـقوم بـه، هو إصلاح المجتمع بالتّرغيب والحثّ على التّخلق بأخلاق الإسلام. وهو ما يذكره الشّـاعر محمد بلخير بقوله:

بُوعْمَامَة عَزّْ الطُلْبَة وْزِيَارْ ضَيْفْ رَبِي عَنْدُو مَعْزُومْ مَكْرِومْ[1]

يبرز الشّاعر في هذا البيت جانبا من الجوانب الخلقية للشّيخ بوعمامة، والمتمثّلة في تلك الجمالية المعزوبة باستعماله الـرّمز في لفظة " معزوم مكروم"، والتّي يعني بها صفة الكرم التي تميّز الـشّيخ بوعمامة، وبهذا يدعو أتباعه إلى إكرام الضّيف وخاصة الأهالي الذّين يلجؤون إليه ليقيهم من شرّ الاستعمار من جهة والحياة المزرية من جهة أخرى.

إنّ هذا الأسلوب دليل على التّمسك بتعاليم دينه وما يحث عليه الرّسول "صـلى الله عـليه وسلم"، فالشّيخ بوعمامة يعطي قبل أن يسأل ويعطف على المسكين بكرمه وجـوده؛ لأنّها من خصاله وما تعلمه من أجداده.

وما نلاحظه أيضا من خلال هذا الـبيت، أنّ الشّـاعر في خطابه يوضّح صفة الكرم التي تميّز أصحـاب الـزّاوية وأتباعها، وهـي الوفاء والعرفان من الشّاعر لأصحابها وللشّيخ بوعمامة، وهي أيضا تجسيد للـمثل والقيّم الإنسانية العظّيمة لدى أفراد المجتمع الجزائريّ الذّي يمثّل ويقدر حقوق الأهالي الضّعفاء والمساكين وهو دليل أيضا على التكوين الدّينيّ والأخلاقيّ الاجتماعيّ.

وما يعزز كلامنا ويقوّي المعنى، قول الشّاعر محمد بلخير:

القَطْبْ عَشَـاي النَمْلَـة وَالأَطْيَار وَالـوُحُوشْ اِلِـي بَرَا دَايَمْ تَهُومْ[1]

يشير الشّاعر في هذا البيت إلى صورة الكرم الذّي يتميّز به الشّيخ بوعمامة، وهي في مجملها صورة جزئية رسمها الشّاعر في مشـهد عام، لا

1 - أ.العربي بن عاشور، شعر محمد بلخير شاعر الشّيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص: 151.
1– المرجع السا بق، ص151.

يختلف عمّا سبق ذكره في البيت الذّي سبق، لكن عموميّة المشهد تكمل في نوع الأشخاص الذّين مسَّهم كرم الشّيخ. وتبدو أداة الشّاعر في هذه الصّورة الجزئية أشدّ تعلقا بالزّاوية التّي يعتبر الشّيخ من أصحابها، فهو قطب من أقطابها وحاميها، فبوعمامة هو الشّيخ الرّوحيّ الذّي يعطي الرّاحة والأمان والاطمئنان، إضافة إلى تميزه بصفة العطاء والكرم، فكلمة "عشاي" تدل على كثرة الكرم وقوته، ولا يقصد به الأكل المقدم فقط؛ بل يريد به أشياء أخرى قد تقدم للضّيف أو طالب الصدقة أو عابر سبيل، فالشّخصية كريمة حتّى مع الحيوانات والحشرات، وهذا كله يصبّ في باب الكرم والجود. فالشّيخ بوعمامة له صفات تجعله قطبا من الأقطاب الرّبانية.

ويضاف إلى صفات الكرم والجود صفات الشّرف والنّسب والسمعة الحسنّة والخلق النبيل والورع وحسن التّعامل مع أفراد المجتمع، فهو صاحب البديهة الصائبة والرأي الرّاجح، وهذا كله يدّل على الدّور المعنويّ الذي تقوم به الزّاوية.

4-المبحث الثالث: البّعد السّياسيّ

إنّ الإحساس بالوطن والاهتمام به والشّعور بأفراحه وأقراحه والانفعال لها، عوامل مكونة للشّخصية الجزائرية، والدّليل على ذلك الوفاء الذي يمتاز به الشّعب والثّبات في انتمائه إليه، وقد يتجلى هذا البعد في الثّورة التّي قام بها الشّعب ضدّ الاستعمار، وتمجيد الشّعراء الشّعبيّون لها، والاعتراف بالوطنيّة الجزائريّة.

وقد واكب الشّاعر الشّعبي فترة الاحتلال الفرنسي وصور كلّ الجوانب والملابسات التّي حاول فيها الاستعمار عزل الشّعب الجزائريّ عن تراثه الثّقافيّ العربيّ والإسلاميّ، ليسهل بعد ذلك دمجه وإلحاقه بالشّعب الفرنسي ليطمس بذلك الشّخصية الجزائريّة وما يميّزها من معالم وأفكار وسلوكات ثقافية وحضارية إسلامية، فلم يكن الاستعمار «يهدف إلى السّيطرة الاقتصادية فقط، وإنّما خطط أيضا لتحويل الإنسان الجزائريّ إلى إنسان منسلخ عن شخصيته الوطنية»[1].

1 – د.محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، ص: 37.

لقد وجد الشّعراء الشّعبيون في أحاسيسهم المثقّلة بالحزن والألم جراء الاستعمار صدى لهذه المعاناة النّفسية، فذهب إلى تمجيد المقاومة سواء كانت هذه المقاومة بالسّلاح أو بالقلم، فليس غريبا أن نجد الشّاعر الشّعبيّ يرفع من الشّخصية السّياسيّة إلى أسمى الدرجات؛ لأنّه يرى فيها ذلك الامتداد الخيراتيّ للسّلف، فعندما يمدح الشّيخ بوعمامة فإنَّه يريد رفع معنويات المجاهدين قصد تثبيتهم للوقوف من أجل تحرير الوطن من العدوّ، وتحرير الشّعب من الاستبداد، وتحرير الإسلام من الكفر.

وغالبا ما نجد الشّاعر الشّعبي يركّز على الشّخصية التّاريخية البارزة، ويكون التركيز إلى درجة التّقديس؛ لأنّ الشّعب يفضّلها عن غيرها من الشّخصيات، فتكون الشّخصية المثال الكامل الذي يقتدى به، يقول عبد الحميد عباسة في قصيدته "المقاومة الشّعبية بقيادة الأمير عبد القادر والثّائرون":

بُوعْمَامَة مَشْهُورْ ِفي الخُطَة إِدَبَرْ قُوَاتْ الأَعْدَاءْ مَنْـهُ مَتْهَرْبِينْ

وَاقَفْ لَلأَعْدَاءْ فِي الحَرْبْ مَسْتْمَرْ في كُل مَعْرَكَـة إِخَلِيهُمْ رَاعْبِينْ[2]

ففي هذه الصّفات مثال القائد الذّي اشتهر في عصره، والذّي يتطلع إليه الجميع، ويسابقون على تمثّل صفاته، فهي السّبيل إلى الرّفعة والمجد والخلود، قد مجده الشّعب وتغنّى به فازداد التمسك به، فعمد الشّاعر على تخليده شعرا، إيمانا منه أنّ «الشّعر طريق خلود هذه السّمات وبقائها»[1].

وقد توكل الشّيخ على الله تعالى، وخاض معارك طاحنة، أحسن التّدبير فيها واضعا الوازع العقائديّ سببا لإعلان الجهاد. وقد أثبت للأصدقاء قبل الأعداء قدرته على القيادة، والحكم بما ينصّ عليه القرآن الكريم والسنّة النّبوية، فزاده هذا صبرا وقوّة، يرهب ويرعب بها عدو الله والوطن.

وقد تفنّن الشّاعر الشّعبي في رسم صوره، الأمر الذّي يجعلنا نعتقد أن له قدرة شعرية عظيمة، ويتحدث الشّاعر بن رامي مسعود عن سياسة الشّيخ بوعمامة في تكوين الجيش فيقول:

2 – عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون في الشّعر الملحون، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1996م، ص: 82.

1 – صلوح بنت مصلح بن سعيد السريجي، الصّورة في شعر الرّثاء الجاهلي، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب العربي القديم، كلية التربية للبنات، جدة، 1998م، ص: 137.

جَـاوْ مْعَاهْ أَهْـلْ البْوَادِي وَجْمِيـعْ الـعْرُوشْ

وْزِيـد التَـلْ مْـعَ السْوَاحَلْ يَاخُويَا

خَـرْجُـو ضَـدْ فْـرَنْسَـا كَـفْرَةْ وْحَـوشْ

مَـنْ البَيْـضْ حَـتَى الـبَرْوَاقِيـةْ

قَالُولُو يَا شِيخْ عْلَى الـكَفَـرَه مَـانَسَكْتُـوشْ

مَـنْ الـقْصَرْ لَلأغْوَاطْ كُـلْهُمْ رِجْلِيه

قَالُو لِجِينِيرَالاَتْ فْرَنْسَا أَنْتُمْ ظَالْمِينْ مَاتَفَهْمُوشْ

هَـذِي مَـاهِيـشْ بْـلاَدْكُمْ يَا ظَلْمِيَة

تَرْكُوا تَارِيخْهُمْ للشُّبَانْ في الجُدْرَانْ مَنْقُـوشْ

وَاسْمَــعْ يَاأَخِـي وَاسْـتَجِـبْ لِيهْ

عْلَى تَـارِيخْ بْـلاَدْنَا الـلَّوْرَة مَاتْوَلُوشْ

غِيرْ هَنِيُو رْوَاحْكُمْ بَرْكَاوْ مَنْ الطَمْعِيَة[1]

والمستقرئ للأبيات يقتنع بأنّ الـصّور موحيّة ودالة دلالة قطعية على رفض الشّعب الجزائريّ للاستعمار، فالشّيخ بوعمامة ربط بين القبائل ربطا روحيّا، حين جعلهم يتعلقون بالـطريقة الإيمـانية التّي أنشأها. وأول ما قام به الشّيخ بوعمامة كخطوة ضـدّ المستعمر توسيع القاعدة الشّعبية التّي تنتمي إلى الزّاوية الشّخصية وتتبع طريقتها، وبعد ذلك إعلان الجهاد في سبيل الله وتحرير الوطن، فغرس فيهم الـحيـاة الجمـاعية ضدّ الحياة المزرية الـتّي تعيش فيها المنطقة، فهو يرى أن سلاح الدّين بالتشبث بالعقيدة الإسـلامية هو السبيل إلى إزالة هذه المآسي، وكان للزاوية الدّور في مواجهة العدوّ بالدّعوة للجهاد في سبيل الله في الدّاخل- مع الاتصال بالقبائل ودعوتها إلى تلبّية نداء نصرة الدين والوطن- وفي الخارج حيث اتَّجه «سيدي الشّيخ إلى مراكش عاصمة السعديّين

1- بن رامي مسعود، الكنز المغمور في الشعر الملحون، ص22.

من أجل الاتصال بصديقه السلطان أحمد المنصور الذّهبيّ المنتصر على البرتغاليين بالقصر الكبير، ليشير له بالخطر الذّي يهدد جهته...»[1].

إنّ اللّغة التّي يتحدث بها بن رامي مسعود هي لغة الواثق من نفسه، فالوقوف في وجه الاستعمار ليس بالأمر الهيّن، لكن ثقته في شخص بوعمامة جعلته متيقنا أنَّ الأمر ليس مستحيلا، فالأهداف التّي يسعى إليّها الشّاعر هي إيقاظ الشّعور الشّعبي؛ لأنّ «الشّعور بالحياة وإدراكها الكامل، لا يكونان تامين إذا عبّرت بغير اللّغة الدائرة على الألسنة، وبهذا يثير شاعرنا العاميّ نفوس، إثارة يعجز عنها أكثر شعرائنا الرّسميين»[2].

لقد عرف الشّيخ بوعمامة كيف يجمع شمل القبائل، ويوحدّهم على كلمة واحدة، وهي الجهاد في سبيل الله والوطن، حيث استعمل أسلوبا يتميّز بالحكمة والرّزانة، وأضحى بذلك نفوذه يتّسع حتّى استقطب كلّ القبائل المجاورة للزّاوية، فأصبح في المخيال الشّعبي الرّجل السّياسي، الحامل للوائهم، والجامع لهمومهم، والباحث لهم على المستقبل الحسن، فهو رمز النّضال الشّعبيّ، والرّجل المتميّز عن باقي المقاومين، بأنّه يجمع بين أمور المقاومة وتعاليم الدّين، لا يرضى بالانهزام ولا يتراجع، يسعى إلى الهدنة أكثر من الحربّ، ليحافظ على أهله وشعبه حتى يوفّر لهم الأمان والسّعادة والهناء...

أمّا الشّاعر الشّعبي محمد بن عيسى فقد مثّل لعدّة شخصيات في قصيدة "كَذَا مَا لَبْطَالْ"، بالأبطال الذّين يحفظ لنا التّاريخ الجزائريّ وقوفهم الشّهمّ ضدّ الاستعمار، أمثال الأمير عبد القادر والمقراني وأحمد باي، إضافة إلى الشّيخ بوعمامة، لمّا يقول:

كَذَا مَنْ لَبْطَالْ نَحْكِيوْ عْلِيهُمْ وَالتَارِيخْ أَطْوِيلْ مَا هُو نَاسِيهِمْ

أَبْطَالْ الثَّوْرَة أَبْطَالْ مَنْهُمْ وَعْلِيهُمْ سَالْ اِلّي ضَحَاوْ يَعْطُوكْ أَخْبَرْهُمْ

بُوعْمَامَة ضَحَى أُودَارْ اِلّي يَلْزَمْ والمُقْرَانِي كَانْ ذَاكِي يَفْهَمْ

1 – أ. العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بو عمامة وبطل المقاومة، ص25.
2 – مارون عبود، الشّعر العاميّ، دار الثّقافة، بيروت، ط1، 1968م، ص: 63.

عَبْدْ القَـادَرْ كَـانْ أَمِيرْ أَمْحَزَّمْ وَأَحْـمَدْ بَـاي أَعْلِيهْ نَقْرَ وأَنْعَمَـمْ[1]

حاول الشّاعر تأدية القصيدة في قالب نثري، هدفه تحقيق البطولة في القصيدة الشّعبية. وإلى جانب قوّة الشّيخ بوعمامة البدنيّة والعقليـة، «فقد تحكم القوّة المعنويّة والتّي تقوم على شجاعة البطل المستمدة من عنصره العربي، وقوّته الرّوحية المستمدة من كونه يدافع عن الحقّ، ويسعى لإقامة النّظام، يؤدّي رسالة سماويّة»[2].

فالرّسالة التّي نعنيها في القول هي الرّسالة التّي تسعى الزّاوية إلى نشرها «فالزّاوية التّي لعبت دورا لا يستهان به، سواء من النّاحية الاجتماعية، كتمتّين أواصر الأخوّة بين النّاس، عن طريق إصلاح الخلافات التّي كانت تحدث من حين لآخر، أو التّعليم الدّينيّ، وذلك بتحفيظ القرآن وشرح متونه، أو الوقوف إلى جانب المجتمعين لأجل إكرام الزّوار والضّيوف»[1].

والشّيخ بوعمامة صاحب التأثير غير المباشر على المجتمع الشّعبي عامة وعلى الفرد خاصة؛ لأنّه الرّجل التّقي صاحب الزّاوية، والتّي لها دور آخر يتمثّل في التّعليم الدّيني من خلال، «تحفيظ القرآن وتقديم الدّروس العامة في المساجد والعلوم الدّينية»[2].

إنّ البعد الأسطوريّ في استعمال الشّاعر لشخصية الشّيخ بوعمامة، يتمثّل في الرّمز إليه بالبطل، فـ«البطل هو الصّورة التّي تريدها الذّات من حيث التّكامل،إنّه تجسّد أحلام، تجسّد التّطلعات إلى الخلاص، وإزالة ما نودّه وإسقاط ما لا نودّه، وبكلمة أخرى، فإنّ مادّة البطل الموجودة في نفوسنا، تختلف مع البطل...البطل قيمة وصورة كاملة يمتصّ المشاعر المثالية التّي عرفتها الإنسانية، وتتشكل فيها الخبرات، إنّه تعبيرات عن الأمل القادم، وعن إمكانية الخلاص وهذا ما ينبئ في الآن عينه، عن واقع جارح وعن قواهر نظيرة سلطة

1– سنوسي خبراج، شعر محمد بن عيسى الشّعبيّ (جمع ودراسة)،مخطط مذكرة ماجيستير في الشّعر الشّعبّي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر،2007م،ص: 140.

2– عبد الحميد بورايو بن طاهر، القصص الشّعبي في منطقة بسكرة -دراسة ميدانية-، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م، ص: 69.

1 – أ. العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، ص: 23.

2 – المرجع نفسه، ص: 25.

قاسية، أو لقمة غير سائغة، وبذلك يأتي ذلك البطل تغطيته لتلك الجارحات للواقع واللّقمة والأمن وتوكيد الذّات والمحن»[3].

أمّا الدّلالة التّي يرمي إليها الشّاعر محمد عيسى من خلال إلصاق رمز البطل بالشّخصية السّياسيّة، فهي البّحث على الاطمئنان والأمن والنّجاح، فتضحية الشّيخ بوعمامة دليل على شجاعته، وحسن النّية فيما يقوم به في سبيل الوطن، فـ«فهو بطل السّيف، ورمز البطولة والشّجاعة وقت الاستعمار بالإضافة إلى هذا كلّه فهو رجل إصلاح دينيّ، لاختلاف على وجوده وبسالة، لا على الخطبة ومواقفه الدّينية»[1].

تعدّ شهادة الشّاعر بأنّ الشّيخ قد قام بما يلزم، اعترافا منه بالعمل الذّي كان يقدمه، وهي صورة من صور الكفاءة السّياسية، فعلى الرّغم من الحياة العصيبة إلاّ أنّه تحدّى ثقل الحياة ووطأتها، وذهب يخفف الثقل عن شعبه بتكفله بالأمور العسكرية والإدارية، وحتّى الثّقافية والاجتماعية منّها...

وقد حاول الشّاعر استحضار الصّور الرّمزية وما تحمله من دلالات ليعبّر عن مكوناته النّفسية الخفيّة، فالرّمز هو صلة بين الذّات والأشياء، بحيث تتوالد المشّاعر عن طريق الإثارة النّفسية لا عن طريق تسميّة الأشياء بأسمائها.

كما أنّ الشّاعر أحمد كرومي* قد استعمل رمز البطل في قصيدته " الشّعب اليوم تنظم" وذلك حين يقول:

قْعَدْ لِيهَا بُوعْمَامَةْ

قَايَمْ مَا خَصْ قِيَامَةْ

كُلْ أَبْطَالْ زُعَامَــةْ

صَبْرُو كَذَا مَنْعَامْ

بَالسْيُوفْ الهَدَامَةْ

3 - علي زيغور، قطاع البطولة والنرجسية في الذّات العربية المستعلى والأكبري في التّراث والتحليل النّفسيّ، دار الطليعة، بيروت،الطبعة الأولى، 1982م،ص: 24.

1- العربي دحو، بعض النّماذج الوطنية في الشّعر الشّعبي الأوراسي، خلال الثّورة التّحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(د.ت)، ص: 109.

*- كرومي أحمد شاعر شعبيّ مولود عام 1918 بالعبادلة ببشار.

قَـطْـعُو رْؤُوسْ الأَعْـجَـامْ[1]

أحسن الشّاعر استعمال الرّموز والإشـارات والتلـميحات، فهو يبتعد عن تسمية الأشياء بمسمياتها الواقعية، ليضيف إلى ألفاظه نوعا من السحر الشّعري. فـهو فـي هـذه الأبيـات يفتخر بشجاعة أصحاب الشّيخ بوعمامة ومكارمهم السّاميـة، يمجـد المـآثر الـتّي رفعتهم إلى مصف السّيادة، «فالشّاعر يسّجل البطولات ليحفز أبنـاء الـوطـن على مواصلة الكفاح، فالبطل يمثّل النموذج الحيّ لصفات أبنائه»[2].

إن الـصّورة التّـي يمثّلـها الشّاعر كرومي، باستعماله العبارة الخطابية " صَّبْرُو كَذَا مَنْ عَامْ"، هـي صورة تميّز الـمجـاهد المسلم الذّي تربط أفعاله بأقواله، فالدّفاع عن الوطن إنّما يمثّل الرّسالة الخالدة الـتّي حققها المسلمون في جهادهم ضدّ الكفار، والنّصر هو مبتغى كلّ مسلم يجاهد فـي سبيـل الـحرية، وكرامة المسلم تجعله يتثبت بعقيدته ويعمل بها، أمّا الصّبر رمز للإرادة الصّادقة المستمدة من صدق النّفس، ويؤدّي إلى النصر على الكفار، يقول الله تعالى: " **يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواإِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِتَ أَقْدَامَكُمْ**."[1]

عنـدما يتـحدث الشّـاعر الشّعـبيّ عن سمات الشّيخ بوعمامة، يتحدث عنّها بإعتبارها رموزا محفورة في الذّاكرة الشّعبية وهو يخلّدها بالذّكر، لكي لا يكون مصيرها مثل مصير الجسد، وهو الفناء.

فالقصيدة رموز باقية لشجاعة الشّيـخ بوعمـامة، فقول الشّاعر "قَطْعُو رْؤُوسْ الأَعْجَامْ"، دلالة على القوّة والشّجاعة التّي يتميّز بـها الشّيخ بوعمامة، باعتباره واحدا من الجماعة، لجأ إليها الشّاعر عندمـا شعر بتـلاشي الأوضاع الاجتماعيّة، فوجد في الشّخصية قوّة الحيـاة لذلـك رددها في أغلب قصائده، طامعا في تخلّيدها وجعلها ذكرى راسخة في الأذهان.

ولعلّ رغبة الشّاعـر فـي قوله" بَالسْيُوفْ العَدَامَةْ"، هو تميّيز قوّة الشّيخ بوعمامة وأصحابه، عن غيّرهم في المجتمع، فيرسم له صورة أسطورية ليبرز

1– أحمد حمدي، ديوان الشّعر الشّعبيّ شعر الثّورة المسلحة، ص: 31.
2– فوزي حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي،عالم الكتب مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1984م، ص125.
1 – سورة محمد، الآية: 7.

قوته وشجاعته، وبهذا تسيطر صورة الشّيخ بوعمامة على الذّاكرة الشّعبيّة التّي مكّنته من السّيادة وخوض غمار الحروب، وإخافة العدوّ، فعملت الألفاظ على تخليد هذه الصّورة وإبعادها عنها صورة الضّعف والجبن.

ولقد اعترف بقوّة الشّيخ بوعمامة العدوّ قبل الصّديق؛ لأنّ المستعمر وعتاده الحربيّ أقل قوّة من قوّة الشّيخ بوعمامة، الممثّلة في الثّقة وحسن القيادة والإيمان بالله والوصول إلى الهدف المنشود الذّي انطلق من أجله إلى الجهاد، والقوة الرّوحية الساكنة في نفوس المجاهدين التّي تتعطش إلى التّقتيل، وهي الوسيلة التّي توصلهم إلى الفوز بالجنة. ويصور الشّاعر ويتحدث عن الاستعمار؛ فيصور خوفه إلى درجة الموت هلعا ورعبا في قول الشاعر "فلاح لخضر":

وَاحَـة الزَّعَاطِشَةْ يَبْسَتْ الـرُّومِي تَيْبَـاسْ

كَانْ قَايَـدْهَا يَا سَـامْعِينْ بَطَلْ إِسْمُ بُوزِيَانْ

بُوعْمَامَـةْ تَعْرَفْ كُـلْ يُومْ فِي قَوْمَهْ سِيَاسْ

وَنَحْصَرْ لُو لُوزِيلْ فِي وَهْرَانْ وفِي تْلَمْسَانْ[1]

ويقصد الشّاعر من خلال استعمال عبارة " يَبَسْ"، والتّي تحمل دلالة رمزية متمثّلة، في قوّة الخوف الذّي شعر به الاستعمار، والذّي سببه له بوعمامة وأصحابه، بالشّجاعة وروح الإقدام لدى المجاهدين، وقد نجد الشّاعر دائم الرّبط بين الجانب السّياسيّ للشّخصية والمقومات الإسلامية، فيضفي على المعارك والحروب الصّفة الرّوحيّة، والهدف من ذلك أيضا، تحفيز المجاهدين لأنّه يزيدهم ذلك شجاعة وإقداما، ويبثّ في قلوبهم الجلال والرّهبة والارتباط بالله عزّ وجل، فالموت عندهم الشرف والعزّة، وتكريم من الله تعالى.

أمّا المقاومة، فهي «نتاج القّوى الاجتماعية والنّفسية المؤثّرة في الأفراد، وهي اجتماعية لأنّ المجتمع وما ينطوي عليه من نظمّ، يمارس عملية تنشئة للأفراد، تحدد لهم الهدف العام الذّي يتمثل في استدماج التصورات المشتركة، كما هو مرغوب وهي نفسية؛ لأنّ الدّفاعية الفردية تحتاج إلى تعبيرات

1– الطيب بن دحمان، القصيدة الشعبية عند شعراء قير العبادلة، ص: 31.

معرفية، وإلى تبريرات لما هو مفضل اجتماعيا... يصبح من اليسّير تبريرها والدّفاع عنّها، بوصفها غايات أو وسائل مرغوبة ومفضلة...»[1].

فهو من أحي الشّعب وأبان عن قوّة حربية هائلة، لا يمكن أن يصدّقها العقل، فكيف للضّعيف في إمكانيات العسكرية، أن يرهب من هو أكبر منه عتادا وجنودا؟

فتوظيف الشّخصية هو نموذج لتصوير المجتمع، والقصائد هي تسجيل لأعمال الأبطال ومآثرهم، فهي موطن للرّفع من مستوى الشّخصية وتزكيتها. أمّا الشّخصية «فإنّما هي صورة فنية لشخص متخيّل في عمل سرديّ، يقوم على ابتكار الخيال المحض»[2].

إنّ اختيار الشّاعر لشخصية الشّيخ بوعمامة، باعتباره شخصية سياسية تمثّل روح عصره، فهو البطل «الذّي يعرف كيف يخرج من المتاهات والمغامرات»،[1] والذّي يغيّر الحالة النّفسية لأفراد مجتمعه، بإزالة الخوف وزرع نوع من السعادة والهناء، كما نرى فيه الشّخصية التاريخية، التّي يجدر بشبابنا الاقتداء بها، يقول الشاعر داودي عبد الرّزاق:

أَنْظُرْ تَارِيخْ بُوعْمَامَة كَانْ قْرِيتْ

هَذُوا اللِي يَبْنُوا الخْصَايَلْ

عَنْ حَسْ ذَوِي مْنِيعْ سَوَّلْ وِينْبْغِيتْ

وَرْوَاحْ أَمَنْ بَاغِي سْيُولْ

هَذَا السْلاحْ البَطَالْ[2]

1- د.علي عبد الرّزاق جلب، دراسات في المجتمع والثّقافة والشّخصية،دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر، 1989م، ص: 137.

2– عبد المالك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، دراسة مجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص: 85.

1 - شكري محمد عياد، البطل في الأدب والأساطير، دار المعرفة،القاهرة، الطبعة الثانية، 1971م،ص: 18.

2 - الطيب بن دحمان، القصيدة الشعبية عند شعراء قير العبادلة، ص: 29.

في هذه القصيدة الشّعبية البطولية، الكثير من المشاهد التّي تعكس الحياة البدوية وأبعادها الاجتماعية والسياسية، فتاريخ بوعمامة هو تاريخ الجزائر، الذّي يدعونا الشّاعر إلى قراءته، حتّى نتعلّم منه ونقتدي به، فهو يهدف من خلال استعمال كلمة " الخْصَايَلْ"، للدلالة على ما تحمله من معانيّ وصفات التصقت بالشّخصية جراء المواقف التّي ترك بصماته فيها، ومن بين هذه المواقف تعمده تغيير اسم الزّاوية الشّيخيّة، بالزّاوية الإيمانية، لكي لا يقع في صراع مع أبناء عمومته.

أمّا مقاومته الاستعمار فكانت مبنيّة على «مبدأ صارم لا يرضى إلاّ بالموت والاستشهاد أو حياة العزّة والكرامة«[1]؛ فالمجتمعات الشعبية تبحث دائما على شخصية سياسية بطلة تساعدها عندما يحلّ عليها اليأس ولا تجد حلاّ لمشاكلها، فتكون مهمّة الشّخصية هنا البحث عن الفوز وتحقيق الهدف رغم الأخطاء والصعوبات التّي تمنعها من ذلك.

ويمثّل الشّيخ بوعمامة مثالا للرّجل الصّبور، فقد وقف في وجه الظّلم والاستبداد، وثورته مثال لأطول ثورة استطاع أن يقف فيها ضدّ الاستعمار، ولم يخشه رغم قوّته وإمكانياته الحربية، فهو عملاق بخصاله، يقول الحاج " محمد بن يوسف" في قصيدته " بلادي بلادي":

أَمْشَاوْ ذُوكْ المِيزَةْ لَبْرَارْ رَاحُو ِفي العَزَه

بُوْعْمَامَة كَي حَمْرى الفُرْسْ وَالأَعْتَاد

يَنْصَابْ في يُومْ الحَرَةْ أَعْلَى العَدْ ويَصْدَادْ[2]

لعلّ قوة بأس الّرجل وما يتطلب منه الوقوف في وجه الاستعمار وراء ذكر الفرس، التّي يستمدّ منها قوّة الصّبر والإقدام على الحرب دون خوف أو تردد، كما يستمدّ الأصالة والفداء والشّجاعة إلى ما في الفرس من الصّفات الدّائمة التّي تناسب حركة الرّجل في المعركة، وعندما يربط الشّاعر اسم الفرس بالشّخصية السّياسيّة، دليل على رّجولة الشخصية وشّرفها، وهذا كلّه له دلالة حين يستعمل الخطاب الرّمزي "ذُوكْ المِيزَة لَبْرَارْ"، وقد نلاحظ ذلك التعلق

1 – الطيب بن دحمان، المرجع السابق، ص42.

2 – أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي شعر الثورة المسلحة، ص: 37.

القائم بين الشّاعر والشّخصية السّياسيّة المتمثّلة في الشّيخ بوعمامة، في احترامه له ولأبنائه حيث يحدثنا الشّاعر البشير ولد حمّو عن شجاعة وبطولات أولاد بوعمامة:

لله أَرْجَـانِي يَا لفَـارَسْ أَنْسَالْ مَنِّي لاَ تَجْـحَدْ لاَ أَنْـدَسْ كَـلْمَا

أَشْتَـدْ الـيُومْ أَطْـرَادْ الأَبْطَالْ رَيَّـاسْ القُومْ أَوْلاَدْ بُوعْمَـامَـة

عَقْدْ اَسْمَـاعِيلْ أَلِي أَهَدْ الدَّجَالَ فـي كُـلْ أَطْرَدْ أَيْجَدُّو الحُرْمَا

مَنْ قَدَّامُـو يَتـقَسْمُوا الجُهَالْ رَبِّ عَـاطِيةْ النَّـصْرْ وَالقِيَامَا[1]

استعمل الشّاعر في هذه الأبيات عدّة صور رمزية تختفي وراء المفهوم المعجمي للألفاظ، والتّي تطلق على أحد أولاد الشّيخ بوعمامة، وهو إسماعيل الذّي يمثّل المستقبل ويمثل أيضا السرّ الذّي ورثه عن أجداده، فذكر الابن بدلا من الأب في هذه الأبيات دلالة على الاستمرارية، واحترام الابن دليل على احترام الأب الذّي يمثّل رمز العقلانية.

وقد أحسن الشّاعر التّصوير، وأبدع في حديثه عن شجاعة الفتى إسماعيل التّي اكتسبها بالدّربة والتّجربة، في المدّة التّي قضاها يحارب مع أبيه، حيث تعمد الشّاعر الشّعبيّ ذكرها، تخليدا وتمجيدا للأب الذّي أحسن غرس ثقافة القتال والجهاد في سبيل الله، في ذاكرة الابن لتظلّ شاهدا على خوضه غمار الحروب، فحرص الشّاعر البشير على تسجيل قدراته الدّفاعية ضدّ الهجومات المستمرة للاستعمار، باستعماله كلمة "أَطْرَادْ"، دليل على كثرة الهجومات وشدّة الحرب ضدّ ما سماه الشّاعر ب: "الدجال"*، وهو يرمز بذلك إلى قوّة المستعمر وكثرة أعداده، وبالمقابل ترمز إلى قوة أولاد بوعمامة واستبسالهم في القتّال وصبرهم عليه وإيجادتهم وعزمهم في الحروب.

أمّا تصويره للاستعمار في قوله :"مَنْقُدَّامُو يَنْقَسْمُوا الجُّهَالْ" فيدّل هذا الخطاب، على عدم قدرة الاستعمار الصّمود في وجه الشّيخ بوعمامة وأولاده، فهو يرى في إطلاق كلمه" الجُهَالْ"، على الاستعمار لتبيّين مدى جهلهم لفنون القتال، وجهلهم لوجود قوّة خفيّة، منحها الله عزّ وجلّ عندما توكلوا

1– التّلي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبي في الثورة " (1830م-1945)، ص: 235-236.
*- يمثّل الدّجال في المخيّال الشّعبي إلى قوم يظهرون في أخر الزّمان.

عليه، ولن يأتيّ النّصر إلاّ بالتوفيق من الله، ولذلك كان مصيرهم الانهزام والهروب والفشل.

لكن رغمّ القوة التّي تمثّلها الشّاعر الشّعبيّ، إلاّ أنّ ذلك لم يكن يكفي للإطاحة بهذا الاستعمار؛ لأنّ هذا الأخير لجأ إلى استعمال الوسائل الوّحشية التّي لا تمتّ للإنسانية بصلة، كانت أقوى من شجاعة بوعمامة وأولاده، والذّي أدّى بهم إلى التّخلي عن القتال والاستسلام، وكان لهذا القرار الوقع الشّديد على الشّاعر ولد بلخير، الذّي عكس ذلك في قوله:

مُوتْ سْلِيمَانْ حَبُهْ جَانِي حَارْ لُومَ قَتْلُوهْ الظَّالمُونْ فَالتْوَارَقْ

رَسْلُو لِيهْ " البْرَيَةْ" وْجَاهْ البَشَّارْ قَالْ لْـهُمْ أَرْوَاحُو اللِّي بْقَى يَلْحَقْ[1]

المتمعّن في هذه الأبيات يلتمس تلك الدّلالة الرّمزية، والإيحاءات الفّكرية للشّاعر ولد بلخير، فنلمس تمثيلا واضحا ومشخصا في رثائه "سليمان" أبن بوعمامة، حيث يصور حالة الحزن والأسى التّي لحقت به جراء فقدان أحد أولاد العزيز، فشخّص نفسيته الرّقيقة المتفجعة الباكية على فراق سليمان، ومثّل لوعة الفراق، والتّي تعكس قوّة العلاقة التّي تربط بين الشّاعر والشّيخ بوعمامة، يقول الشّاعر محمد بلخير واصفا الحالة النّفسية لفراق الشّيخ بوعمامة:

أَبْكِيتْ ِفي مْقَامَكْ حَتَّى بْكِيتْ يُومْ الخْمِيسْ ِفي التَّاقَة الغَرْبِيَة

صَدِيتْ مَنْ بْلاَدَكْ رَانِي صَدِيتْ غَيْظَانْ مَارْسَلْتْ مْشَايَخْ ِليَّ[2]

الظّاهر أنّ الشّاعر يعيش عذابا شديداً وحسرة عظيمة لفراق الشّيخ بوعمامة، وهو ما تفسّره عبارة " ابْكِيتْ فِي مْقَامَكْ حَتَّى بْكِيتْ"، فتكرار فعل البكاء دلالة على الحزن الشديد، والاحتراق الذي أصاب الشّاعر لفقدان الشّيخ، حيث تتبلور نظرته إلى الفراق، في إدراك المعانيّ التّي وظّفها الشّاعر في الأبيات، والتّي أكبر في فراق الشّيخ بوعمامة،حتّى أنّه لم يستطع البقاء في مقامه، ورحل راجيا من الله أن يبعث خليفته إلى هذا الشّعب المكسور، حتّى يساعدهم في مآسيهم ومعاناتهم.

1– التلّي بن الشيخ،المرجع السابق، ص: 239.

2- أ. العربي بن عاشور أشعار محمد بلخير، ص: 239

وقد مثّل الشّاعر الشّعبي الشّيخ بوعمامة بعدّة صور ذات دلالات مختلفة، كأن يراه مرّة أخرى في المعارك الفارس المغوار، وفي السلّم الجواد المعطاء، فالشّاعر دائم التتوّق إلى إعطاء صورة الكمال للشّيخ، وبعد الفراق يزداد إحساسه بالتّعلق به، فتتصور في ذهنه تلك الصّور المثّاليّة، وهذا دليل على الحبّ الذي يكنّه الشّاعر للشّيخ بوعمامة وأولاده.

فالشّيخ بوعمامة أصبح موضوعا يعالجه الشّعراء الشّعبيّون من خلال جعله النّموذج المتكامل؛ نموذجَ الرّجل الشّهم الذّي يتغنّى به الشّعراء، وكان الهدف في ذكر سمات الرّجل أنّه يعتبره رمزا من الرّموز التّي بنت لنفسها مكانا في الذّاكرة الشّعبية، يخلّدها الشّعراء في قصائدهم، ويتغنّى بها ويفتخر بها في محافله.

ومن هنا نلاحظ أنّ الشّعراء الشّعبيين واهتمامهم بالشّخصيّة السّياسيّة للشّيخ بوعمامة مبنيّة على ربط مفهوم الثّورة بالعقيدة الإسلامية، فالاستعمار قبل أن يكون عدوا للجزائر فهو عدوّ للإسلام، «لذلك فإنّ الدّفاع عن الجزائر، والحفاظّ على استقلالها، يعني الدّفاع عن الإسلام»[1].

يجسد الشّاعر الشّعبي في القصيدة الألفاظ والرّموز المتضمنة للمعانيّ الإسلامية، لأنّ الإسلام هو المقياس الذّي يعتمده المجتمع في تحديد هوية الفرد، والشّاعر يؤمن بالدّور الذّي تقدمه القصيدة للمجاهدين وشباب المنطقة، وذلك بحثّهم على الجهاد ورفع معنوياتهم.

كما أنّ للقصيدة دورا في فضح السياسة الاستعمارية التّي تعتمد الظّلم والقهر لإضعاف الشّعب، حتى يتسنّى لها السيطرة عليه، كما تعتمد أيضا على سياسة السّلب والنّهب لحقوق الأهالي، المتمثلة في الأراضي والمنازل والممتلكات.

وما قدّمه الشّاعر في قصائده، ما هو إلاّ عيّنة للأحداث التّي قد يعجز القلم عن وصفها، لكن التّاريخ قد رصدها وسجّلها وهي راسخة في المخيَال الشعبي للفرد الجزائري؛ لأنّها تمثّل جزءا من الحياة الاجتماعية.

1– التّلّي بن الشّيخ، دراسات في الأدب الشعبي، ص: 85.

يقول الشّاعر ابن السّايح الخثّير في قصيدته " يَا وَطْنِي":

نَاسْ الصَّحْرَا كِي تَهْدَرْ يَاهَدَّارْ أُذْكُرْ دِيمَا بُوعْمَامَة وَأَعْوَانَهْ

كَمْ مَنْ عَامْ وْهُوَ يْكَافَحْ دَارْوْدَارْ وَقْتَلْ مَنْهُمْ مَا قْتَلْ ِفي مِيدَانَهْ[1]

إذا تأملنا هذيّن البيتّين نلاحظ تلك الصّورة الشّعبية التّي رسمها الشّاعر عن شخصية الشّيخ بوعمامة، والتّي تحمل دلالات رمزية، مثّلها الشّاعر في قوله "يْكَافَحْ"، والتّي تحمل على عدّة دلالات؛ أهمّها القدوّة الحسنة والأخلاق الصالحة والأسلوب المميّز في إيضاح أمور الدّين والجهاد والدّفاع عنها وعن الوطن، فقد كافح ووقف سدّا منيعا في وجه الدّخلاء على الوطن والمحرّفين للإسلام وتعاليمه الدّينيّة، كما تدلّ على أنّه كافح طويلا لطمس ومحو معالم الاستعمار في النّفوس، كما كافح العناد وكيد الظالمين وإعراضهم عن السيّر في درب الإسلام. وتمثّل اللفظة (يكافح) أيضا أنّه قاتل بكلّ قوّة أعداء الدّين والوطن، حتّى يخلّص الشعب من سياسة التّعسف والاضطهاد التّي مارسها الاستعمار على الشّعب الضّعيف الذّي لا حول ولا قوّة له.

فالشّاعر بهذا يحمل رسالة إلى الجيل القادم، فحواها أنّ الأمل والنّجاح يكون داخل النّفس، وبناء الوطن يكون بتعاليم القرآن والعقيدة السمحاء؛ لأنّ غاية الإسلام بناء المجتمع الذّي تنعدم فيه مظاهر الجريمة وأسباب الفحشاء والمنكر، فيصبح المجتمع نظيفا من الوقاحة، والنّداء أساسه الطهر وعماده الحياء...

وقد استعمل الرّمز في تكراره للفظة " دَارْ" مرتين، ليؤكّد أنّ الشّيخ بوعمامة فاعل وليس قائلا، يفعل ما أمره الله به، ويجاهد في سبيل الوطن، ويسعى إلى تحرير الشّعب، فهو رمز الصّمود والقوّة والصّبر.

وقد مثّل الشّاعر بوعمامة في الوحدة الموضوعية " قْتَلْ مَنْهُمْ مَا قْتَلْ فِي المَيْدَانْ "، للدّلالة على الشّجاعة والإقدام والقوّة في مواجهة العدوّ، وتتعمّق دلالة "القتّل" أكثر عندما يستحضرها الشّاعر إلى جانب شخصية الشّيخ بوعمامة، وتكرار لفظة" القتل" مرتين، للدّلالة على كثرة الأموات الذّين أسقطهم في ميدان

1– د.إبراهيم شعيب، الدّيوان المثّير للشّاعر ابن السّايح الخثّير، مطبعة رويغي، الأغواط،ط1، 2006م، ص: 110.

المعركة، فالشّيخ يعتقد في قتله للعدوّ فيه ميلاد للمسلمين وإعادة المجد لهم، والذّي ضاع منذ ظهور الاستعمار في البلدان الإسلامية، وتكرار لفظة القتل، عمق دلالة الموت أكثر للعدو.

والشّاعر في تمثّلاته لشخصية الشّيخ بوعمامة يحرص كلّ الحرص، على ربط الشّخصية بالرّمز التّاريخي الدّال على العظمة والعزّة ممتلئة بالنّصر والفخر، فهو (الشاعر) يعيش في واقع يحتّم عليه التّفاعل من حيث الأحداث؛ لأنّه لسان الشّعب الذّي يعبّر عن معاناته ويسرد الأزمات والمحن التّي سبّبها الاستعمار، فالشّاعر صادق يعكس هذه المعاناة في شعره، بعد أن أحسّ بها ونطق بها وجدانه، فتكون القصائد صادقة عاكسة لأحاسيسه ومعبرة عن نظرته الى الاستعمار، فهو بذلك جزء من هذه المعاناة.

إنّ الرّموز التّاريخية الممثّلة في شخصية الشّيخ بوعمامة، والتّي وظّفها الشّاعر في نصوصه، تعبّر عن العلاقة الموجودة بين الشّاعر، باعتباره ممثّل الشّعب والشّخصية الرّمزية للشّيخ بوعمامة، فتعكس القصيدة الصّور الذّهنيّة الموجودة في المخيّال الشّعبيّ، وتوضيح الارتباط الحاصل بين الشّعب والشّخصيّة، فاستحضار الشّاعر للشّيخ في قصائده يهدف إلى تعميق دلالة المعاناة، التّي عاشها الشّعب في ظلّ التّسلط الاستعماري، وسياسة محو الأسس الشّعبية التّي يبنى عليها الفّكر الشّعبيّ الجزائريّ، والمتمثّلة في الدّين واللّغة العربية والأصل الأمازيغي، فيلجأ إلى الشّخصيّة التّي يراها الأنسب، ويوظفها كوسيلة ترفع معنويات الشّعب وتدفع به إلى الصّمود والمقاومة والدّفاع عن الدّين والوطن.

الفصل الثاني:

تمثّلات الشّعر الشّعبيّ لشخصية عبد الحميد بن باديس

1- تمهيد

2- المبحث الأول: البّعد الاصلاحيّ الثّقافيّ والدّينيّ

3- المبحث الثاني: البّعد الاصلاحيّ الاجتماعيّ

4- المبحث الثالث: البّعد الاصلاحيّ السيّاسيّ

1 - تمهيد:

تعتبر دراسة الشّعر الشّعبيّ وتسليط الضّوء على شخصية ابن باديس مكسبا مهما للباحث في مجال الأدب الشّعبي، وهو ما يدعونا إلى إظهار أهمّ المواضيع السّياسية التّي عالجتها القصيدة الشّعبية، ودراسة نقاط التّماثل الفكريّ في القصيدة، من حيث وجود صورة الشّيخ ابن باديس في القصيدة أولا، ثمّ في الفكر الشّعبيّ عامة. والسؤال المطروح هو: ما هي أهمّ الصور التّي رسخت في الفكر الشّعبي عن الشّخصية السياسية لابن باديس؟ وهل وظّف الشّاعر عدّة صور حول الشّخصية أم اكتفى بتوظيف صورة واحدة فقط؟

سنركز في هذه الدّراسة على شخصية سياسة أساسية في جمعية علماء المسلمين الجزائريين، حيث نستخرج أهمّ التّمثّلات التّي وظّفها الشّاعر الشّعبي في القصيدة، والتّي تتنوع بطبيعة الحال وتختلف بحسب الأبعاد التّي تصبّ فيها.

قبل الحديث عن هذه الأبعاد، لابد من الإشارة إلى الحياة الفكرية التّي عاشها المجتمع الجزائريّ قبل وأثناء ظهور الشّخصية؛ لأنّ المجتمع الجزائري كان يعيش فترة صعبة أثناء الاستعمار، يملأها الذّل والهوان وكل الأشكال التّسلط مما أدى إلى انتشار الفقر والجهل الذّي أفقدهم طعم الحياة والرّغبة في الوجود، ولمّا ظهرت جمعية العلماء المسلمين، حاولت تغيير هذا الفكر المتخلّف، وحاربت كلّ أنواع الجهل، لكنّ اعترض طريقها العدو الأكبر (الاستعمار)، الذّي حاول تفريقها وأضعف قوتها، حتّى يشلّ أعمال الجمعية وأفكارها الهادفة إلى إصلاح وتنقية فكر الفرد الجزائري من هذا المرض الاجتماعي والثّقافي والدّيني والسّياسي.

لقد شوّه الاستعمار الفّكر الاجتماعيّ والثّقافي وحتّى الديني، كما زرع الفتن بين الأهالي، في سياسة سُمِّيت في ذلك الوقت ب" سياسة فرق تسود"، التّي عرف بها الاستعمار الفرنسي، كما حاول أن يشوه الفّكر الشّعبي بغرس الأباطيل والخرافات، حين أنشأ بعض الزّوايا وسخّرها لأغراضه الاستعمارية، وحاول أنّ يوهم النّاس بأنّ وجوده حماية للدّين وزرع العقيدة الصحيحة، أمّا حريتهم فهي الأمن والاستقرار.

وكان الـهدف من ظهـور جمعية العلماء المسلمين، هو إصلاح المجتمع الجزائريّ فكريّا ودينيّا، وذلك «بالعودة إلى منابع الدّين الصّافية، والثّورة على البدع التّي استحدثها الطرقيون، ونـقد الواقع والخروج من التّخلف المادي، والتحرر من الجمود الفكري»[1].

فالشّخصية السّيـاسية للشّيخ ابن باديس*؛ شخصية فكرية صنعتها مواقفه وأعماله الإصلاحيّة، وقد تناولها الشّعراء الشّعبيّون كرمز من رموز الإصلاح، فهو بالنّسبة لـهم أسطـورة في المخيّال الشّعبيّ، تستحق الذّكر والإشادة، كما يمكننا أنّ نلـمس الميـول الشّعبيّ لهذه الشّخصية؛ لأنّه هو بيّن للعرب والعالم كلّه، ذلك الانتماء العربيّ والإسلامي.

1- المبحث الأول: البّعد الإصلاحيّ الثّقافيّ والدّينيّ

تمتـاز الـقصيدة الشّعبية بخصوصية ذكر الأبطال والتّغني ببطولاتهم، وأعمالهم الفكرية والدّينية وأثرهم على المجتمع، فيحسن الشّاعر توظيفها بحيث لا تؤثّر في جماليات القصيدة الفنّية، وتعطيها صورة من الإبداع والجمال.

ومن بين المـواضيع الـتّي نجدها بكثرة في القصـائد الشّعرية الشّعبية، التّحدث عن مخلّفات الاستعمار، وتأثيره عـلى الفكر الشّعبيّ الجزائريّ، حيث يبدع الشّاعر في تصويرها، باستعماله الـرّمز الذّي يوضّح ثقافة الشّاعر، والتّي تبدو عند الكثيرين ثقافة محدودة، والحقيقة عـكس ذلك؛ لأنّ الشّاعر الشّعبيّ قد أثبت أنّـه لا يختلف عن غيره من شعراء الفصيـح، فهو يملك رصيـدا ثقافيّا وأدبيّا، يجعله يصور الأحداث بطريقة أقل ما يقال عنها أنّها فائقة في الإبداع.

1- الوناس شعباني، تطور الشّعر الجزائريّ منذ سنة 1945م حتّى نهاية سنة 1980م، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1988م،ص 24.

*- هو عبد الحميد بن باديس الصنهاجي نسبة إلى قبيلة صنهاجة، وهي أشهر وأقوى القبائل البربرية في الجزائر، ولد سنة 1889م، والده هو مصطفى بن مكي بن باديس حامل كتاب الله، امتازت عائلته بالشّهرة في العلم والنّفوذ في الحكم والثّراء في المال، ولها دور سياسيّ وعلميّ في تاريخ المغرب العربيّ، حفظ القرآن على يدّ الشّيخ محمد المدّاسي، وأتمّ حفظه في السنة الثالثة عشرة من عمره، تلقى المعارف الإسلامية والعربية على يد الشّيخ أحمد أبو حمدان لونيسي بجامع سيدي محمد النّجار، أكمل تعليمه الثّانوي والعالي سنة 1908م، بجامع الزيتونة المعمور، هناك تفتح عقله وذهنه على آفاق واسعة من العلوم والثّقافة الإسلامية، والطّلع على أمهات الكتب والمخطوطات النادرة والنفيسة.

أدّى الشيخ ابن باديس فريضة الحج سنة 1913م، وألقى خلالها عدّة دروس في المسجد النبويّ، والتقى بكبار العلماء، والتقى بالشيخ البشير الإبراهيمي، وهناك ناقشا الوضع المزري للشّعب، وحاولا البّحث عن السّبيل لإخراجه مما هو فيه.

إنّ الشّاعر الشّعبي في ذكره للأحداث المزرية يصوِّر مشاعره على أنّها تتقطع من شدّة الحزن على فراق الشّخصية، وما حلّ بالبلاد جرَّاء الاستعمار، يقول الشّاعر عمر بن موسى* في قصيدة "ابن باديس":

أَتْفَكَرْ يَـا جِيلْ رَايَدْ نَـهْضَتْنَـا وْعَنُـوا رَحَّمْ فِي انْـهَارْ أَنْ فَرَقْنَاهْ

اِمَـامْ الاِصْـلاَحْ حَصَّنْ أُمَتْنَا بَالْعِلْـمْ وَالإِيمَانْ دَرْسُو مَا نَنْسَاهْ[1]

ويمكن أن يكون هـذان البيتان مفتاحين للكشّف عن شخصية ابن باديس وعن الوضع الاجتماعي الذّي ارتبطت به الشّخصية، ويمكن أن تساعدانا على فهم نفسية الشّاعر، وموقفه من الاستعمار، والأوضاع التّي عاشها الفرد الجزائريّ.

يتحدث الشّاعر عن ابن باديس كرائد للنّهضة بوقوفه ضدّ تلك الأساليب الاستعمارية، ومحـاولته نشرها في الفكر الشّعبيّ، فاستعمال الشّاعر للوحدة الموضوعية (رَايَدْ نَهْضَتْنَا)، دليل على أنّ الأمر لا يخلو من الأبعاد الرّمزية، التّي تعبّر على أنّ للشّخصيـة بصمات في التّغيير الفكريّ والاجتماعي؛ لأنّ المجتمع الـجزائريّ وقت الاستعمـار قد تأثر بتلك الأكاذيب الاستعمارية، وأخصّ بالذّكر هنا ما يتعلق بالأمور الدّينية والتعليمية...

والشّاعر رغم نشأته وقت الاستقلال، إلاّ أنّه يعرف جيّدا أنّ الفّكر تأثر بهذه الأساليب، والدّليل على ذلك، أنّه ما يزال يتمسك بمصطلح العـروشة في وقتنا هذا.

و يهدف الشّاعر الشّعبيّ في تمثّلاتـه حول الشّخصية، إلى عـكس ذلك الشّعور بالفقدان أو اليأس تجاه الحالة المزّرية الـواقعة، والتّي أثرت في الفكر الاجتماعيّ للفرد، باعتبار الشّاعر فردا منهم، يصارع مثلهم ويحسّ بمعاناتهم، فهو يرفض هذا الوضّع، ويتعاطف مع أبناء وطنه، ويتضامن معهم بالوقوف ضدّ هذا العدو.

*- الأستاذ عمر بن موسى روينة، ولد في 1967/09/01 ببلدية البسباس ولاية بسكرة، درس المرحلة الابتدائية في بلدية قايس(الأوراس)، ومرحلة التعليم المتوسط بخنشلة، ومرحلة التعليم الثانوي بأولاد جلال(بسكرة)، متحصل على عدّة جوائز في الشّعر الشّعبيّ، منها جائزة عيد التمور بولاية بسكرة، وجائزة الامام عبد الحميد.

1– عمر بن موسى، قصيدة ابن باديس، غير منشورة(على لسان الشاعر).

أمّا عن الشّخصية التّاريخية التّي يوظّفها الشّاعر الشّعبيّ في قصائده، فـ «هي التّي يكون التّاريخ بأحداثه وزمانه، ومكانه مقومات رئيسية في تصويرها الفنّي. وأحيانا تتخذ من الأدب الشّعبيّ مصدرا لأحداثها وشخوصها»[1].

وهو ما نراه من خلال توظّيف الشّاعر لشخصية ابن باديس في القصيدة الشعبية، فإنّنا نلمس ذلك الحضور الفكريّ والثّقافي، من خلال استعماله لبعض المصطلحات مثل: (حَصَنْ أُمَتْنَا) و(إِمَامْ الإِصْلاحْ) و(بِالْعِلْمْ وَالإِيمَانْ) و(دَرْسُوا)،كلّها توحي إلى التّأثر الثّقافيّ وتأثيره على الفرد.

ويسعى الشّاعر من خلال هذا التمثّل إلى بثّ روح الوعيّ والنّضال في الفكر الشّعبيّ. كما يساند أفراد مجتمعه ونظرتهم إلى شخصية ابن باديس التّي تحمل صفات ومؤهلات خارقة، «في البطولة والإقدام والشّجاعة، لقهر الظّلم الواقع عليهم، سواء كان في المجتمعات القديمة أو الحديثة»[1].

والواضح من خلال هذا أنّ الشّاعر يرفع من قيمة الشّيخ ابن باديس، من خلال ذكره لهذه الوحدات الدّالة على علمه وثقافته الدّينية، وهي صورة فنّية أبدعها الشّاعر الشّعبيّ بتعبير، قد يظهر في البداية تعبيرا مجازيا، «لكنه في الواقع تعبير عن الحقيقة الدّاخلية»[2].

يحاول بذلك، الوصول إلى الحقيقة عن طريق ذكر صفات وأعمال الشخصية التّي لها دور كبير في المجتمع.

إنّ موضوع التّمثّلات، الذّي نعالجه في هذه الدّراسة، حول شخصية الشّيخ ابن باديس يضعنا أمام صور مختلفة، قد وظّفها الشّاعر الشّعبيّ للدلالة على المخبوءات النّفسية والفّكرية، وهي دليل على الصّراع القائم بين ما هو مرفوض وما هو مرغوب به في المجتمع الجزائريّ على وجه الخصوص، فنلمس تلك الدّلالات النّفسية، داخل الصّورة التّي يعالجها الشّاعر الشّعبيّ، في ذكره شخصية ابن باديس، وتوظيفه للشّخصية كوسيلة لردع الاستعمار وأفكاره

1– أ. د.مصطفى السيوفي، تصوير الشّخصيات في قصص محمد فريد أبو حديد، الدّار الدّولية للاستثمارات الثّقافية، القاهرة، ط1، 2011م، ص111.

1 – أ. د.مصطفى السيوفي، المرجع السابق، ص112.

2 - نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثّورية في اللّهب المقدس، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 م، ص91.

المغروسة في فكر الفرد الجزائري، فيكون البعد الثّقافي وسيلة لتحقيق المراد الذّي يصبو إليه الشّاعر الشّعبيّ، حين يوظّف الشّخصية كوسيلة يؤثر بها نفسيّا على الفرد، وهذا ما أكده عبد الله راجع حين قال: «إنّ نجاح الصّورة الشّعرية، في أداء مهمّتها على الوجه الأكمل، إنّما يعود إلى الانسجام والتآلف، الذّي يحصل بين هذين المستويين»[1]، إشارة إلى المستوى المعنويّ والنّفسي، فربط المستويين معا، يوصل الشّاعر إلى دلالات الصّورة الواضحة، أو الصّورة الذّهنية في فكر المتلقّي.

يقول الشّاعر محمد بوشتّة، في مطلع قصيدة " ابن باديس":

يَا شَعْبْ بْلاَدِي زُوخْ الْيُومْ وابْنْ بَادِيسْ زْرَعْ فِيكْ رُوحْ التَضْحِيَّةْ

وَالعُلَمَاءْ جْعَلْهُمْ رْبِي مَثْلَ نْجُومْ ضَاوْيِنْ مَثْلَ المْصَابِيحْ عْلَى البَشَرِيَة[2]

تستوقفنا في هذه الأبيات صورة شعرية مثّلها الشّاعر بوشتة، للكشّف عن دلالة القصيدة الشّعبية، حين وظّف صورة استعارية يوحي بها إلى قيمة شخصية الشّيخ ابن باديس، حيث شبّهه بالعلماء، لكن في الحقيقة هي صورة ليس استعارية؛ بل هي حقيقة موجودة، كانت أعماله وأثاره شاهدا على ذلك. ويريد باستعماله هذه الصّورة إبراز الجانب الحسّي، القائم على علاقة بين الشّاعر والشّخصية السّياسيّة، من جهة، وبين الشّخصية وأفراد المجتمع من جهة أخرى؛ لأنّنا نلمس ذلك التّأثّير المعنويّ والنّفسيّ، من خلال تتبّع أبيات القصيدة كاملة.

ونلاحظ أيضا، أنّ صورة الشّيخ ابن باديس قد تتحقق لفظيا باستعمال الرّمز الذّي يعكس واقع المجتمع الجزائري، الذّي يعاني فكريّا ونفسيّا جراء الاستعمار، فتكون الصّورة الذّهنية وسيلة يستعين بها الشّاعر الشّعبيّ، ليقاسم الشّعب أحاسيسهم الوجدانيّة وارتباطهم الثّوري.

أمّا في الصّورة الثّانية التّي يظهر فيها الشّيخ بن باديس، على أنّه نجم يضيء ما حوله، فهيّ بنية اسمية لها دلالة عميقة، توضّح شيئين أساسيين، الأوّل هو أنّ الشّعب الجزائري كان يعيش في جهل وظلام، من خلال الأفكار

1-عبد الله راجع، القصّيدة المغربية المعاصرة (بنية الشّهادة والاستشهاد)، دار قرطبة للطباعة والنّشر والتوزيع، الدّار البيضاء، (د. ط)، 1988م، ص238.

2 - فتيحة ولداي تبنية، شعر محمد بوشتة الشّعبي- جمع ودراسة-، مخطوط مذكرة ماجستير في الثّقافة الشّعبية، جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2007م، ص131.

الاستعمارية المغروسة في كيّانه. والثّانية أنّ الشّخصية السّياسيّة لابن باديس، هيّ شخصيّة عالمة بأمور الدّين، متفقهة في الشّريعة الإسلامية، وجدت من أجل إصلاح المجتمع من الأفكار الفاسدة للمستعمر، وينقّي المخيال الشّعبي الجزائريّ من هذه الأفكار التّي لا أصل لها ولا مرجع. يقول الشّاعر"حويلي مزروع"* في قصيدة " نوفمبر":

قَاضُونَا شُبَّانْ ضَـاعُو فَـالشَّدَّةْ كِي نَتْفَكَـرْ مُوتْهُمْ تَبْقَى حَايَرْ
لَكِنْ بَنْ بَادِيسْ كَانْ عْلَـى هُدَى قَالْ اَلْمُؤْمَنْ لاهْ يَخْضَعْ لَلْكَافَرْ
رَانَـا مُسْلِمِينْ مَانَـاشْ قْرُودَةَ حْنَايَا هُومَا أَوْلاَدْ الجَزَائِرْ[1]

يتوّلد من خلال قراءتنا لهذه الأبيات شعور وإحساس بالغبن لفقدان الشّبان، لكن حقيقة الفقدان، لم تكن موت الجسد كما ذكر في عجز البيت الأول، وإنّما موت العقل والفكر، والدّليل على ذلك استعماله لفظة "ضاعو"، التّي ترمز إلى ضياع الفّكر، وليس ضياع الجسد، ووقت الشدّة كما ذكر الشّاعر، هو الاستعمار وأساليبه، التّي تدعو إلى ترك العقيدة، وإتباع أفكار لا أساس لها. وهو ما يفسّره الشّاعر الشّعبيّ في البيت الثّاني، حين ذكر أنّ ابن باديس كان على هدى، ولم يتأثر بهذه الأساليب، هو الذّي وجّه الفرد ونصحه وحاول إخراجه مما هو فيه، كما حاول إصلاح فكره التائه، الذّي فقد القدرة على التّمييّز بيّن ما هو حقيقة وما هو كذب، بين ما ينفعه وما يضرّه.

إنّ الشّاعر" حويلي مزروع" رغمّ أنّه عاش فترة الاستقلال، إلاّ أنّه تأثّر كغيره، من الأساليب الاستعمارية، وثار من خلال شعره الذّي يواكب العمل الثّوري ويدعو له، وخلّد الثّورة لأنّ الشّعر أساسه القناعة الذّاتية، وحبّ الوطن واجب على كل فرد جزائريّ، ورغم الاستقلال لم يبخل على أفراد وطنه، بكتابة شعر يمجد الثّورة، ويخلدّ الوطنية في النّفوس، وهو فخور بوجوده، رغم ألمه على ما حلّ بأفراد جلدّته، لكنّه يستبشّر بقدوم الفرج، على يد شخصية سياسية وعالمة بأمور مجتمعه وهو ما نلمسه في بعض النصائح التي يسعى ابن باديس لتقديمها للأفراد المجتمع الجزائري، من خلال قوله "المُؤْمِنْ لاَهْ يَخْضَعْ لَلْكَافَرْ"،

*- هو حويلي بن أحمد بن بلقاسم بن عمر بن أحمد بن محمد بن مزروع، ينتمي إلى عرش أولاد حركات بن زكري بن نايل، ولد في 1963/11/06 ببلدية البسباس، دائرة سيدي خالد الواقعة في ولاية بسكرة.

1– حويلي مزروع، ديوان شعر الشعبي بعنوان قوافي ودموع، دار الفجر، الجزائر، 2011م، ص24.

فـالبنيّة الاسميـة تبيّن نوعية النّصائح التّي قدّمها ابن باديس لأفراد مجتمعه، والتّي تصبّ في إيقاظ الفّكر الشّعبيّ، من سبات الجهل الذّي نشره الاستعمار، وما يوضّح ذلـك لفظـة " المؤمن"، ولفظة " الكافر" اللتان ترمزان إلى تباعد الأفكار بين الـمستعمر وشخصية ابن باديس، كما توحي إلى أن المستعمر يسعى إلى إغراق الفكر الشّعبيّ الجزائريّ في بحر الجهل والعقائد غير الإسلامية.

ونجد الشّاعر بن عزوز بن علي*، قـد أشار للدّور الذّي قام به ابن باديس، في إضاءة عقول الشّعب وإخراجه من محيـط الجهـل والأفكار الضّالة التّي أراد الاستعمار غرسها في المخيّال الشّعبي، حين قال في قصيدته "الله يَاجْوَادْ ":

يَـا سَـامْعِينْ أنشَـادِي نَـبْـتَـدَا قَـوْلِـي بَـالْمْبَشَّـرْ

سِــرَاجْ لَـلْـعْبَادْ الشَيْخْ عَبْدْ الْحَمِيدْ بَحْرُوا زَاخَـرْ

النـُورْ بِيـهْ أَغْشَـانَـا مَنْ هَذَا السَلْطَانْ يُومْ أَنْ جَـانَـا [1]

فصورة " أغشانا " التّي أطلقها الشّاعر على الشّيخ ابن باديس، توحي إلى قوّة الجهل، الذّي انتشر في المجتمع الجزائريّ، من السّياسة الاستعمارية التّي كانت تسعى إلى نشره في أوساط المجتمع، وابن باديس هو " السّراج" الذّي ينير بعلمه عقول الأفراد.

ونلاحـظ تكـاثف الصّور الذّهنية، التّي مثّلها الشّاعر في ذهن القارئ، باستعماله الصّور الاستعارية الشّعرية، والتّي تظهر متراسلة ومتعلقة فيما بينها، والتّي تصبّ في الصّورة العامة، وهي العلم والدّين والثّقافة. وهي صفات العالم الذّي يكرّس حياته في سبيل خدمة الشّعب، وفتح أبواب المعرفة لكلّ طالب علم.

والشّاعـر الشّـعبيّ فـي هـذا الصدد يحـاول تـحذير أبناء وطنه من الاغترار بالكـافر، الـذّي يوهمهم بأنّه يسعى لتوفير الأمن والاستقرار، مستغلا بذلـك

*- شاعر شعبي ينتمي إلى قبيلة أولاد علي، من عرش سيدي خالد، يعرف في الأوساط الشّعبية باسم ابن عزوز الخالدي نسبة إلى سيدي خالد مسقط رأسه، لأنّه كان يوقع أشعاره بهذا الاسم، ولد سنة 1879م بسيدي خالد، تعلم مبادئ الكتابة والقراءة في سنّ مبكرة بالكُتاب، حفظ ما تيسر من القرآن الكريم على عادة أهل ذلك الزّمان، رحل محمد ابن عزوز عن بلدته سنة 1920م، متوجها إلى فرنسا واستقر بمدينة ليون، تأثر بدينه وهو ما انعكس على قصائده، وزاده شاعرية.

1– أحمد الأمين، من فحول الشعراء في سيدي خالد بسكرة، ص 132.

ضعفهم وعدم تحمله الوضع المعاش، فيدعوهم الشّاعر إلى اتّباع أهلّ العلمّ والبّرهان، أصحاب الأخلاق الكريمة. ويواصل الشّاعر محمد ابن عزوز في تمثّلاته لشّخصية الشّيخ ابن باديس فيقول:

تَـحْقِيـقْ ذَا الْمْعَانِـي تَجِدْهَا فِي رَايَسْ الأَخْوَانِـي

يَبْنَـاهْ فِـي الأَرْكَانِـي كِـقْمَـرْ الـمُنِيرْ لَنَا يَظْهَرْ

تَمْثِيـلْ فِـي لْسَـانِـي الشِيخْ عَبْدْ الْحَمِيدْ مَنَهْ أَكْثَرْ[1]

أكثر الشّاعر محمد بن عزوز من استعماله الصّور الشّعرية، عندما تحدّث عن الشّخصيّة السّياسيّة لابن باديس، فتارة يشبِّهه "بالبحر"، وهذا للدّلالة على قدرته الإصلاحية والقيمة العلميّة، التّي اكتسبها من عالمه المعرفيّ، ولأخرى يصوّره "بالقمر" الذي ينير المكان ليلا. وهي دلالة على قدرته الإقناعية، وقدرته على إصلاح المجتمع ونقله من حالة الجهل إلى العلم بمبادئ الإسلام والعقيدة السمحاء. ويصوره مرة أخرى بالبنّاء الذّي يبني الفّكر، على القاعدة الصّحيحة التي يكون أساسها الدّين والعلم. يقول الشّاعر الحاج لعمارة* في قصيدته" ٱلوَطَنْ وَالثَّوْرَةْ":

وَبَاعَثْ الَنَهْضَةْ العَرْبِي فِي الأَصْلْ سِي عَبْدْ الْحَمِيدْ طَوَاعْ الجُهَالْ

بَنْ بَادِيسْ قَالْ يَاجِيلْ ٱلأَمَلْ هَزْ اسْلاَحَكْ مَاتْهَابْشْ مَنْ لَنْذَالْ[1]

يشير الشّاعر في البيت الأول إلى مسألة مهمّة تتمثّل في "النهضة" ضدّ الفّكر الاستعماريّ، فهو يريد المساهمة بالقلم لأجل تغيير هذا الفّكـر، حتّى يرسم لنفسه مكانه في الذّاكرة الشّعبيّة الوطنيّة، فمرحلة النّهضة التّي يقودها الشّيخ ابن

1– أحمد الأمين، المصدر السابق، ص135.

*- الحاج لعمارة من الشّعراء الشّعبيّين المعاصرين، ولد بسيدي خالد في 1959.01.29م، تلقى تعليمه بالكّتاب ثمّ المدرسة الابتدائيّة، متحصّل على مستوى الرّابعة متوسط سنة 1976م. بدأ ينظم الشّعر في بداية السبعينات، ويجمع التراث الشّعبي في سنة 1984م، وخاصة الشّعر الشّعبي،أصبح من أشهر رواة الشّعر الشّعبيّ جمعا وحفظا.
عالج في شعره عدّة أغراض، كالغزال والمدح والرّثاء والقضايا الاجتماعية والوطنية والشّعر الدّيني. شارك في العديد من الملتقيّات والمهرجانات الوطنيّة والمحلّية، منها مهرجان حيزية بالعلمة (سطيف)، كما شارك في الملتقى الدّولي: الخيمة فضاء للقيّم الإنسانية والعيش المشترك، نال جوائز تشجيعية منها الجائزة الأولى الوطنية، ووسام الكلمة الذهبية، ووسام التقدير من قبل رئيس الجمهورية.

1– أحمد أمين، المصدر السابق، ص269.

باديس، هي المرحلة الإصلاحية الثّائرة، التـي انتعش فيهـا الفّكـر والأدب، فأصبح الفرد الجزائري وسيلة من وسائل الجهـاد، ففي هذه المرحلـة «كانت تقض مضاجع العدو وتلك الثّـورة الفّكـرية الـتّي يشغـل أتونهـا رجـال الفّكر»[1].

لذلك كـان الشّاعـر الشّعبـيّ- باعتبـاره أديب الثّورة- يحمل عبـءًا ثقيلا، هو مشكلة تواجه العدوّ باعتباره مركز الإعـلام، ووسيلـة لـنشر الأحداث الواقعة في المجتمع.

وبالعـودة إلـى البيت الشّعـري للشّاعـر الحاج لعمارة، نلاحظ ذلك التمثّل في البنيّة الفعلية "بَاعَثْ النَّهْضَةْ"، والتّـي توحي إلى دلالات مختلفة زمنية ومكانية، فالشّاعر ينسب الحملة الإصلاحية إلـى شخصية ابن بـاديس، ويتمنى أن تكون حياته وحياة أبنائه وأبناء وطنه وأمته كما يتمناها هذا الشيخ، ونلمس تلك الغـيرة علـى العروبـة والإسـلام حين يربط هذا التمثّل بكلمة "العَرْبِي"، ويعني بالعروبة، العربية التـي هي لغة القرآن الكـريم. و«الملاحظ أنّ اللّغـة العربيـة في تلك الظروف، كانت أهمّ المطالب الوطنية التّي كانت جمعية العلماء تطالب بها»[2].

ومن خلال اللّغة، يعلّمنا كيف نتحدّى فداحة الخطب ونقهر قوة الاستعمار، أمّا في بنيّة "طَوَاعْ الْجُهَالْ" فلها دلالة رمزية تدفع الشّاعر الشّعبي «إلى ابتداع علاقات عديدة داخل البنيّة التّركيبيّة»[1].

فالشّاعر يريد أن يصوّر الشّخصيّة السّياسيّة لابن باديس في عدّة صوّر داخل الصورة الواحدة، فكلمة "طَوَاعْ"، لها عدّة وظائف في النّص؛ منـها أنّه يعلم الفرد، ويعطيه الأفكار الصحيحة والسّليمة، وقد تتعدّى ذلك إلى استعمال القوّة في حالة ضعف قوة الاستيعاب، أمّـا الصّورة المجملة فتتمثّل في أنّ ابن بـاديس لن يتراجـع عـمّا بدأه، حتّى يخرج الفرد من ذلك الفّكر الاستعماري العميق. أمّـا كلمة "الجّهال " فيعني بها الإنسان الـذّي لا يفـرق بين الخطـأ والصّواب، لا يفـرق بين الـعدو والـصديق، لا يفرِّق بّين العقيدة الصحيحة

1 - أحمد دوغان، شخصيـات من الأدب الجزائريّ المعاصـر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د. ط)، 1989م، ص45.
2 - التّلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م- 1945م)، ص342.
1 – نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثّورية في اللّهب المقدّس، ص 37.

والمزيّفة، كلّ هذه الدلالات يجمعها الشّاعر الشّعبيّ في البنيّة الفعلية "طواع الجهال".

وقد نجد مجموعة من الشّعراء الشعبيّين، يرمزون إلى الشّيخ ابن باديس "بالمصلح"، الذّي يخرج المجتمع من ظلمات الجّهل الاستعماري إلى العلم بالمُثل العليّا، والقيّم الدّينيّة. يقول الشّاعر الشّعبي "أحمد شوقي"*:

قْوَامْهَا ٱلاَمِيرْ خَالَدْ وَٱلأَخْبَارْ ابَنْ بَادِيسْ بَٱلعِلْمْ فَطَنْ الغَفْلَىَ[1]

يلاحظ من خلال هذا البيت، أنّ الشّاعر كان حالما متمنيّا راجيّا بقاء الشّخصية، التّي وقّعت ببصماتها في الفّكر الشّعبيّ الجزائريّ، وأثرت فيه وهو دليل أنّ الشّعب، ليس شعبا جاهلا؛ بل ظروفه المعيشية القاسية التّي كان الاستعمار سببا في وجودها، جعلته يتبعه ضعفا وليس جهلا، فلم يجد من يوقظ فيه القوّة المكبوتة التّي ظّلت خامدة داخل جسمه، وهذا ما لاحظناه في الثّورات الشّعبيّة العديدة، التّي قادها أبطال جزائريّون في السابق، وهو دليل أيضا على أنّ الشّعب يبحث عمن يقوده ويوجهه، ففي داخله قوّة غير القوّة العادية، لا تجدها إلّا في الشخصية الجزائرية، هي ميزة الفرد الجزائري التّي ورثها عن الأجداد منذ زمن بعيد، وهي راسخة لا يمكن لأي كان إضعافها.

إنّ الشّاعر الشّعبيّ، كغيره من شعراء الجزائر، يحسّ بمعاناتهم ويعيش ذلك القهّر الذّي عاشوه، لذلك فهو قريب من الشّعب، ويرى أنّ الشّعب غافل وليس جاهلا؛ لأنّه لم يجد من يوجهه، ويبيّن له السّبيل الصحيح، لذلك فهو يصور الشّيخ ابن باديس على أنّه العالم الذّي بعثه الله تعالى، ليزرع الوعيّ الصحيح ويخرج هذا الشّعب المحقور من ظلمات الغفلة، ووضعه في المسار الصحيح، هو مسار الإسلام والعقيدة السليمة.

*- القصيدة بعنوان " في مدّة أسبوع انتشرت الأخبار"، وهي قصيدة ثورية من نظم أحمد شوقي، هو من مواليد 1932 بالأولاد عيسى ولاية غليزان، وقد نظمها في خمسة أجزاء : الجزء الأول سنة 1954 والجزء الثاني سنة 1956 والجزء الثالث 1960 والرابع والخامس سنة 1962.

1- أحمد حمدي، ديوان الشّعر الشّعبيّ شعر الثّورة المسلحة،ص: 135.

هذا النوع من الأشعار الشّعبية، يدعو فيه الشاعر إلى التحرر من قيود المستعمر، سواء أكانت هذه القيود سياسية أم فكرية ثقافية أم دينية عقائدية أم اجتماعية.

كما يدعو إلى رفع الظّلم، والوقوف ضدّ أساليبه حتّى ينصف الشّعب ويرجع حقه المسلوب، والمتمثّل في العيش الآمن والاستقرار الدائم. يقول الشّاعر المختار في قصيدة "الثامن مارس":

جَا سُلْطَانْ الفْصُولْ فِي عِيدَ كْ مَبْرُوكْ يَـا أَرْضْ الْحَيَاةْ نَبْتَتْ فِيكْ جْيـاَلْ

أَنْـجَبْتِ نَبِي حَـرَّكْ مَنْ وَأْدَتْ بُـوكْ وَصْبَحْ عَنْدَكْ حَقْ فِي وَسْطْ الرّْجاَلْ

وَالأمِيْـر يْقُـولْ ذِي بَنْـتْ ٱلمُـلُوكْ وَبَـنْ بَـادِيسْ عَلْمَكْ بَٱلعِلْمْ حْلاَلْ[1]

يدعو الشّاعر المختار بن صدّيق إلى «المحافظة على عهدّ الشّهداء، ومواصلة بناء الجزائـر، وذلـك بالعلّـم والمعرفة وعدم التّفرق والاختلاف...»[2]، وهـذا الاختلاف إن وقع سيغرق الوحدة الوطنية، ويهشّ البناء الوطني الذّي ضحـّى من أجله أكثر من مليون ونصف مليون شهيد.

وقصيدة "الثامن مارس" هي وسيلة من وسائل التّوعية والإرشاد؛ لأنّ الشّاعر يذكّر بأهـمّ الشّخصيّات التّي أسهمت في بناء الدّولة الجزائرية، سواء أكان بالبناء السيّـاسيّ مثّـلما فعل الأمير عبد القادر، أم بالبناء الفكري مثلما فعل ابن باديس، حين وضع أسـس الدّولة الجزائرية ووضّح انتماءها وأصالتها.

وضع الشّيخ ابن باديس علمه بين أيدي أمته للخروج بهم من ظلمات المستعمـر إلى نور التّحـرر بعد اجتثـاث بذور الشّقاء والفساد الذّي سببه الاستعمـار. ويدعـو إلى التّحـرر من قيوده، حيث يعبّر الشّاعر الشّعبيّ في قصائده «عن وجدانه ويعـكس عـلى صفحته الجميلة، منازع نفسه ومناحي تفكيره حية نـابضة»[1].

1– أحمد قيطون، شعر المختّار بن صدّيق، مخطوط رسالة ماجستير في الثّقافة الشّعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2002م، ص 228.

2– المصدر نفسه، ص 56.

1 – عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشّعر العربيّ الحديث، دار المشرق العربيّ، بيروت، ط1، 1985م، ص384.

والمراد عند الشّاعر هنا بالتّمني إعطاء يد العون إلى أمته، حتّى يتحرّروا من قيود الاستعمار، فهو يشكو تارة، ويرثي تارة، ويفتخر تارة أخرى، وهذا دليل عن المعاناة التّي يعيشها في مجتمعه، فلا يدّخر جهدا حين يجد فرصة الافتخار بأمجاد الأبطال، فيذكر روحهم الطّاهرة، ويشيد بخصالهم الحميدة، ويبرز أصلهم الطيّب الذّي ينتمون إليه.

استعمل الشّاعر في قصيدته لغة ترقى إلى الفّكر البشريّ، فقد أحسن المزج بين اللّغة والفكر، وفق رؤيته إلى الأشياء والأحداث الجارية، ومع «ارتقاء الفّكر البشري، ترقى لغته ويرتقي تعامله معها»[2]. وبذلك يصبح الشّعر تعبيرا عن أفكار الشّاعر، بمساعدة الألفاظ التّي تسهل عملية التواصل، فاللغة عند الشّاعر الشّعبي هي «لغة مشيرة إلى اللّغة الرّامزة، وهو لا ينبغي بهذه اللّغة الرّامزة تعقيد اللّغة، واللغة تميل مع ارتقائها إلى الدّقة والبساطة معا»[1].

وبالعودة إلى الأبيات الأخيرة نجد الشّاعر الشّعبي يتحدّث عن الجزائر بلغة رامزة، وكأنّه يخاطب امرأة، فهو يربطها بهؤلاء الرّجال الذّين ضحّوا من أجلها، وجعلوا لها أصلا تنتمي إليه، فـ«الشّاعر يخرق اللّغة العادية، بابتعاده عن الحدود الضّيقة للّغة، وربّما قدرته على استثمار إمكاناتها البلاغيّة والدّلاليّة في النّص، وتوظّيفها بإعادة صياغتها من جديد، حسب المعطيات المستجدة»[2].

و نلاحظ من خلال الصّورة التّي وظّفها الشّاعر، حين يخاطب الوطن أنّه ينقل الجامد إلى المتحرك الحي؛ إذ يسند صفة الإنجاب إلى الوطن، وهو دليل على القيمة التّي تملكها الشّخصيّة الجزائريّة، فالشّاعر يوحّد بين الكون والإنسان، فدلالة الإنجاب التّي نقلها من الإنسان إلى الوطن توضّح التّداخل والتّفاعل النّفسي بينهما، و«هكذا نجد الصّورة والرّمز، قد حددا أيضا نوع الخيّال الذّي يمكن أن يلاحظ، في تعابيرهم الفنّية وفي موضوعاتهم المختلفة، وإذا كان البعض من يتناول الصّورة الشّعرية، تعوّد على منح الخيّال أو الرّمز فيها»[3].

2 – العربي دحو، الشّعر الشّعبيّ ودوره في الثّورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ص227.
1 – العربي دحو، المرجع السابق، ص227.
2 - نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثّورية في اللّهب المقدّس، ص37.
3 – العربي دحو، الشّعر الشّعبيّ ودوره في الثّورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ص233.

وقد اهتمّ المحدثّون باللّغة الشّعريّة، واعتبروا أنّ «اللّغة تعني الطريقة أو الأسلوب، التيّ تتحقق من خلال الإحساس والانفعال والتّفاعل مع التّجربة، فمن خلال اللّغة يحقق الشّاعر استقلاليته وتميّزه»[1].

وهذا ما نلاحظه من خلال الأشّعار الشّعبيّة التّي تميّز بها الشّاعر الشّعبيّ في نقله للأحداث، ومعالجته للمواضيع التّي تؤثّر في المتلقي وتهزّ وجدانه.

و قد عايش الشّاعر الشّعبي الأحداث السّياسيّة والثّقافيّة لحظة بلحظة، وتأثّر بها كما يتأثّر أفراد المجتمع، وهذا ما نلمسه في شعر عبد الحميد عبابسة، في مطلع قصيدته: "نهضة الإصلاح في الجزائر":

عُلَمَاءْ ٱلإِصْلاحْ فِي الدِّيَانَةْ تَنْشُرْ الشِيخْ اِبْنْ بَادِيسْ إِمَامْ المُصْلِحِينْ [2]

وهو يقصد بعلماء الإصلاح رواد النّهضة الفّكرية في الجزائر ومؤسسيي جمعية العلماء المسلمين، الطيّب العقبي* والبشير الإبراهيمي** وعبد الحميد بن باديس.

يحاول الشّاعر تصوير أهمّ الأعمال والأهداف الحقيقية في إنشاء الجمعية، وهي تصحيح العقيدة من التحريفات الاستعمارية الهادفة إلى ضرب الاستقرار الشعبي وتفرقة الشعب، من خلال تشويه الفكر العقائديّ وتحريفه، ومن أهداف الجمعية أيضا، نبذ تلك الخرافات التّي غرست في المخيَال الشّعبي الجزائري من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، والتّي ما تزال راسخة في الذّهن إلى يومنا هذا، رغم الجهود القائمة من طرف المعينين بالإعلام في محاولاتهم إيقاظ الفكر الشّعبي وتوعيته والقضاء على هذه الخرافات.

وهناك أهداف أخرى، تعتبر من أولويات الجمعية، وهي إيضاح وإزالة الغموض الذي يكتنف الفكر الفردي والجماعي للمجتمع الجزائري، قصد

---

1 - جحيش سهيلة، شعر شهداء الثّورة الربيع بوشامة نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة، الجزائر، 2008م، ص 100.

2 - عبد الحميد عبابسة، الدُر المكنون في الشّعر الملحون، ص83.

*- الطيّب العقبي أحد رواد ومؤسسو جمعية العلماء المسلمين، ولد ببلدية سدي عقبة سنة 1890م وتوفي سنة 1960م وكان نائب الكاتب العام إضافة إلى عضو من الأعضاء المستشارين.

**- البشير الإبراهيمي من الأوائل في تأسيس الجمعية، هو والشّيخ ابن باديس عندما كانا في المدينة المنوّرة، ولد سنة 1889م بمدينة سطيف، وتوفيّ سنة 1965م، وهو نائب رئيس الجمعية.

إنـارة الطريق للشّعب حتّى يفرِّق بين ما هو إيجابي وما هو سلبي، وبين ما ينفعـه وما يضره، كي يعرف كيف يواجه الأمور القادمة، فيقبل عليها «إقبال العـارف بأهدافه وغاياته»[1].

وكانت تهدف الجمعية أيضا إلـى استقلال المجتمـع الجزائـري؛ لأنّ الجزائر قبل كـل شيء، ليسـت كما كانت تـزعمّ فرنسا أنّها فرنسية؛ بل لها أصالتها وذاتيتها الحضارية وانتماؤها؛ فالمجتمع الجزائري مجتمع أصيل النشأة، محافظ على عاداته وتقـاليده، محـافظ على تعاليم الإسلام، يمتاز عن بـعض الشّعوب بالكرامة والعزة والعدالة، ويصبو إلـى بلوغ القمـة الفكريـة، وينبذ التخلف والتدني الاجتماعي والعلمي...

كلّ هذه الأفكار اختصرها الشاعر الشعبي في كلمة "تَنْشُرْ"؛ أي ينشر القيّـم الرّوحيـة التّـي حثّنا الإسلام عليها. والشّيخ ابن باديس هو زعيم هذا الإصلاح ومسيّره، فهو الإمام الذّي يخرج الفرد من ظلمات الفتن والخرافات إلى نور العلم والتّطور الفّكري.

وقد أبرز الشّاعـر عبد الحميد عبابسة* أهمّ الأعمال التّي قام بها زعيم وإمام الإصلاح الشّيخ عبد الحميد بن باديس، في قوله:

اَلأُسْبُـوعْ الثَّقَـافِي فِـي نُورْ عَـاصِمَـةْ الشَّرْقْ الجَزَائِرْ

قَـسَنْـطِينَـة جَمَالْهَـا مَنْظَرْ يَـتْمَتَـعْ فِـيهَـا كُلْ زَائِرْ

سِيـرَتهْاَ شَـايْعَـةْ بِجَمَـالـهْاَ تَـارِيخْهَا مَعْرُوفْ بَرْجَالـهْاَ

بَـنْ بَـادِيسْ عَلّـَمْ أَبْطاَلـهْاَ كَـوَّنْ فِيـهَا الشَّعْبْ الثَائَرْ

عَبْدْ الْـحَمِيـدْ بَـنْ بَادِيسْ لَـوَنْ مَـدَارِسْ بَالتَأْسِـيسْ

عَلَـى الْـعِلْمْ وَالْفَكْرْ حَارِيسْ وَالـعِلْـمْ فِي قَسَنْطِينَة زَاهَرْ[1]

1– الزّبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889م- 1940)، دار الهدى عين مليلة، الجزائر،(د. ت)، ص: 61.

*- القصيدة السابعة والأربعين، في الأسبوع الثقافي لعاصمة الشّرق قسنطينة سنة 1970م.

1– عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون في الشّعر الملحون، ص106.

هذه صورة أخرى أعطت لشخصية ابن باديس مكانة في الفّكر الشّعبيّ الجزائريّ عامة والقسنطينيّ بخاصة، و«ممّا لاشكّ فيه أن شخصية "ابن باديس " أصبحت تلك الشّخصيّة المحبوبة والمرغوب فيها، لأنّ المجتمع الجزائريّ يدين بالإسلام، يشترط في من يؤمّه أن يتّصف بصورتين شاملتين: " الخَلْقُ " و"الخُلق "، من هنا قدمه الشّاعر الشّعبيّ للاستدلال على الاكتمال أو الكمال، كما قدمه في أخلاقه العسكرية والاجتماعية في محاولة للاعتراف بما قدمه في سبيل إصلاح المجتمع من كل ما هو ضدّ الفّرد والإسلام والوطن»[1].

استفاد الشّاعر الشّعبيّ من عدّة مواقف للشّخصية، ووضّح بطريقة رمزية صورا دالة على الفضل الكبير، الذّي قدمته لأفراد المجتمع، فهو "المعلّم" الذّي اكتسب مكانة في قلوب أفراد كلّ المجتمع، سواء المتّقدمة منها أو المتأخرة، وعبر العصور الماضية أو العصر الحاضر، فالمعلّم هو ضرورة أساسية في التّعليم فهو أساس النّظام التّعليمي، لكن الصّورة هنا تختلف عن صورة المعلّم العادي، الذّي يدرّس في المدرسة، فصورة المعلّم هنا، والتّي وظّفها الشّاعر تخصّ الأبطال، الذّين أنشأهم ابن باديس وعلمهم الطريقة المثلى، ليكونوا أهلا للمهمّة التّي خلقوا من أجلّها، علمهم مبادئ الدّين وسنن المعاملة الحسنة، والأخلاق الحميدة، وغرس فيهم ثقافة الجهاد في سبيل الله والوطن، فصورة المعلّم هنا أسمى وأرقى من صورة المعلّم في المدرسة؛ لأنّ المهمّة والعبء الذّي تحمله الشّخصية على عاتقها أكبر بكثير من مهمّة المعلم في المدرسة، فالمهمّة هنا تحدد مصير أمة بكاملها.

وينتقل الشّاعر في القصيدة نفسها إلى إبراز صور أخرى التصقت بشخصية ابن باديس، حين يعرض البنية الفعلية " لَوَنْ مْدَارِسْ بَالتَأْسِيسْ "، والبنية "عْلَى العِلْمْ وَالْفِكْرْ حَارِيسْ"، وهو دليل على «أنّ الثّورة الجزائريّة، لم تكن حربا من أجل الحرب، وإنّما من أجل الدّفاع عن المبادئ المقدّسة المتمثّلة في الدّين الإسلاميّ واللّغة العربية واستقلال الجزائر»[1].

هذه المبادئ الثّلاثة التّي وضعها الشّاعر الشّعبيّ كهدف من أهداف الوقوف ضدّ الاستعمار، فهي توضّح صورة تقريبية عن نظرة الشّاعر الشّعبي

1 – العربي دحو، بعض النّماذج الوطنية في الشّعر الشّعبي خلال الثّورة، ص 83.
1– عبد الله خليفة ركيبي، القصّة الجزائرية القصيرة، ص51.

إلى شخصية ابن باديس، وهي رموز داله على قوّة الشّخصية وتأثّيرها على النّفوس بإبراز أهمّ الأعمال الثّقافية والدّينية والاجتماعية... التّي صدرت عنها، والتّي كانت تهدف إلى إصلاح الفّكر أولا ثمّ المجتمع، فإصلاح الفّكر الاجتماعي ضرورة ملحّة، لتطوير المجتمع اقتصاديّا وسياسيّا، لذلك ركّز الشّيخ ابن باديس على الإصلاح الفّكري قبل الإصلاح السّياسيّ والاقتصاديّ....

وقد ترمز البنّية الفعلية "لَوَنْ المَدَارِسْ بَالتَأْسِيسْ" إلى عدّة دلالات أهمّها: أنّ المدرسة هي القاعدة الأولى الّتي يبدأ فيها الإنسان مبادئ العلم والتّعلم، لكن موضوع الدّراسة يعني في المجتمع الجزائريّ أساس الثّقافة، «وكون الأساس الرّئيسي للثّقافة، يوجد في عقول النّاس وليس في أيّ مظاهر خارجيّة، وما العناصر المادية إلاّ نتاج للسلوك الثّقافي»[2].

وترتبط الدّراسة دائما بالعلم، وهما شيئان ضروريان في الحياة الاجتماعية، نضيف إليهما الدّين والتّراث الشّعبي، ف«فالدّين هو أهمّ عنصر يشكّل المقومات الأساسية للمجتمع، وهو الذّي يولّد النّظم الثّقافية السائدة في المجتمع، إذ لا يوجد شيء ألصق بالثّقافة من الدّين»[1].

وتمثّل الأبيات الأخيرة، علاقة الشّخصيّة بالمكان، الممثّل في مدينة قسنطينة، والأبيات كلّها مبنيّة على الرّمز، فنلاحظ ذلك الالتحام الواضّح بين الشّخصيّة والمدينة، التّي ترمز إلي مهد العلم وبلاد العلماء، فاستطاع الشّاعر وبطريقة فنية جميلة المزج بين شخصية ابن باديس ومدينة قسنطينة، في نقطة التقاء؛ وهي العلم والتّطور المعرفيّ الفكريّ، فالعلم في قسنطينة كما ذكره الشّاعر بقوله: " وَالعِلْمْ فِي قَسَنْطِينَةْ زَاهَرْ "، علم متطور ومنتشر بين أفراد المجتمع، فهي نسيج العلم ومهد العلماء.

وقد سار الشّاعر الشّعبي "قادة قندوز" في قصيدته "يا وطني العزيز بالدم نفديك"،على درب الشّعراء السّابقين، الذّين ربطوا الشّخصية بالمدينة أو البلد، حين قال:

يَا وَطْنِي اَلعْزِيزْ بَالدَّمْ نَفْدِيكْ مَا نَنْسَى اَللِي فَاتْ وَالْحَقْ يَنْقَالْ

يَا الجِيلْ الصَّاعَدْ بَاغِي اَنْعَييكْ قَارْيِينْ الثَّقَافَة تَارِيخْ لَجْيَالْ

اللّي اَمَتْوَرَخْ فِي اَلكْتُوبْ مَا فِيهْ تَشْكِيكْ تَارِيخْنَا فِي الْكْتُوبْ وَاعْلِيكْ لَقوْاَلْ

2 - د. وهيب سمعان، الثّقافة والتّربية - دراسة تاريخية مقارنة -، دار المعارف، مصر، 1961م، ص 13.

1 – د. أحمد بن نعمان، هذي هيّ الثّقافة، شركة دار الأمّة للطّباعة والتّرجمة والنّشر والتّوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 1996م، ص127.

تَارِيخْ بَنْ بَادِيسْ مَاهُوشْ خَافِيكْ الشَيْخْ بُوعْمَامَةْ هُوَ وَالْأَمِيرْ لَبْطَال[2]

يكتسب الوطن قيمة كبيرة في نفس الفرد الجزائريّ، فالوطن يشكل أحد مقومات الوجود، وأساس الانتماء، فحبّ الإنسان وارتباطه بالوطن، شعور إلهيّ ينشأ مع الفرد منذ وجوده الأول في الحياة، لكن هذا الحبّ قد يقوى ويتمتن حين يتعرض الوطن إلى الاحتلال، فالتّجربة المعاشة في الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي، هيّ تجربة مريرة وقاسية عرف فيها الفرد الجزائريّ قيمة الحرية، حين خاض صراعا مريرا مع العدوّ، الذّي اعتبر الجزائر فرنسية، وعمل على تجريد الشّعب من أرضه وتعريضه إلى معاناة الحرمان والجوع والفقر.

إنّ التّضحيات التّي قدمها أبطال الجزائر، أمثّال الشّيخ بوعمامة والأمير عبد القادر وابن باديس وغيرهم شكلت قوّة اتصال بين الفرد الجزائريّ ووطنه، حيث لا يمكن لأيّ قوّة مهما كانت أنّ تفرق بينهم.

وبذلك أوجد الشّاعر الشّعبيّ من هذه العلاقة، موضوعات عديدة في قصائده، وذكّر الأجيال بتضحيات الأبطال، وتاريخهم المليء بالمواقف، حتّى وصل به الأمر إلى إضفاء نوع من التّقديس على هذه الشخصيات، ومن أهمّ الرّموز الشّعرية في القصائد الشّعبيّة، معالجة القضايا الفكرية والثّقافية، وربطها بالشّخصيّات السّياسيّة.

إنّ تاريخ ابن باديس الذّي ذكره الشّاعر الشّعبي في الأبيات الأخيرة كبير وحافل بالمواقف، ومن أبرزها التّعليم العربيّ والتّعليم الدّيني، حيث «سعت الجمعية إلى توسيع دائرة الأمكنة، بإحداث مكاتب حرّة للتعليم المكتبيّ للصّغار، وتنظيم دروس في الوعظّ الإرشاد الدّيني في المسجد، وتنظيم محاضرات في التّهذيب وشؤون الحياة العامّة في النوادي»[1].

ومن مواقف الجمعية أيضا، إصلاح الدّين من البدع والمنكرات والطرق المتّبعة؛ لأنّها سبب التّفرق والضلالة، والقضاء عليها يقضي على الشّر والباطل المنكر.

---

2 - عبد القادر لصهب، شعر قادة قندوز الشّعبيّ، مخطوط رسالة ماجستير في الشّعر الشّعبيّ، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007م، ص 152.

1– أ. الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النّهضة العلميّة والفّكرية (1889م- 1940م)، ص62.

ومن بين الأساليب الاستعمارية التّي حاربتها الجمعية، التّبشير الناتج من التعصّب المسيحي المسلّح، واستعمالها كأداة من الأدوات السّياسيّة، «في ثوب دّينيّ وشكل كهنوتي دفعته ليكون رائدها في الفتح وقائدها إلى الاستعمار»[2].

لكن الاستعمار لم يفلح في مهمّته التّبشيرية؛ لأنّه وجد شخصية جزائرية مسلمة متمسكة بدينها، رغمّ أنّ معظم الأفراد من الأميين والفقراء، لكن وجود أبطال أمثَال ابن باديس جعل الأميّة والجهل ينصهران، ويعوّضهما بالعلم والوعي، وهذا ما أشار إليه الشاعر الشعبي في قوله:

فْرَنْسَاالمَقْهُورَةْ بْأَعْمَالهَا الشِّينَة ْمَشْهُورَةْ

كِي دُورْ الدَّوْرَةْ تَعْمَلْ فِي نَارْ بُعْمْزِّيَةْ[3]

يشير الشّاعر إلى فرنسا بالمقهورة؛ وهي دلالة على الظّلم والاضطهاد الذّي مارسته في حقّ الشّعب الجزائري، والدّليل على ذلك قوله في العجز: " بْأَعْمَالهَا الشِّينَةْ مَشْهُورَةْ "؛ أي أنّها معروفة بأعمال التخريب، وقهر الضّعفاء وقتل النّساء والأطفال والشيوخ، وحرق المزارع ونشر الكفر، بالاعتماد على سلطة الغنى والقوة، واستغلال ضعف الشّعب ماديّا ونفسيّا، لتفرض عليه إتباعها، حتّى ظهر الشّيخ ابن باديس، الذّي راح يواجه قدر شعب وطنه، ويواجه المواقف المخالفة للعقيدة ويرفضها رفضا قاطعا، فـ«لم يكن هناك كفر، ولكن إسلام مشوّه، لم يكن هناك جهل فحسب، بل ثقافة دخّيلة مسمومة»[1].

فالشّعب الجزائريّ الذّي وجده ابن باديس، قد يئس واستسلم لهذه الأساليب من هذا الغريب الدّخيل، رغم ما يميّزه عن غيره من صلابة وقدرة على مواجهة الصعاب، وكان أكبر المتأثّرين هم الشّباب الذّين يميلون إلى التّقليد الأعمى، فشوَّهت ثقافتهم وشوهت لغتهم، وجاء ابن باديس ليبيّن ويثبت أنّ الجزائر عربية اللّغة وليست فرنسية، ومسلمة ولا تدين إلاّ بالإسلام، يقول ابن باديس:

شَعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ

2– المرجع نفسه، ص65.

3 – التّلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م- 1945م)، ص344.

1 – بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثّورة، دار النفائس، بيروت، ط2، 1983م، ص127.

مَـنْ قَـالَ حَـادَ عَـنْ أَصْلِهِ أَوْ قَـالَ مَـاتَ فَـقَدْ كَـذِبْ[2]

لقد اتخذ ابن باديس كوسيلة للإصلاح الثّقافيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ، التربية والتعليم، فـ«إنّ الإصلاح يتناول ميادين التوجيه الأخلاقيّ والاقتصاديّ، والثّقافيّ والسياسي... أمّا الانصراف إلى إصلاح حالة واحدة، فإنّه لا يؤدي إلى نتيجة؛ بل يؤدي إلى الهدم والتخريب»[1].

وتكون المدرسة المرحلة التّعليمية الأولى لتوجيه الطّفل وتعليمه المبادئ الصحيحة، وتوجيهه أحسن توجيه، ولذلك نجد معظّم الشّعراء الذين أشاروا إلى ابن باديس، يذكرون دائما العلمّ والمدرسة، التّي ارتبطت شخصيته بهما، وما أعماله وانجازاته إلاّ شاهد على ذلك الارتباط.

2- المبحث الثاني: البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ

لم يشمل الإصلاح عند الإمام ابن باديس الثّقافة والدّين فقط؛ بل شمل أيضا الإصلاح الاجتماعيّ، ويتمثّل هذا الإصلاح في تنقيّة أخلاق المسلم من الفساد؛ لأنّ «الإصلاح الاجتماعيّ يقوم على أساس أنّ الأخلاق تنبع من الدّاخل، وأنّ الوسيلة هيّ تطهير القلوب، وتغيّير النّفوس، وهذا يؤدي إلى تغيّير المؤسسات الاجتماعية»[2].

وكي يصلح أخلاق المسلمين؛ لابد من إصلاح علمائهم من الأمة؛ لأنّ العالم في أمته مثل القلب في الجسد، فإذا صلح القلب صلح الجسد كلّه، وإذا فسد القلب فسد الجسد كلّه، ولن يصلح العلماء إلاّ إذا قدّموا علما صالحا، وأصلحوا التّعليم، وهو ما قام به الإمام ابن باديس حين بدأ إصلاحه الاجتماعيّ، بإصلاح التّربية والتّعليم، عن طريق تصحيح العقائد والأخلاق، فباطن الإنسان أساس الظّاهر، يقول الله تعالى: **" قَدَ افْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا"**[1].

---

2 – أ. الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النّهضة العلميّة و الفكرية (1889م-1940م)، ص : د.

1 – د. عمّار الطالبي، أثار ابن باديس، المجلد الأول، تفسير وشرح الأحاديث، ج1، الشّركة الجزائريّة، الجزائر، ط1، 1968م، ص 100.

2 – المرجع نفسه، ص 101.

1 – سورة الشمس، الآيتان09 و10.

وقد تختلف الأخلاق من إنسان لآخر، لـ«هذا نجد القاعدة الأخلاقيّة، لا تتّسم بالوّضوح والتحديد، نتيجة لاختلاف الجوانب الدّاخلية للأفراد، والشّعور العام للجماعة»[2].

والإصلاح عند الإمام ابن باديس يبدأ بإصلاح العلماء، وهذا ما تحدثّ عنه في مقال بعنوان " صلاح التّعليم أساس الإصلاح "، حيث يقول: «لن يصلح المسلمون، إلاّ إذا صلح علماءهم، لأنّهم بمثابة القلب للأمة ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صلح تعليمهم»[3].

فالفّكر عند ابن باديس يجمع بين العلم وطبيعة الإنسان الفكرية، بين ما هو نظريّ وما هو علميّ، وهذا دليل على القوّة النّفسية التي يتمتّع بها الشّيخ، وطبيعة الفّكر عند المؤمن، والدّليل على ما قلناه، قوله «العلّم قبل العمل، ومن دخل العلم بغير علم لا يأمن على نفسه من الظلال»[4].

والفكر الاستعماري المغروس في الذّاكرة الشّعبيّة، لابد من إسقاطه عن طريق العلم، ونعني بكلامنا هذا، البدع والضلالات والمعتقدات الخاطئة والخرافات...

وهذا كلّه من الأهداف التّي سعى إليها الشّيخ ابن باديس؛ أي تنقية المجتمع من هذه الرذائل، المقصودة منها والمفعول عنها، فراح يوجه الطفل باعتباره قاعدة المجتمع ومستقبله المشرق إلى تكوين شخصيات متكاملة من كلّ النواحي الاجتماعية والأخلاقية، ويكون الهدف من التّربية، إصلاح الدّين والأخلاق والقيّم الاجتماعيّة، فالدّين يربينا على ألفة الجوع، وعدم التبذير والاقتصار على حسب الحاجة، فـ«طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الثلاثة يكفي الستة...»[1]، وهذا يحثّ على التّضامن والمواساة بين أفراد المجتمع الذين يجمعهم دين واحد وثقافة واحدة.

ومن هذه الفكرة، انطلق الشّاعر الشّعبي ينظم قصائده ويربطها بالوجود الإنساني، ويعكس واقعه المعاش، وينظم القصائد ليعبّر فيها عن آلامه وآلام

2 – إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق... والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)، المجلس الأعلى للثّقافة، دار الكتب المصرية، مصر، 2001، ص90.

3 – د. عمار الطلبي، آثار ابن باديس، ص 101.

4 – المرجع نفسه، ص102.

1– أ. الزبير بن الرحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889 م - 1940م)، ص83.

الشّعب، ورفضهم لكلّ ما يخالف اعتقادهم الدّينيّ من جهة ورفضهم الحياة الاجتماعية المزريّة من جهة أخرى.

ومن خلال القصائد الشّعبية، نستلهم تلك الازدواجية في الوظيفة، التّي تؤديها اللّغة العاميّة في النّص، ما يدّل على أنّ الّرمز يدفع باللّغة والصّورة الذّهنية إلى الإبداع، داخل البنيّة التركيبيّة الاسميّة والفعليّة في النّص الشّعريّ الشّعبيّ، وإنشاء علاقة مع البنيّة العميقة التّي تدلّ على الموضوع المعالج، وبذلك توجد الفكرة الشّعريّة المراد توضيحها للقارئ، فاللّغة العاميّة هنا هي وسيلة تجسّد الصّور في الخطاب الشّعريّ.

لقد اتخذ الشّعراء الشّعبيّون قرارا بتوحيد كلمتهم، وهي الانتصار على العدو واستقلال المقومات الوطنية، فعبّروا عن وجدانهم النّابع من أصالتهم وشغلوا ساحة الشّعر الشّعبيّ في الجزائر، بأرقى التّعابير الفنّية وبلغة عامية بسيطة الفهم، بليغة المعاني، والتّي تحمل دلالات واسعة في المعنى. يقول شّاعر شّعبيّ في إحدى قصائده:

لُـغَـتْـنَـا فْـنَـاتْ حَتىَّ جْوَامَعْنَا تْفَرْمَاتْ

مَـا بْـقَـاتْ حْيَـاةْ الـذِكْرَيَـاتْ كَثْرَتْ عْلِـيَ [1]

وأول أسلوب استعماريّ قام به الاستعمار محاربة اللّغة العربية، والتّي تعتبر من مقومات المجتمع الجزائريّ، فهي التّي توحد المجتمع الجزائريّ وتميّزه عن باقي المجتمعات، كما أنّها لغة القرآن الكريم الذّي أنزل على سيّد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وهي لغة أصحاب الجنّة التّي يسعى المجاهدون إلى الفوز بها، وهي التّي تؤكّد انتماءنا العربيّ والدّينيّ، و«الملاحظ أنّ اللّغة العربيّة – في تلك الظروف، كانت من أهمّ المطالب الوطنيّة، التّي كانت جمعية العلماء تطالب بها»[2].

والموضوع نفسه عالجه الشّاعر عمر موسى، عندما ذكر نصائح وإرشادات الشّيخ ابن باديس، محاولة منه إخراج الشعب ممّا هو فيه بقوله:

1– التّلّي بن الشيخ، دور الشّعر الشّعبيّ الجزائريّ في الثّورة (1830م- 1945م)، ص 342.
2– المرجع نفسه، ص: 341.

سِي عَبْدْ الحَمِيدْ هَاكْذَ عَلَمْنَا لَلْحْيَاةْ سْلاَحْ مَنْقُولُو جَبْنَاهْ

وَمَنْ كُلْ الخْطُوبْ يَاسَرْ حَذَرْنَا لَلْعَدْيَانْ السَمْ بَالنَّارْ أَمْزَجْنَاهْ

وْمَنْ شَرْ المُحْتَلْ حَصَنْ لُغَتْنَا وْمَنْ كِيدْ التَنْصِيرْ لَكْتَابْ أَحْفَضْنَاهْ

الشَبَابْ عْلِيهْ نَبْنِي أُمَتْنَا إِذَا كَانْ أَحْنَا بْحِكْمَةْ عَلَمْنَاهْ

وَأَنْوَرِيهْ أَمْجَادْ فِيهَا عَزَتْنَا وْبَالمُقَومَاتْ عَقْلُو سَلَحْنَاه[1]

نلمس من خلال هذه الأبيات نوعا من التّفاؤل بمستقبل الحياة الاجتماعية، ويوضح الشّاعر السبيل إلى هذا التفاؤل، بالتّباع نصائح الشّيخ ابن باديس الذّي يدعو إلى العلم وإتباع تعاليم الدّين وأسس العقيدة، لأنّه سلاح الحياة وحامي الفّكر والمنجّى من كيّد الظّالمين، فابن باديس يرى في العلم الهدّف الرئيسي للإصلاح الاجتماعي، والذّي يوصل إلى القمّة، يقول في ذلك: «إنّ كلّ ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فإنّنا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية»[2].

ويقصد الشّاعر في قوله "مَنْقَوْلُو جَبْنَاهْ"، أي من نصائحه ودروسه وإرشاداته التّي كان يقدّمها ابن باديس، أخرجنا أبناء الوطن من الضلالة التّي غرسها الاستعمار في فكره، ودليل على ذلك قوله في البيت الموالي " مَنْ كُلْ خْطُوبْ يَاسَرْ حَذَرْنَا "؛ أي حذرنا من تلك الخطب الاستعمارية، التّي تظلل الفّكر وتوهمه بالصّور الكاذبة، التّي توحي إلى حسن نيّة الاستعمار، وأهدافه الكاذبة التّي بيّن فيها أن وجوده في الجزائر من أجل نشر الأمن والاستقرار وتعليم الشعب ما ينفعه من خلال نشر دين مزيف.

ورمز الشّاعر الشّعبي للاستعمار " بالسم" و" العديان"، وهي رموز تدّل على عدّة أشياء، أهمّها أنّ السمّ له وظيفة واحدة هي القتل، ولذلك فهو يريد أن يبيّن الهدف الرئيسي للاستعمار المتمثّل في قتل الشّعب، إمّا قتله جسديّا أو فكريّا أو دينيّا، فالعدوّ لا يجني منه إلا التّعب والشّقاء والأزمات، ولا يمكن للعدوّ أن يمنحك ما تحب، لذلك فهو يحذرنا منه ويصرّ على ذلك.

1– عمر موسى، قصيدة ابن باديس..

2– د.عمار طالبي، أثار ابن باديس، ص: 104.

و يبيّن الشّـاعر ويشخّـص الحالة، ويحدد مصدر الفساد والجهل، بقوله: " مَنْ شَرُّ المُحْتَلْ حَصَّنْ لُغَتْنَا"، فـهو يـركّز عـلى الجانب الأخلاقي؛ لأنّ شرّ المحتل ليس في إضعاف اللّغة؛ بل أكثر من ذلك؛ لأنّـه يغرس في الشّعب فساد العقل، ومن ثمّة فساد الدّين، لأنّ أساس الدّين هو العقل، الذّي يميّز بين الحلال والحرام، وبين الجائز والممنوع عنه الجواز، وما يثبت كلامنا هو قوله: " مَنْ كِيدْ التَنْصِيرْ لَكْتَابْ أَحْفَظنَاهْ"، يـعني ذلـك أنّ الشّاعر يرمز إلى ابن باديس، بالأداة التّي تساعد على حماية اللّغـة والـدّين، من كيد المحتّل، فهو يرمز إليه على أنّه الوسيلة التـي تستطيع حماية الفّكر من كلّ ذرّة ضّـارة؛ لأنّه الرّجل الواقف بالمرصاد لكلّ محاولة تهدف إلى زعزعة استقرار البلاد.

و قد نجد الشّاعر حين يقف على الوضع الاجتماعي للفرد، يـخص فيـه بذكر الشّباب الذّي يعتبر أساس بناء الوطن، حيث يبرز أمرا مهمّا هـو التعليم، فعبارة " بْجِكْمَهْ عَلَمْنَاهْ"، تدلّ على أهميّة الدّروس الذّي تلقاها الشباب، ويـعني بالحكمة، التّجربة التّي اكتسبها الشّيخ من دراساته عند أكبر المشايخ، والتـي اكتسبها أيضا من رحلاته العلمية إلى المشرق واحتكاكه بالعلماء، والتّي أكسبته حنكة وخبرة في مجال تلقين الدّروس وتعليم العلوم الفقهيّة والدّينيّة، فهو يوجه خطابه لمن كانت طبيعتهم السّماع والرؤية الحسنة، فالحكمة تسمح بالتعايش مع القائم وتبريره.

إنّ الدّور الذّي يلازم الشّاعر في هذه الأبيات، يتمثّل في إبراز أهمّ الصّور الموجودة في الذّهن، خـلال ذكـر الشّيخ ابن باديس، والتّي أظهرتها بعض المصطلحات الدّالة، كالقول والخطاب والحكمة والتّحصّين والحفظ... وكلّها تدلّ على الأعمال التّي قام بها ودوره في أنقاذ المجتمع، لكن " الشّاعر الملحون لا يكتفي بذلك، بل هو يتجاوزه نحو إسـداء النّصيحة وإعطاء التّوجيه الكفيلين عند الأخذ بهما، بتخفيف ضغط الواقع واحتمال نتائجه، وغالبا ما يؤكّد شعراء الملحون، على قيم أخلاقية مثل الصّبر»[1].

1– عبد الصّمد بلكبير، شعر الملحون الظّاهرة ودلالاتها، جزء الأول، اتصالات سبو، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2010م، ص157.

أمّا المقومات التّي يتحدّث عنها الشّاعر في قولـه: "بَالْمَقَومَـاتْ عَقْلُو سَلَحْنَاهْ "، فيقصد بها «الكرم والأمانة ورعاية الجار، وصون اللّسان والفرج، وإطاعة الله والنبيّ والوالدين، والرّفق باليتامى والأطفال والشّيوخ»[1].

ومن بين المقومات أيضا، دفع المضّار عن ثلاثة أمـور مـوجودة في الإنسان، هي العقل والدّين، «فيثّقف عقله بالعلّم، وتقوم أخلاقه بالسلوك النبيّ، ويقوّي بدنه بتنظيم الغذاء، وتوقي الأذى، والتّربص على العمل»[2].

و بهذا يسعى الشّاعر إلى توضيح أمر مهمّ، سعى ابن باديس إليـه من خلال حملة التّوعية والإرشاد، وهي بناء الشّخصيّة الجزائريّة، من خلال الفكر والشعور والعمل، وليس فقط من خلال بناء الفرد الإسلامي، أو من النّـاحية الأخلاقية.

يقول الشّاعر عبد الحميد عبابسة:

اِبْنَ بَـادِيسْ رَايَسْ ٱلاصْلاَحْ فِـي قْـلوُبْ ٱلمُخْلِصِينْ فَتَـاح ْ

فَسَّرْ الَـقُرْآنْ بَـنَـجَاحْ فِـي النَهْضَة الإِصْـلاَحِيَة نَـاهَرْ [3]

نجد الشّاعر في هذه الأبيات، يستعمـل الجمـل الاسمية، التّي ترد في المواقف التّي تستدعي ذكر أعمال الشّخصيـة، مثل: " رَايَسْ الإِصْلاحْ " و"الـنَّهْضَة الاصْلاحِيَّة مَاهَرْ "، ويستعمل الجمل الفعلية في مثل قوله: " فَسَرْ اَلقُرْآنْ بِنَجَاحْ " و" فِي قْلُوبْ المُخْلِصِينْ فَتَاحْ "، وهـذا تعبير من الشّاعر، عن الرؤية الفعلـية للأعمال المنجزة للشّيخ ابـن بـاديس، والفضّائـل الأخلاقية الحميدة، أمّا عند استعماله الجملة الاسمية، فهو تعبير عن صفات الشّخصية الخلقية المتمثّلة مثلا في: "أخو الأزمات " و" المخلص "...، وذلك لتأكيـد هذه الصفات وثبوتها في شخص ابن باديس.

ومن بين الصّفات أيضا صفة " التّقوى "، المتمثّلة في البنيّة الفعلية " فَسَّرْ القُرْآنْ بِنَجَاحْ "، والتّي تحثّ علـى الالـتزام بـه؛ لأنّ «تقوّى الله هي الزّاد

1 – عبد الصّمد بلكبير، المرجع السابق، ص 157.
2 – د. عمار طالبي، آثار ابن باديس، ص 105.
3 – عبد الحميد عبابسة، الدرّ المكنون في الشّعر الملحون، ص106.

الحقيقيّ، الذّي ينبغي على الإنسان أن يتزوّد به لذلك اليوم، وأن يبذل حياته الدّنيا في احتوائه، والعمل لأجله»[1].

أمّا في الوحدة الموضوعيّة "فِي النَّهْضْة الاصْلاحِيَة مَاهَرْ"، فهو يربط «نزعة الاصلاح التّي ظهرت في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى»[2] بالشّخصية السّياسية لابن باديس؛ لأنّه رائدها وأحد المؤسسين لها، فهو ماهر في زرع أفكارها الصّحيحة، والتعامل الحسن مع الوضع المعاش، فهو ذكي في توظيف أفكاره الدّينية لحلّ الأزمات الاجتماعية والفّكرية، التّي غرسها الاستعمار الفرنسيّ في الفّكر الشّعبيّ.

ظهر الإصلاح الاجتماعيّ في الجزائر، على يد أحد علمائها، وعرف «في مراحل متكاملة تمثّل تطور مفهوم الإصلاح عنده»[1]، فهي تعنى بما جاء به القرآن الكريم والسنّة النّبويّة، كما تعنى بالمشّاكل الاجتماعيّة وتحاول إصلاح الفّكر الاجتماعيّ عند الفرد الجزائريّ، وإعادته إلى الطريق الصحيح.

لقد جسّد الشّاعر الشّعبيّ في شعره الملحون، معظّم القضّايا الواقعيّة، المطروحة في المجتمع، وأبرز سلوك الفرد السلبيّة والإيجابيّة، وتنحصر معظم هذه القضايا في الصّراع القائم بين أساليب الاستعمار، والذّي نتج عنه «الفقر والقهر والصّراع بين الخيّر والشرّ والحريّة والعدالة الاجتماعية»[2]، وهذا كلّه يعبّر عن مسألة اجتماعية، صنع منّها الشّاعر الشّعبيّ موضوعا اجتماعيا، جعل له شكلا تعبيريا دقيقا ومفصلا، معتمدا في ذلك على النّمط القصصيّ في سرده للواقع المعاش، موضحا الوضع الاجتماعي المزري في صورة تعكس المعاناة التّي عاشها الفّرد الجزائري وقت الاستعمار، وما يزال يعيش آثارها إلى يومنا هذا، من خلال الممارسات الخرافية والاعتقاد بالأضرحة...وغيرها من العادات التي نشرها المستعمر، والتّي حاربها الشّيخ ابن باديس، عندما رفع التّحدي واجتهد سنة 1913م، لمّا قام بنزعة الإصلاح ضدّ هذه الممارسات.

---

1 – محمد شحادة تيم، مفهوم الأخلاقّ في الشّعر العربيّ في العصّر العباسيّ الأول، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، 1994م، ص 476.

2 – د. أحمد شرفي الرّفاعيّ، الشّعر الوّطني الجزائريّ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010م، ص56.

1 – د. أحمد شرفي الرّفاعيّ، المرجع السابق، ص: 57.

2 – أ. د. مصطفى السّيوفيّ، تصوير الشّخصيّات في قصص محمد فريد أبو حديد، ص: 203.

ونلاحظ أنّ هذه الظواهر الاجتماعية التّي عرفت في المجتمع الجزائريّ، والمتمثّلة في زيارة الأضرحة، لم تعد موجودة كسابق عهدها في ولايات الشرق، لكن تجدها موجودة بكثرة في المنطقة الغربيّة للبلاد التّي لم تصّلها هذه النّزعة الإصلاحية، وهذا دليل على قوّة تأثّير شخصية ابن باديس على المجتمع الجزائري عامة.

و كلمة "فَتَاحْ" المذكورة في عجز البيت الأول، تنقل إلينا تجربة الشّاعر في الحياة، لتعمّق فينا الأخلاق، مثل التّواضع والصدّق والأخوّة والتّقوى، كما تنقل إلينا التّجربة الذّاتية للشّاعر.

و يحاول الشّاعر من خلال إبرازه لأهمّ التمثلات الشعرية لشّخصية ابن باديس، أن يبرز صورة الكمال التّي ينسبها إلى ابن باديس، ولم يصرح الشّاعر بهذه الصّورة؛ لأنّ الكمال يقود إلى النّقص، وتلك هي السّمة الغالبة في حياة الإنسان؛ لأنّ الإنسان إذا اكتمل أجله ورزقه فقد انتهى أجله، لذلك لا يريد أن يفصح عن هذه الصورة، لكي لا يحكم على الشّخصية بالانتهاء، فالشخصية باقية لا محال في الذّاكرة الشّعبيّة، حتّى وإن فقد الجسم؛ لأنّ الموت حقيقة دينيّة، لكن الشّاعر الشّعبيّ يحاول أن يقوّي هذه الحقيقة، في نفس وفكر الفرد الجزائري، عندما يقدّمها له كتجربة حيّة، تكون الشّخصيّة البطلة محور هذه التّجربة. يقول الشّاعر "عمر موسى":

الظَالَمْ مَنْ جَاوْ قَصْدُو يَخْذَلْنَا وْجَدْنَا لُو كُل آَفَهْ حَارَبْنَاهْ

وْ إِذَا مُتْ يْقُولْ لِيكُمْ صَيْحَتْنَا ٱلْجَزَائِرْ لَلْعْرَب وْطَنْ آنْسَبْنَاهْ

عَلَمْنَا خْصَالْ عَنْهَا وَصَانَا وبِهَا كَانْ يْحَبْ وعَنْهاَ عَاهَدْنَا

آرْحَمْ ذَا لإمام واقْبَلْ دَعْوَتْنَا غْفْرَانَكْ يَا حَيْ عَبْدَكْ يَتْرَجَاهْ

يَحْيَا وَطْنِي فِيهْ تَكْمَلْ فَرْحَتْنَا عُرُوبَهْ واِسْلاَمْ شَعَارْ أَرْفَعْنَاهْ[1]

يقصد الشّاعر بكلمة " الظّالم"، الاستعمار الذّي طبق على الأهالي، سياسة تعسفية وأوهمهم بأنّ وجوده في الجزائر، من أجل نشر الأمن والاستقرار، لكنه

1– عمر موسى، قصيدة ابن باديس.

خدع هذا الشّعب وزرع في المجتمع الآفّات الاجتماعية، وخرب عقول الأفراد، وأصبح الفرد يعيش مأساة حقيقية، ومن هنا يمكن القول: «إنّ تجسّيم احتلال الجزائر، بأنّه (مأساة اجتماعية) ليس من المبالغة في شيء، فهي الوجه الأكثّر دلالة عليه، والأصدق ترجمة عن أبعاده ونوايّاه»[2]، والمتمثّلة في زعزعة استقرار الفرد وزرع فيه نوع من الرّعب واللا استقرار.

فالشّاعر يلفت انتباه القارئ، حين يذكر الظّالم و"ابن باديس"، في موقف المقارنة بين الخيّر والشرّ، بين الأحباب والأعداء، محاولا إبراز التناقض الموجود بين أخلاق الشرّ، المتمثّلة في صورة الاستعمار، وأخلاق الخير المتمثّلة في صورة الإمام المصلّح عبد الحميد بن باديس.

أمّا شعار الإصلاح، فقد مثّله الشّاعر في البنيّة الفعليّة " عَلَمْنَا خِصَالْ عَنْهَا وَصَانَا"، فالإصلاح مرتبط «بالممارسة العلميّة للدّعوة المعروفة، بأهدافها الاجتماعية والدّينية»[1]. هذه الدّعوة المتمثّلة في إصلاح ما خلّفه العدوّ من تلك الآفات، التّي يصوّرها الشّيخ المولود الزّريبيّ بقوله: «وقد ظهر في قطرنا الجزائريّ في هذا الزّمان بدع كثيرة، واعتقادات فاسدة، ومنبع هذه البدع بعض الزّوايا»[2]، وهذه الزّوايا التّي يقصدّها الشيخ في قوله "هيّ من إنتاج استعماريّ"، أراد من خلالها زرع الفتن ونشر الضّعف بين المسلمين ونشر الانحراف لدى الأفراد في المجتمع الجزائريّ، وهذا بطبيعة الحال، النّقطة الأساسيّة التّي حاربها ابن باديس، وأصلح المجتمع الجزائري منّها، وفي أبيات أخرى يعبّر الشّاعر عبد الحميد عبابسة، عن نفس النقطة، حين يقول:

سِيرْتَـةْ زَاهْرَةْ بَالعُلُومْ كُلْ عِلْـمْ فِيهَا مَقْيُومْ

الثَّقَافَـة وَالإِصْلاَحْ يْدُومْ ومْصَابَحْ العِلْمْ تَتْنَاوَرْ

التْوَارِيخْ عْلِيكْ تَتْكَلَمْ يَا مَهْدْ الإِصْلاَحْ والعِلْمْ

2- د. صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائريّ الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص: 35.

[1] - د.أحمد شرفي الرّفاعي، الشّعر الوطنيّ الجزائريّ، ص: 53.

[2] - الزّريبي المولود، بدور الإفهام أو شموس الأحلام، على عقائد إبن عاشور الحبر الهمام، المطبعة التونسية، تونس، 1912م، ص: 61.

رْجَـالَكْ العُلَمَـاءْ تَتْعَظَـمْ يَا جَنَـةْ السـايَـحْ وَالزَائَـرْ

سَلاَمِـي الَجْمِيعْ سُكَـانَـكْ بِالثَـقَـافَـةْ أَتْـرَفَعْ شَـانَكْ

اِبْنْ بَـادِيْسْ بِالعِلْمْ صَانَـكْ خَـلْفْ مْصَـابَـحْ تَتْنَـاوَر[3]

أحسن الشّاعر عبد الحميد عبابسة، في التّعبير عن المضمون الذّي عالجه الشّعراء الشّعبيّون من قبل حول شخصية ابن باديس، حيث يمثله بعدّة صور مثل: " مهد الإصلاح"، الذّي يرمز من خلال هذا التعبير، إلى الانتقال الفكريّ المتخلف للفرد الجزائري، من مرحلة الجهلّ إلى مرحلة العلّم بأمور الدّين، ومحاربة تلك الأفكار، التّي راهنت فرنسا على إيصالها وترسيخها في الفكر الجزائري، في مهمّتها الحضارية في الجزائر، عن طريق التعليم المبنيّ على القيم الفرنسية، وترسّيخ ثقافتها الاستعمارية، محاولة احتلال الفّكر، والتّغلب على الرّوح المعنوية، التّي غرستها فيهم مواقف الأبطال وصمودهم في وجه الاستعمار.

لكن إرادة الشّعب كانت أقوّى، حين رفض تحسين الوضع التعليمي، باعتبار الطّبيعة العنصرية التّي ميّزت سلوك المعمر الفرنسي، ومعاملاته السيئة لأفراد الشعب الجزائري؛ لأنّه كان ينظر إليه، على أنّه لا يصلّح إلاّ للأعمال الشّاقة.

في هذه الظّروف الاجتماعية، التّي عاش فيها الشّعب الجزائريّ، والتّي أثّرت فيه، وجعلته يعيش مرحلة التّخلف ويعيش مرارة الحرمان من أدنى حقوقه، والتي أثرت في تكوين شخصيته العلمية والثقافية والاجتماعية.

إلى أن ظهرت جمعية العلماء المسلمين، التّي ترأسها الشّيخ عبد الحميد بن باديس، والذّي يعتبر المؤسس الأوّل لهذه الحركة، التّي قامت على أساس تعليم الفرد أصول الدّين ومبادئه، عكس ما حاولت فرنسا نشره في الفّكر الشّعبيّ.

ورغمّ هذا الوضع الاستعماري، إلاّ أنّ بعض الشّخصيات الجزائريّة، حققت نوعا من الاستثناء، أمثّال الشّيخ ابن باديس، الذّي هاجر إلى بلاد التّعليم المشهورة بالمشرق، مثّل جامع الأزهر وجامع الزّيتونة بتونس،كما اتّجه نحو

[3] – عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون الشّعر في الملحون ص: 106.

الجنوب، أين التحق بالزّوايا التّي كانت تمثّل المراكز التّعليميّة والدّينيّة وقت الاستعمار.

وبالعودة إلى الأبيات التّي بين أيدينا، نلاحظ أنّ الشّاعر يخاطب مدينة العلماء التّي لها مكانة علميّة وثقافيّة كبيرة إبان الاحتلال الفرنسي، لاحتوائها على أعرق الجامعات، والتّي كوّنت العديد من العلماء، فقسنطينة لها مكانة علميّة وحضارية مثّلها مثل باقي الجامعات المشرقية المعروفة في ذلك الوقت.

وتميّزت هذه الأبيات أيضا، بالتصوير الفنّي المميّز، من خلال استعمال الشّاعر للصور البيانية المتنوعة مثل: " مهد الإصلاح" و"جنة السايح والزائر" و"خلّف مصابح تتناور"، وغيّرها من الصّور الرّمزية، الدّالة أولا على القيمة العلميّة التّي تزخر بها مدينة قسنطينة، والمفيدة ثانيا لقيمة الشّيخ ودوره في إنارة عقول الشّعب الجزائري في مدينة قسنطينة، وإخراجهم من ظلمات الجهلّ الذّي كان نتيجة السّياسة الاستعماريّة الهادفة،إلى تحطيم الإرادة الشّعبية، والتّي كان للعلّم والتّعليم دور هام في ذلك، فالتّغيّير الذّي كان هدفا يسعى العلماء الجزائريون إلى تحقيقه،عن طريق نشر الفّكر الإصلاحيّ، هذا الفكر الذّي نسبه الشّاعر الشّعبيّ، إلى ابن باديس، يقول في ذلك الشّاعر الشّعبي محمد بوشتة:

فَـطْنَـتْ شَـعْبَـكْ مَالنُـومْ وْفِي كْتُوبَكَ خَلِيتْ لِيهْ وَصِيَّةْ

مَا رْضِيتْ بِيهْ أَيْعِيشْ مَذْمُومْ أَيْعِيشْ فَالذُلْ تَحْتْ العُبُـودِيَّةْ

العِلْـمْ وَرْدَة مَـا لْـمَشْمُـومْ وَلِـي شَمَـهْ يَبْرَى مَا لأُمِيَّة

وَالـجَهْلْ طَـمْعَـهْ مَسْمُومْ وَالأُمِـي مَكْفُـوفْ فِي الدُنْيَّا[1]

تبيّن هذه الأبيات، استعمال الشّاعر لبعض الألفاظ ذات مستوى دلاليّ، مثل ذكر "الجهل والعلم" و" فطن ونوم"، وهي ألفـاظ متبـايّنة المعاني، يريد الشّاعر من خلالها، إلى تقريب المعاني إلى المتلقي، حين يبرز التبايّن المعنويّ بين اللّفظتين المتقابلتيّن في المعنى، وهي دليل على التّحدي المستّمر في النّفس الشاعرة، ضدّ كلّ إعاقة تواجهه في الحياة، وخاصة الاستعمار الذّي يعتّبر أكبر عائق، يقف أمام تطور الفكر الاجتماعيّ والثّقافيّ والدّينيّ...

1– فتيحة ولداي تبنية، شعر محمد بوشتة الشّعبي، ص: 131.

وهذا النّوع من التّعبير، يوضّح الغّاية المقصودة لدى الشّاعر، في استعماله الكلمات المتقابلة، والتّي تدلّ عن «المواجهة العنّيفة الدائمة بيّن المواطن والدّخيل، في صورة ثورات لا يهدأ لها نفس، أبعاد اجتماعيّة قائمة، تنبع من الفّشل الذّي تمنى به هذه الثّورات، أمام القوّة الغاشّمة»[2].

وقد وظّف الشّاعر "الجهل"، للدّلالة على الاستعمار الذّي سعى إلى غرسه في المخيّال الشّعبيّ الجزائريّ، حتّى لا يجد صعوبة في السّيطرة على الأجسام، فكانت «الحملة تستهدف جسما وروحا، فقد أدركت أنّ الخطر لا يمكن أن يزول بإبادة الجسم وحده، فطاردت الاثنين معا»[1].

أمّا في استعماله "العلم"، فهو للدّلالة على شخصية ابن باديس المصلحة، لهذه الحملة الساعية إلى تدمير الفّكر والجّسم والدّين، والدليل على ذلك قول الشّاعر: " فَطَنْتْ شَعْبَكْ مَالنُومْ"، فكلمة النّوم دلالة على ظلام الجهل، المملوء بكلّ أنواع العبوديّة والاضطهاد الممارس من طرف الاستعمار الفرنسيّ، وتوظيفه للفظة فطنت، التّي يقصد بها نشر العلّم وتوضيح وتيسير الأمور الغّامضّة في كلّ من الدّين والحياة الاجتماعيّة.

وعندما يتجاوز الشّاعر الشّعبيّ مرحلة التّعبير والتوضّيح، ينتقل إلى مرحلة النّصح والإرشاد، والاعتماد على التمثّيل اللّفظي والمعنويّ لشخصية ابن باديس، حين يخيّر الأفراد بين من يختار العلم سيكون مصيره حتما الشّفاء من مرض الأميّة، ومن يختار الجهل ويتّبع الجهلاء سيكون له سمّا يؤدي به إلى الهاوية، وهو ما رمز إليه الشّاعر، بالأعمى في الدّنيا والآخرة.

و شاعر الملحون في هذه الأبيات، يمثّل شخصية ابن باديس بعدّة صور متنوعة ومختلفة حسب التّوظيف الشّعري لها، يصور تارة بالخير من خلال سعيه إلى توفير الأمن والاستقرار للأفراد، وإخراجهم من ظلمات الجهل، حتى يميّز بين ما ينفعهم وما يضّرهم، ويمثّل تارة أخرى الشّخصية بصورة الإخلاص، المتمثّلة في توجيه الفرد الجزائري إلى السّلوك الحسن، والاعتماد على العقل والسّعيّ إلى الاجتهاد وأتباع القرآن الكريم والسنة النّبوية.

2 – صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائريّ الحديث، ص: 36.
[1] – صالح خرفي، المرجع السابق، ص: 50.

كما يمثّل الشّخصية بالوفاء للوطن وعدم السّماح لأيّ كان المساس بقيم الدّولة ومقوّماتها. أمّا صورة الصّدق فتتمثل في اعتماده العقيدة الصحيحة الثّابتة، وهي عقيدة الإسلام التي لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يغيّر فيها، كما لا يمكنه أن يغرر بمجتمعه؛ لأنّ صفات الإمام هيّ التّوجيه والإصلاح.

وكلّ هذه الصّور، تصبّ في مصبّ الأخلاق التّي يستحسنها المجتمع ويأمر باحترامها، فهيّ عواطف نبيلة تزرع الاحترام بين النّاس، تحثّ على فعل الخير، والأخلاق لا تكون من أجل المنفعة الذاتية للفرد، بل تكون من أجل المنتفعة العامة قصد إرساء الاحترام بين الأفراد والعيش في سلام.

3- المبحث الثّالث: البّعد الإصلاحيّ السيّاسيّ

عرفت الجزائر نهضة شاملة وقت الاستعمار، ونتج عن ذلك ظهور أفكار تحررية ضدّ هذا الدّخيل، وأدت إلى ظهور ثورات يقودها رجال العلم والثّقافة، هدفهم الرئيسيّ خدمة الوطن، وكان ابن باديس أحد هذه الشّخصيات، التّي أسهمت في خدمة الوطن، يقول ابن باديس: «وأنّا أشعر بأنّ كلّ مقوّماتي الشّخصية، مستمدّة من (الوطن) مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي، أوّل ما تتصل به مباشرة؛ لأنّني كلّما أردت عملا، وجدتّني في حاجة إلى رجاله وماله وحاله وآماله وآلامه»[1].

وأوّل الأعمال التّي قام بها في مجال السّياسة، البحث عن «الجماعة القائدة المفكرة، التّي تقود المجتمع إلى الحضارة»[2]، عن طريق انتخاب الجمعية وتعيّين أعضائها.

وتزامن ظهور الجمعية، في وقت ضعف فيه الوعيّ الوطني، وزادت مظاهر الظّلم والإرهاب المسلّط على الفرد الجزائريّ، وظهور النّزعة الوطنيّة المعروفة، «بالضّعف والبّساطة وانعدام التّنظيمات

1- د.عمار طالبي، أثار ابن باديس، ص: 106.
2– المرجع نفسه، ص: 107.

السّياسية، ووسائل الإعلام والقيّادة الوطنيّة، التّي تحدد أهداف النّضال وطرقه»[3].

ومن هذه النقطة، يمكن القول إن الشّعر الملحون عالج القضايا السّياسية، باعتباره الوسيلة الإعلاميّة، في الوقت الذّي غابت وسائل الإعلام، التّي كانت تميل إلى الإعلام الفرنسيّ، وتبرز محاسنه.

وأهمّ الأعمال الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسيّاسيّة، التّي قام بها حتّى يخفّف معاناة الشعب من الوّضع المزّري الذّي عاشه الشّعب الجزائريّ، بسبب سياسة فرنسا الاستعمارية، بناء الجمعية وتسطير الأهداف الرّامية إلى تحسين الوضع الأمني، والاجتماعي والثقافي لدى الفرد.

و قد وظّف الشاعر شخصية ابن باديس، كرمز يؤثر به على الفرد الجزائريّ ويحفز به المجاهدين؛ لأنّه شخصية عالمة بأمور المجتمع، ومثقفه ثقافة جزائرية أصيلة، يعرف التصرف ويحسن التّسيير، يقول الشاعر الشعبي في ذلك:

تْكَلَمْ الفْحَلْ عَرْبِي مَا يَحْمَلْشْ الذُّلْ

رَاجَلْ بَطَلْ أَصْلُو مَنْ الإِبْرَاهِيمِيَة[1]

يمثّل الشّاعر من خلال البيتين، دلالات إيحائيّة لبعض الكلّمات الرّامزة، وهذا يدّل على القوّة الشّعرية والإبداعيّة في الشّعر الملحون، والمجسّدة في تركيب الخطاب الشّعريّ الشّعبي.

فرّمز "الفْحَلْ" في صدر البيت الأول، له دلالة رمزيـة تمثّل بها الشّاعـر؛ لأنّها توحي إلى الشّخصية الشّجـاعة التّي لم تكن تخشى قوّة الاستعمار المدجّجـة بالسّلاح والإعلام والإمكانيات الضّخمة، فهو الزّعيم والقائد الذّي يعرف ساعة الهجـوم، وساعـة الدّفـاع عـن مصالـح الوطن، فصورة الفّحل هي صورة استعارية. ومن مميزات الاستعـارة أنّـها «ينبغي أن تكون جميلة الوقع على

[3] – د. أحمد شرفي، الشّعر الوطنيّ الجزائريّ،ص: 15.

[1] - التّلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م – 1945م)، ص343.

الأذن، جميلة للفّهم وللعين أو لأي حسّ أخر»[1]، فالشاعر الشعبي استقى صورة الفّحل من الواقع المعاش، حيث أنّها كلمة مستقاة من الحياة الشعبية، والتّي تطلق على الجمل أو الخروف، المحضّر خصيصّا لعملية الإخصاب، فأخذ الصّورة ووظّفها كرمز تتقاطع فيه بعض السّمات كالقوّة مثلا، وقد يدلّ مصطلح الفحل في المفهوم الشّعبي، على الرّجل الذّي لا يرضّى أن يعيش في الذلّ، ولا يسمح لأيّ كان ابتزازه وأخذ شيء يخصّه، إذا كان بالقوّة والاستبداد، ولهذا فإنّ إطلاق مصطلح الفحل على شخصية ابن باديس؛ لأنّه يتميّز بالإضافة إلى الخصائص المذكورة في السّابق، بالعلم والثّقافة الواسعة وقوّة التأثير على الفرد، ويستطيع أن يبدّل له حالة الخوف التّي يعيشها، إلى حالة غيّرها، ممثلة في الشّجاعة والإقدام. وهذا دليل على ذكاء الشّاعر الشّعبيّ، وقدرته على «تصوير الأحاسيس الذّاتية وتجسّيدها وتحويل المشاهّد، إلى انفعالات يتقمصها المتّلقي عن طواعية»[2].

أمّا صورة "رَاجَلْ" بالتّعبير العاميّ، لها دلالات أيضا تختّلف نوعا ما عن كلمة "رجل" باللّغة الفصيحة، التّي تطلق على كلّ مذّكر بالغ، فرّاجل هنا تعنّي الإنسان الذّي لا يحبّ الذّل على نفسه، ولا يتحملّ القهر، كما لا يقبل على نفسه وعلى أخيه المسلم الظّلم والإرهاب المسلط، فيقف وقت الشّدّة مع الضّعيف، ويدافع عن شرفه وعرضه، ولا يسكت عن الحقّ حتّى يسترجعه أو يقتّل من أجله.

ومن تمثّلات الشّاعر أيضا استعماله لفظة "البطل" التّي لها دلالة النّجاح والأمن والملاذ والاطمئنان، فـ«البّطل هو الصورة التّي تريدها الذّات للذّات، من حيث التّكامل، إنه تجسيد أحلام، وتجسد التطلعات إلى الخلاصّ، وإزالة مالا نودّه، وإسقاط مالا نوّده»[1].

1- أرسطو طاليس،الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشّؤون الثّقافية العامّة، بغداد، 1986م، ص: 200.

[2] - نوارة ولد أحمد، شعرية القّصيدة الثّورية في اللّهب المّقدس، ص: 121.

[1] - علي زيغور، قطاع البّطولة والنّرجسيّة في الذّات العربية المستعلى والأكبري في التّراث والتّحليل النّفسي، ص: 24.

وصورة البّطل هنا تدّل على كمال الشّخصية؛ فالشّيخ ابن باديس ماهر في السّياسة، عالمٌ بأمور الدّين، ساعي إلى تحقيق الحرّية الفّكرية والجّسدية داخل الوطن، يحسن التّعامل مع الظّروف العصّيبة، قراراته صائبة وتصبّ في مصلحة الفّرد الجزائريّ، باختصار البّطل هو «قيمة وصورة كاملة، يمتصّ المشاعر المثاليّة، التّي عرفتها الإنسانية، وتتشكل فيها الخبرات، إنّه تعبيرات عن الأمل، وعن إمكانية الخلاصّ، وهذا ما ينبئ في الآن عينه عن واقع جارح، وقواهر نظيرة سلطّة قامعة، أو لقمة غير سائغة، وبذلك يأتّي ذلك البّطل تغطيته لتلك الجراحات للوّاقع واللّقمة والأمن وتوكيد الذّات والمحن»[2].

و الشّاعر الشّعبي قام بالدّور الذّي كان منتظرا منه في تصوير النّضال والمواقف الرّجولية، كما صوّر آمال وآلام الشّعب، وما عاناه في فترة المقاومة وقبلها في شتّى المجالات.

كما وصف الشّاعر الشّعبي الأبطال ومعجزاتهم، حيث كان يوحي إلى إعطاء نفسٍ جديدة للطبقة الشعبية قصد النّهوض والوقوف على قدم وساق مع الرّموز البطولية التّي أصبحت تمنحهم فائدة معنويّة وطعما يتفاءلون به.

والشّعر الشّعبي هو الشّعر القومي، الذّي يعالج القضّايا الاجتماعيّة الحساسّة؛ كقضيّة الاستقلال مثلا، وقد أستطاع الشّاعر أن يصنع تفاعلا بين الفرد الجزائريّ وسلاح الإسلام والعرّوبة الوطنيّة في القصيدة الشّعبيّة، يقول الشّاعر الحاج لعمارة:

بَنْ بَادِيسْ قَالْ يَا جِيلْ الأَمَلْ هَزْ اسْلاَحَكْ مَا تْهَابشْ مَنْ لَنْذَالْ[1]

إنّ الغايّة التّي يرمي إليّها الحاج لعمارة، من خلال البناء الفنّي في هذا البيت، هيّ إبراز دور ابن باديس في الثّورة، حيث مثّله في صورة القوّة، وبالمقابل صوّر الاستعمار في صورة الضّعف، حين يخاطب الشّعب ويدعوهم إلى حمل السّلاح ضدّ الدّخيل الاستعماري، الذّي مثّله من خلال استعمال لفظة " النذل"، والتّي يريد من خلالها التقليل من هيبّة الاستعمار وسياسته التّرهيبيّة، الّتي يمارسها على الشّعب، ويستشهد الشّاعر في هذا الموقف، حين يمثّل الشّيخ ابن

[2] - المرجع نفسه، ص: 24.

[1] – د. أحمد الأمين، من فحول الشّعراء في سيدي خالد، ص: 269.

باديس بالرّجل السّياسيّ والقائد العسكريّ، الذّي يبدد دوافع الخوّف واليّأس، ويحاول من خلال خطابه، أن يجعل من الأحزان وسيلة للتّضحية، ورفض أشكال وأساليب القمع والإرهاب، «وقد أخذ نجمه يتألق في سماء الكّفاح، وأخذ اسمه يكتسح ميادين النّضال، وأخذت بواكير أعماله الإصلاحية تبدد حجب الظّلام الحالك... وكأنّ عبد الحميد بن باديس كان الحادي عشرة من ذلك الرّعيل الأول، الذّي بعث به عمر بن عبد العزيز الخليفة الأمويّ، ولهذا المغرب العربيّ، يعلّم النّاس دينهم ويجدد إيمانهم، ويمتّن أخلاقهم ويهديهم سبيل الرّشاد، وقد لا يستطيع أحد وصف هذا الرّجل العملاق»[1].

ويمكن أنّ نلاحظ تداخل البّعد السيّاسيّ بالقيّم الدّينية، في معالجة المآسي، حين يبثّ «روح الوعيّ والنّضال ومحاولة التّخلص من سيطرة، نظرة المجتمع للنّظرة الدّونية لبعض النّاس، الذّين يملكون قدرات خارقة في البّطولة والإقدام والشّجاعة، لقهر الظّلم الواقع عليهم، سواء كان في المجتمعات القديمة أو الحديثة»[2].

ولذلك نلمس تلك الثّقة التّي وضعها الشّعب في شخص ابن باديس، والأمل المشرق، من خلال التّعلق الحاصل بينهما باعتباره رمزا ثوريّا ودينيّا، فـ«الشّخصية المؤمنة للشيخ ابن باديس، قد تجاوبت معها النّفوس، واطمأنت إليها القلوب. وتابع الشّيخ بعد ذلك دوره باندفاع وحماسة شّديدين، لا يتعبه الجهّد ولا ينال منه التّعب، ويزيد من حماسته واندفاعه، ما كان يلمسه من تجاوب عميق في نفوس تلاميذه وأتباعه»[1]. وهذا ما يوضّحه الشّاعر محمد بوشتة في قوله:

يَا شَعْبْ بْلاَدِي كَافَحْتْ جَيشْ شُومْ وَحَقَقْتْ لِبَنْ بَادِيسْ هَذَا الأُمْنِيَة

أَنْتَ اليُومْ مَا عْلِيكْ لُومْ بَنْ بَادِيسْ مَدْحَكْ فِي قْصِيدَة شِعْرِيَ[2]

يربط الشّاعر هنا في هذا البيت، بيّن الكّفاح والشّيخ ابن باديس، وقت كان يزرع الفّكر الكفاحيّ في نفس الفّرد الجزائريّ، وكان يأمل أن ينهض بالوقوف ضدّ كلّ الأوضّاع، سواء كان هذا الوقوف وقوفا اجتماعيا أو سياسيا أو دينيا.

1- بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثّورة،ص: 94.
2- أ.د.مصطفى السيّوفي، تصوير الشّخصيات في قصص محمد فريد أبو حديد، ص: 112.
1 – بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثّورة، ص: 96.
2 - فتيحة ولداي تبنية،شعر محمد بوشتّة الشّعبيّ، ص: 131

إنّ في شخصية ابن باديس شيء يختلف عن الآخرين، فهو لا يرضى بما يرضى به الآخرون لأنفسهم، ينظر إلى الفرد الجزائريّ بمنظار القيّم الإنسانيّة والاجتماعيّة، وهذا ما ولّد في نفسه شعورا قويّا، بالوّقوف ضدّ الحياة المذّلة والهوان الحاصل بسبب الواقع الاستعماري.

يوضّح الشّاعر الشّعبي صورة الرّضا، التّي قد تتولد في نفس ابن باديس؛ لأنّ لفظة " الأُمْنِيَةْ"، تدلّ على المعاناة والضغط النّفسي الواقع بسبب الأوضاع الرّاهنة، والتّي جعلت ابن باديس يوظّف كلّ الإمكانيّات الماديّة والبشريّة والفكريّة، من أجل النّهوض ضدّ هذا الوضّع الاستعماري. يقول محمد بوشتة في القصيدة نفسها:

خَلِيتْ لَسْتِعْمَارْ حَايَرْ أَيْعُومْ أَفْكَرْ لِيلْ وَنْهَارْ بِكُلْ عَقْلِيَه

كَوَنْتْ شَخْصِيَاتْ غَالْيِينْ فَسُومْ بِينَتْلْهُمْ سَبِيلْ الوُصُولْ إِلَى الحُرِيَة[1]

من بين الأهداف التّي سعى إلى تحقيقها، الشّيخ ابن باديس هيّ الحرية، والتّي تعني بالمفهوم الشّعبيّ الاستقلال، لكنّ لفظة الحرية أشمل وأوسع في المعنى، فهي حلم كلّ جزائريّ، وحقّ طبيعيّ متأصل في روحه، واردٌ في الأديّان والشرائع، وأقرتّه القوانين الدولية، ووافقت وصادقت عليه الأعراف.

وأصبحت لفظة "الحرّية" موضوع كلّ الخطب السيّاسيّة وقت الاستعمار، وفي وقتنا هذا، حيث نلاحظ أن الأحزاب السياسية تتضّمن تسميّات حزبها "الحرية" مثل: "حزب انتصار الحريات الديمقراطية" و"أحباب البيّان والحريّة"، كما نجد بعض الشّعراء الشّعبيّين يذكرون الحرية في أشعارهم ويوظّفونها، كوسيلة لشّحن بطاريات المجاهدين، فالشّاعر دائم التّمجيد للحريّة، حين يعتبّر التّضحية واجبة وشرفا من أجل الوصول إليها، فالتضحية بالنّسبة إليهم أفضل وأرحم من العيش في حياة الذّل والهوان.

إنّ استعمال الشّاعر للوحدة الموضوعية "كَوَنْتْ شَخْصِيَاتْ غَالْيِينْ فِي السُومْ"، دلالة على كفاءة الشّخصية، وبلاغته في الإقناع وتوصيل الفّكرة إلى

1 - فتيحة ولداي تبنية، المصدر السابق، ص: 131.

رجاله، الذّين وضع فيهم الثّقة، من أجل الوصول إلى الحريّة، وما يدلّ على هذه الكفاءة استعمال الوحدة " بَيَنْتَلْهُمْ سَبِيلْ الوُصُولْ إِلَى الحُرِيَةْ"، وتعني أنّ الطريق إلى الحرية أصبح سهل المنال، إذا اتّبع أفراد الجمعيّة، وروّادها النّصائح والإرشادات الموجهة لهم، فالشّيخ رجل سياسيّ، يحسن التّخطيط، ويعرف من أين تؤكل الكَتِف؛ لأنّه يتميّز عن غيره بالعلم والحلم وقوّة الإيمان بالله تعالى والإصرار على بلوغ المراد. أمّا التّخطيط فمبنيّ على المدى الطويل؛ لأنّ نتائجه جنينا ثمارها في وقتنا الحاضر، وأصبح المجتمع ناضجا فكريا وثقافيّا واجتماعيّا وحتّى سياسيّا. ورسم الشيخ ابن باديس لنفسه صورة في الفكر الشعبي، ينسب له يوم يحتفل فيه الفرد الجزائري كلّ سنة، إنّه يوم العلم الذّي يرمز للعلاقة الموجودة بين الشعب الجزائري والشيخ ابن باديس، ودليل أيضا على التأثّير النّفسي، وقوّة وطأة الشّخصية على النّفوس وأحاسيس الشّعب، حتى أصبح رمزا من رموز الدّولة، وأسطورة في المخيَال الشّعبيّ الجزائري.

إنّ الشّاعر الشّعبي باستعماله لفظة الحرية في القصيدة يهدف إلى فكّ شفرة الموضوع، الذّي يريد إيصاله إلى المتّلقي، كما يحاول أن يؤثّر عليه ويبرّر هذا التأثّير، ويحييّ وجدانه قصد النّهوض، وعدم تقبّل الوّضع الذّي يعيش فيه، فهو بهذا يجسّد الثّورة من خلال النّظم، معبّرا عن آلامه ورفضه للواقع المعاش، في تلك الفترة وموظّفا الرّمز في التّعبير عن وجدانه، مستعملا اللّغة العاميّة البّليغة، والصّورة الذّهنيّة العميقة، لينتج علاقات داخل البنيّة التركيبيّة للقصيدة الشّعرية الشّعبية، ما يسمح بوجود أفكار تعكس الواقع المعاش، وتؤثّر في نفس المتّلقي. يقول الشّاعر عمر موسى:

الشَبَابْ عْلِيهْ نَبْنِي أَمَلْنَا إِذَا كَانْ أَحْنَا بِحِكْمَةْ عَلَمْنَاهْ

وَانْوَرِيهْ أَمْجَادْ فِيهَا عَزَتْنَا وَبِالمُقَوِمَاتْ عَقْلُو سَلَحْنَاهْ

الظَالَمَ ْمَنْ جَاوْ قَصْدُو يَخْذَلْنَا وْجَدْنَا لُو كُلْ أَفَهْ حَارَبْنَاهْ[1]

يريد الشّاعر من خلال هذه الأبيات، أنّ يبيّن الطريقة المثّلى التّي اعتمدها الشّيخ ابن باديس، في بناء مستقبل الجزائر، وذلك من خلال الاعتماد على الشباب كأساس لمستقبل الوطن، فهم رمز المستقبل وأساس الدّولة والأمل المشرق، الذّي يخرج الوطن من المّحن، إذا أحسن تعليمهم وتربيتهم سيكون

1– عمر موسى، قصيدة ابن بادس، المصدر السابق

للوطن مستقبل ناجح، لكن إذا لم نحسن تعليمهم، سنجني سوء العاقبة ونؤدي بمستقبل البلاد إلى الهاوية وبئس المصير.

ويقصد الشّاعر في ذكره "بَالْحِكْمَةْ عَلَّمْنَاهْ"؛ أي أن يكون استمرار التّجربة التّي بدأها الشّيخ ابن باديس، مقتديا به؛ لأنّه عالم بأمور الدّين، فاهماً لما هو مقبل عليه، فالشّاعر يريد غرس فكرة في ذهن الشّباب؛ وهي الاقتداء بأمجاد الماضي، التّي كانت تسعى إلى العزّة والكرامة ونبذ الظّلم والاضطهاد، والمحافظة على مقومات الشّعب، المتمثّلة في اللّغة والدّين والوطن، وهذا ما يفسّره الشّاعر في آخر بيت من قصيدة" ابن باديس" بقوله:

يَحْيَا وَطْنِي فِيهْ تَكْمَلْ فَرْحَتْنَا عُرُوبَةْ وَإِسْلاَمْ شِعَارْ أَرْفَعْنَاهْ[2]

فدور الشّباب هو حماية الوطن من الدّخيل الأجنبي؛ لأنّ الفرحة لا تكون إلاّ بالاستقلال والحرية. والحفاظ على اللّغة والدّين شعار الشيخ ابن باديس، والسّبيل إلى اكتمال الفرحة والعيش في سرور داخل الوطن المستقل. يقول الشّاعر بن جدية محمد*:

جمَعْيِةَ العُلَمَاء ِفي الجَزَائِر مَشْهُورَة قَالُوا المُوتْ أَحْسَنْ لَنَا مَنْ ذِي الحَيَاةْ

أَنْوَحْدُو صْفُوفْنَا رَاجَلْ وَامْرَاه النَّصْرْ حَلِيفْنَا وإِلاَّ المَمَاتْ[1]

يعتمد الشّاعر في هذه الأبيات على الرّمز، في إشارته إلى جمعية العلماء المسلمين، والتّي يقصد رئيسها الأول الشّيخ ابن باديس وأحد مؤسسيها. وأمّا الصّورة الرّمزية فتظهر بإعلان شهرتها في الجزائر، وأهمّ الأهداف التّي تسعى إليها الجمعية، والممثّلة في توحيد الصّفوف، والوقوف إلى جانب أبناء الوطن وقفة الرجل الواحد، لإخراج العدوّ بكلّ الطرق والسّبل الممكنة، حتّى ولو تطلّب منّا إخراجه التضحية بأجسادنا والاستشهاد في سبيله؛ لأنّ الموت بالنّسبة للأفراد أهمّ وأرحم من العيش تحت لواء الظّلم والاستبداد، وعيش الحياة الفاسدة، يقول

2 - المصدر نفسه.

*- القصيدة بعنوان: " ملحمة المقاومة الشعبية"، نظمها سنة 1957م بورقلة، يتحدث فيها عن بطولات الشّعب الجزائريّ.

1- أحمد حمدي، ديوان الشّعر الشّعبيّ شعر الثّورة المسلحة، ص: 22.

الله تعالى في كتابه الكريم: " **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ.**"[2]

فالشّاعر في هذه الصّورة يكشف عن هدف ابن باديس من تأسيس الجمعيّة، والذّي يدعو إلى التّضحيّة بالنّفس والنّفيس، في سبيل إعلاء كلّمة الحقّ وتحرير الوطن.

وهنا تتوّحد شخصية ابن باديس مع فكر الشّاعر، في نقاط مشتركة، ذلك عندما مثّل الشّخصيّة في الحاضر، وجعل لتجربتها وأبعادها نقطة يقتدي بها أفراد الوطن، ونلاحظ أيضا أنّ للثّقافة الإسلاميّة، أثر بارز جعلها الشّاعر وسيلة إقناع، باعتماده على الرّمز الدّيني والثّقافيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ...ينافس من خلاله قضيّة الفساد الفّكريّ والدّينيّ والمعاناة الاجتماعيّة للفرد الجزائريّ. فهو بهذا يعكس واقعه المعاش، ويستحضر تاريخ الشّخصية الحافل بالأمجاد والبطولات، ليرمز إليه برموز تشعّ بالإيحاء، و«تستمّد طاقاتها الإيحائيّة، من إضفائها جوّا رمزيّا أسطوريّا...»[1].

أمّا عبارة " الموت" التّي استعملها الشّاعر في البنيّة التركيبيّة "المُوتْ أَحْسَنْ لَنَا مَنْ ذِي الحَيَاةْ"، والبنيّة" النَصْرْ حَلِيفْنَا وْإِلا المَمَاتْ"، فالموت أجل وهو دلالة على انتهاء المعاناة، لكنّ العاقبة تكون لمن أحسن عمل الدّنيا وعمل لآخرته، لذلك نلمس تلك العلاقة المبنيّة على التضاد، فيمكن أن نقرأ عدّة مستويات دلاليّة، تتطلب منّا المشاركة في تأويلها، وهو ما يفسّره "رولان بارث" حول المدلول الأدبيّ بقوله: «إنّ المدلول الأدبيّ، هو إذن مدلول ثان ورمزي، والشّكل هو معرفة بأيّ ميكانيزم، يمكن للنّص أن يوّلد نوعا خاصا جدّا، من المعنى»[1]. فارتقاء الشّعر الشّعبيّ إلى المنزلة اللائقة، يكون حين يستعمل الشّاعر الرّمز، الذّي يؤدي إلى الإيحاء، الذّي يعطي المعنى المطلوب داخل القصيدة الشعرية.

2– سورة التّوبة، الآية20.

1– معمر حجيج، الهاجس في شعر أحمد معاش، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، (عدد خاص بملتقى شعر الثّورة الجزائريّة)، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، العدد3، نوفمبر 2005م، ص: 192 - 193.

1 - فانسان جوف، الأدب عند رولان بارث ترجمة وتقديم عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004م، ص: 99.

واستعماله للموت والحياة، للدّلالة العكسيّة التّي توحـي إليـها اللّفظتين، فالموت عنده هو الرّاحة، أمّا الحياة هي المعاناة في ظلّ هذا الوضع الاجتماعيّ والسيّاسيّ المزري، فالهروب إلى الدّار الآخرة، خير من العيـش في نّار الدّنيا، لكن دلالّة الحيّاة في الواقع هي الجنّة والصدق والطهارة والأمـل والراحة والسعادة، والموت في الواقع هو الكذب والنّفاق والقيّد والخـوف واليـأس، فعندما يحصر الإنسان بين الموت والحياة، يكون بين الخيّر والشـرّ، فإن فـعل خيرا فقد نـال ثواب الدّنيا والآخرة، أمّا إذا فعل شرّا فقد نـال عقـاب الآخـرة، وبذلك نستنتج أنّ ثنائية (الموت والحياة) التّي وظّفها الشّاعر في القصيدة، لـها دلالات أبديّة تقوم على وحدة متراكمة من الوحدات الدّلالية التّي توضح بعض العلاقات بين الألفاظ لتعطي المفهوم العامّ للنّص الشّعريّ.

الفصل الثالث:

تمثّلات الشّعر الشّعبيّ لشّخصية عبد العزيز بوتفّليقة

1-تمهيد:

2- المبحث الأول: البّعد الثّقافيّ الدّينيّ.

3- المبحث الثاني: البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ.

4- المبحث الثالث: البّعد السيّاسي الاقتصاديّ.

1- تمهيد:

لقد كان الوّضع السّياسي، قبل ظهور شخصية عبد العزيز بوتفليقة*، في وضع مُزْرٍ يطبعه العنف في كل أنحاء الجزائر لعدّة سنين، والذّي يعني القتل، من خلال المجازر التّي بقيت راسخة في الذّاكرة الشّعبية عند الجزائريّين.

وقد ترك عبد العزيز بوتفليقة انطباعا حسنا من خلال مواقفه الرّجوليّة، والتّحدي والإرادة للنّهوض من هذا الوّضع المزري، وقد نضجت خبرته السّابقة، من خلال حسن التّعامل مع الظّروف والأحداثّ السّياسيّة والاجتماعيّة بصدق؛ لأنّه يدافع عن وطنه، و«لن يتسامح مع أيّ مساس بالدّولة، وأنّه يستعمل كل الوسائل لقمع الإرهابّ ودّعائمه»[1].

إنّ تاريخ الجزائر، حافل بالمواقف والتحديات لعدّة شخصيات، وما عبد العزيز بوتفليقة إلاّ صورة من هذه التحدّيات، التّي سجلت مآثر سجلتها الذّاكرة الشّعبية استلهمها الشّاعر الشّعبي ليربط بين الحاضر والماضي، حتّى يكون ذلك التّواصل بين الشّخصيات الماضيّة، والشخصيات الحاضرة، وبين الأمس واليوم.

إنّ المتتبّع للإبداع الشّعريّ الشّعبي، يلمس ذلك الارتباط بين الفرد الجزائريّ باعتباره ضحيّة أحداث، والشّخصية السيّاسيّة باعتبارها المنقذة لهذا الفّرد والسّاعية إلى تحريره من قيود الجهل ولا مسؤولية.

*- ولد عبد العزيز بوتفليقة سنة 1937م بوجدة، التحق بصفوف جيش التحرير الوطنيّ سنة 1956م بعد أن أنهى دراسته الثّانوية، كان ضابط للولاية الخامسة إبان الثّورة، كلّف بمهمة مراقب عام، ومهمته ملحق بمركزّ قيادة نفس الولاية، ثمّ عيّن تباعا ملحقا بمركز قيادة الغرب، ومركز قيادة أركان جيش الغرب سنة 1960م، كان يتمتع بخصال تؤهله للقيام بالأعمال الهائلة، أصبح وزير الشّباب والسّياحة في أول حكومة يترأسها أحمد بن بلة في الجزائر المستقلّة، عين وزير الخارجية سنة 1963م، ثمّ انتخب عضوّا في اللجنة المركزيّة، وعضو في المكتب السّياحي سنة 1964م، ساهم في التّصحيح الثّوري الذّي قام به هواري بومدين، أعلن ترشحه للانتخابات الرّئاسيّة سنة 1999م، أصبح رئيسا للجمهوريّة منذ 27 أبريل 1999م إلى يومنا هذا.

1 - خالد شايب، بوتفليقة الرئيس وحصيلته التّحدي، ترجمة كابويا عبد الرّحمن، دار الحكمة، الجزائر، 2004م، ص 113.

أمّا التّراث الشّعبي المتمثّل في القصيدة الشّعبيّة فيعيش حياة متجددة، حيث تعكس الواقع، و«وجود هذا الشّعر هو من جهة تنفّيس عن الوّاقع، بل بثّ الأمل في النّفوس»[1].

ويوجد من الشّعراء الشّعبيّين من يتّخذ من شخصية الرئيس عبد العزيز رمزا، لتحقيق الأمل الذّي يصبّوا إليه الشّعب الجزائريّ، وهو العيش في أمان والنّصر المحقق ضدّ الظّالم، الذّي بدّل الحرّية والسّلام إلى عنف ودمار؛ فالفرد الجزائريّ «يبحث عن ذّاته، عن وجوده، عن حريته، عن همومه وآلامه، عن ماضيه ومستقبله، عن أحلامه في العدّل والسّلام، عن التّقدم والغدّ الأفضل»[2]. وكل ذلك من خلال الوقوف إلى جانب عبد العزيز بوتفليقة، باعتباره رمزا من رموز الإصلاح الاجتماعيّ والثّقافيّ والدّينيّ والسيّاسيّ، فهو الرّجل الذّي وقف رغمَ الصّعاب ليحرر المجتمع الجزائريّ من قيّود الإرهاب، وقيود الوهم، وقيود الجهل، ومن قيود الذّين حوّلوا الجزائر المستقلة إلى جزائر الظّلم والفساد.

إنّ الثّورة التّي قام بها عبد العزيز بوتفليقة، هيّ ثورة ضدّ الظّلم، ثورة تحمل الحقيقة والحبّ، تعكس المأساة التّي عاشها الفرد الجزائريّ، حين قتلت الحقيقة وقتل الحبّ في نفس المواطن.

ومن هنا نؤكّد الغايّة، التّي يسعى إليّها الشّاعر الشّعبيّ، في تمجيد شخصية عبد العزيز بوتفليقة، وتمثّيلها في قصائده؛ لأنّه يعترف بمكانة عبد العزيز في الفّكر الشّعبيّ، وهذا ما سوف تكشفه هذه الدّراسة التّي حصّرناها في ثلاثة أبعاد دلاليّة:

- البّعد الثّقافيّ الدّينيّ.

- البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ.

- البّعد السيّاسي الاقتصاديّ.

1– د. عبد الله ركيبي، الشّعر الدّينيّ الجزائريّ الحديث، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 1981م، ص 51.

2- د.عبد الله ركيبي، الأوراس في الشّعر العربيّ ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1982م، ص 25.

وهيّ الأبعاد الغالبة علـى معظّم القصائد التّي ذكرت الشّخصيّة السيّاسيّة لعبد العزيز بوتفليقة، حين عبّر الشَّاعـر الشَّعبيّ، بالكلمـة الصّادقة عن مواقف الشّخصيّة البطولية، ورصّد أهـمّ النّتائج التّي توصل إليّها الـرّئيس، من أجل الوّصول إلى طريق الأمن والاستقرار، كما «يظهر موقف الشّاعر واضحا جليّا، بل كان من الطبيعيّ أن يعيش قضايّا وطنه، ويتفّاعل مع الأحداث التّي تجرى في بلاده»[1].

وهناك من الشّعـراء، من ينصح بالـوّقوف مع شخصيّـة عبد العزيز بوتفليقة، خلال المرحـلة الانتخابيّة، فالنّصيحة لا تكـون مؤثّرة إلاّ إذا كانت مقنعة، ولا تكون مقنعة إلاّ إذا كان الشّخص الذّي يدعونا لإتبـاعها شخصا له تجربة أو مكانة ثقافيّة وعلميّه أو رجـل دّين، وأن يكـون هذا الـشّخص يصدر أمورا متقبّله عقليّا. فالشّاعر حين يكون بصدد إقناع المتّلقي، يدعوه إلى التّجربة والوّقوف على الأمر الواقع، حتّى يصل إلى قناعة نفسيّة بما هو مقبل على القيّام به.

لقد استعمل الشّاعر الخطاب الشّعريّ الشّعبيّ ليعبر ببلاغة عن انفعالاته اتجاه القضّايا الاجتماعيّة الرّاهنة، باعتماده على الصّورة واللّغة العاميّة الرّامزة والمؤثّرة على المتلقّي، حتّى يزرع فيه الحبّ، وحبّ الوطن ومصلحتـه العليا، ثمّ حب شخصية عبد العزيز، التّي تسعى إلى المصلحة العليّا، وهو ما يدلّ على موقف الشّاعر الواقف وقفة إجلال للعطاء الرّجولي، وشجاعة الرّجـل، الـذّي أصبح صورة يقتدى بها عند الأمم العربية، التّي تبحث عن الأمن والاستقرار.

2- المبحث الأول: البّعد الثّقافيّ والدّينـيّ

اهتّم الرئيـس عبد العزيز بوتفليـقة، بالجـانب الثّقافيّ، وأسهم في تدعيمّ الأسس الدّينيّة والثّقافيّة، وكان له الأثر المشهود في الـواقع الثّقافيّ الجزائريّ، واحتفظت الذّاكرة الشّعبيّة بإنجازاتـه، التّـي تركت صدى محمودا لدى الـفّرد

1- عبد الحميد بورايو، البّطل الملحميّ والبطلة الضّحية في الأدب الشّفويّ الجزائريّ (دراسات حول خطاب المروّيات الشّفوية (الأداء، الشّكل،الدّلالة)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1998م، ص 98.

الجزائريّ، الذّي اعترف بهذا الإنجاز، يقول الشّاعر أحمد بوزيان(*)، في قصيدة "وحي الوئام"(**):

بُوتَفْلِيقَةْ مْنَ الحْسَدْ ضَمْنُوهْ أَقْطَابْ وَمْجَادَبْ وَأَغْوَاثْ بَرْضَاهُم يَسْعَى

سْتَنِينَاهْ شْحَالْ خَبْرَهْ عَنَا غَابْ والْيُومْ مْنِينْ جَاء أَعْطِينَاهْ البَيْعَةْ

كِيمَا بَايَعْنَا زْمَانْ أَشْرَافُ نْسَابْ اِبْنْ رُسْتُمْ دَارْ لَتْيَارَتْ شِيعَةْ

وْاِبْنْ خَلْدُونْ لَبَّسْلْهَا حُسْنْ ثِيَابْ زَخْرَفْهَا بَالعِلْمْ وأَعْطَاهَا دُفْعَةْ

عَبْدَ القَادَرْ مَا خْفَى طَيْرَهْ جَوَابْ أَمِيرْ الشُجْعَانْ دَارْ هْنَا قَلْعَةْ

هَذَا اليُومْ تْيَارَتْ وَفَاتْ النِّصَابْ بُوتَفْلِيقَةْ زَادْهَا شَانْ وْرِفْعَهْ[1]

يؤكّد الشّاعر في هذه الأبيات، موقفا يدخل في سيّاق التّجربة الرّوحية، حين ينسب أو يصوّر شخصية عبد العزيز، على أنّها رسالة إلهية إلى الشعب الجزائريّ، المهزوز فكريّا ودينيّا وسيّاسيّا واقتصاديّا وحتّى اجتماعيّا، بسبب الإرهاب الذّي حطّم كلّ شيء، والدّليل على ذلك قول الشّاعر: "ضَمْنُوهْ أَقْطَابْ وَمْجَاذَبْ وْأَغْوَاثْ"، حيث يمثّل هذا القول القيمة الدّينيّة والثّقافيّة لعبد العزيز بوتفليقة، وهو دليل أيضا على محاولة الشّاعر إيضاح الهدف الذّي يسعى إليه عبد العزيز، فهو هدف دينيّ بالدّرجة الأولى؛ لأنّ وظيفة الأقطاب ومجاذب وأغواث وظيفة دينيّة، وما دام أنّه يسعى لإرضائهم، فرضاهم لا يكون إلاّ بالعمل الصالح، سواء كان هذا العمل دينيّا أو اجتماعيّا أو ثقافيّا...

ويبيّن الشّاعر في خطاب رمزيّ، قيمة عبد العزيز في الفّكر الشّعبيّ الجزائريّ، حين قال "أَعْطَيْنَاهْ البِيعَةْ"، فالبيعة لا تُعطى لأيّ كان، والشّاعر يربطه هنا بالعامل الرّوحي والدّوافع السيّاسيّة، من أجل الخروج من هذا الوّضع الاجتماعيّ، فالمجتمع لا يمكنه بأيّ حال من الأحوال، أنّ يلتّف حول شخصيّة،

* - أحمد بوزيان شاعر شعبيّ، من مواليد 23 فيفري 1962م بتيارت، نظم الشّعر من نعومة أظافره، له العديد من المشاركات الوطنيّة، وتحصل على العديد من الجوائز داخل الوطن،حاز على الجائزة الأولى لمسابقة فنون وثقافة، له مجموعة شعرية من وحي الوئام، التّي قام بإصدارها فخامة رئيس الجمهورية.

** - نظم هذه القصيدة بمناسبة زيارة رئيس الجمهورية لمدينة تيارت سنة 2002م.

1 - أحمد بوزيان، وحي الوئام (ديوان شعر شعبي مقروء ومسموع)، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثّقافيّ، الجزائر، ط2، 2009م، ص75-76.

مهما كانت شجاعتها وبسالتها، إلاّ إذا كانت هذه الخصال ممزوجة بعامليّ الوّرع والتّقوى، وهو ما يوّضحه البناء التّالي: "كِيمَا بَيَعْنَا زْمَانْ أَشْرَافْ أَنْسَابْ"، فمكانه الرّئيس عبد العزيز في المخيَال الشّعبيّ، لا تنقص عن مكانة عظماء الجزائر السّابقين، أمثّال الأمير عبد القادر، والشّيخ بوعمامة والشّيخ ابن باديس... كلّهم قدّموا للجزائر علمهم ومالهم وأجسادهم في سبيل الوقوف والعيش في سلام، فهذه الأعمال عكسها موقف عبد العزيزّ الذّي يسعى أيضا إلى إخراج المجتمع الجزائريّ من هذه الحرب غير المنطقيّة، والتّي لا يتقبلها عقل الإنسان المسلم، وإدخالهم إلى مرحلة العيش في سلام، فعبد العزيز هو الخليفة لهؤلاء العظماء والذّي بحث عنه الشّعب، بعد أن غاب عنهم، ولمّا عاد لم يترددوا في مبايعته وانتخابه رئيسا عليهم. يقول الشّاعر الشّعبيّ، طاهر رياح(*):

بُوتَفْلِيقَةْ الْيُومْ هُوَ رَايَسْنَا وْنَصْرُو رَبِّي جَابْ مْعَاهْ الخَيْرَاتْ

وَ ارْزَقْنَا رَبِّي بَالْغَيْثْ اَسْقَانَا وعَمَّتْ الأَمْطَارْ جْمِيعْ الْجِهَاتْ

وْفَرْحَتْ كُلْ النَّاسْ بَاتَتْ سَهْرَانَا واكْتَضَتْ اَجْمُوعْنَا بَالسَيَّارَاتْ[1]

إنّ الارتباط بالشّخصية السيّاسيّة هو ارتباط روحيّ، يرمي إلى الإحساس بالفّخر والاعتزاز، فالشّاعر يعبر عن فخره بهذا الرّجل الذّي أصبح «مصدر قوّة أفراد الأمّة وقت كان الخوف والرّعب قد سكنا نفوسهم»[2].

فالخطاب الشّعري في هذه الأبيّات يحمل إشارات ورموزا يعبّر من خلالها الشّاعر الشّعبي عن الخير الذّي يرمز إلى الوجود، وهو أمر إيجابي؛ لأنّه يحفّز به الشّعب الجزائريّ، ودعوته للوقوف جنبا إلى جنب مع الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، حتّى تخرج الجزائر من هذا الوقع المرير.

* الشاعر طاهر رياح من مواليد 1955/04/04م، بقرية مغنين بلدية برج أخريص دائرة سور الغزلان سابقا، شاعر ينتمي إلى مدرسة شعراء الشعر الشعبي، شارك في عدة ملتقيات محلية ووطنية ودولية آخرها فعليات تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، حاز على عدة جوائز تقديرية وتقييمية وهو عضو في الرابطة الوطنية للأدب الشعبي مكتب ولاية البويرة له مخطوط تحت عنوان "نفحات من مغنين".

1 - توفيق ومان، في الشعر الشعبي المعاصر، الرابطة الوطنية للشعر الشعبي، 2007، ص 46.

2 - أ. د. محمد سعيدي، تمثّلات الفّكر الشّعبي لشخصية الأمير عبد القادر، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بجامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العدد 11، الجزائر، 2006، ص 138.

فالشّاعر يمثّل الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في الخطاب: "نَصْرُو رَبِّي" بأنّه وجوده كان برغبة إلهية، بعثه الله تعالى ليرفع الغبن عن البؤساء، والظّلم عن المظلومين، وهذا ما جسده التّاريخ الذّي يذكر بطولات الرّجل، حيث نادرا ما يأتي الزّمان بمثلها، وهو ما جعل الشّاعر يختار الشّخصيّة السيّاسيّة لعبد العزيز بوتفليقة، لتكون دلالة على عنصر الفخر. يقول الشّاعر شوشة جلول في قصيدته(*): "المصالحة الوطنيّة":

ذَا الْوْطَنْ اللّي كَانْ قَادِي(**) يَتْحَطَمْ هَجْرَتْ مَنُّه نَاسْ مَلّتْ مَقْوَاهَا

بَعْدْ سْنِينْ عْذَابْ الَوْطَنْ اَتْكَلَمْ وعَادْ يْبَرَحْ نَاسْ تَاجِي وَرَاهَا

بُوتَفْلِيقَةْ كِي سْمَعْ لَبَّى اَعْزَمْ وقَالْ آ وَطْنِي جِيتْ وأَنَا مُولاهَا

بَايَعْنَاهْ عَادْ ذَا الرَّايَسْ يَحْكَمْ وَرْدَةْ ذَبْلَتْ جَا السَّاقِي اَحْيَاهَا

هُوَ مَثْلْ لَسْحَابْ بَرْعُودْ يْدَمْدَمْ وْبَرْقَهْ رَايَشْ(***) كَامْلَةْ لَرْضْ أَضَوَّهَا

حَطُّ مْيَاهَهْ عَ الدْزَايَرْ قَعْ عَمْ وْبَعْدَنْ يَبْسَتْ شُوفْ عَادَتْ مَبْهَاهَا[1]

ربط الشّاعر بين عاطفته والوطن من جهة، وبين الشخصية السياسية والوطن من جهة أخرى، والتّاريخ من جهة ثالثة، لما يحمله من عظمة وجلال.

كما استعار الشّاعر بعض المشاهد الطبيعة، مثل "وردة ذبلت" للدّلالة على المعاناة التّي أصابت الوطن، سبّبها الإرهاب الذّي طغى في البلاد وعاث فيها فسادا. كما استعمل مشاهدا أخرى مثل قوله: السّحاب، رعود، برقه رايشّ، مياهه...كلّها رموز وظّفها الشّاعر الشّعبيّ للتّعبير عن الحبّ والسّعادة، حبّه لعبد العزيز بوتفليقة وشدّة التّعلق به.

---

* - شوشة جلول بن أحمد بن سالم بن صرصاب بن الحاج عليّ بن "المشتة"، ولد سنة 1975م بمدينة قصر الحيران ولاية الأغواط، ينتمي إلى عرش رحمان، الذّي تربّى وترعرع بأخلاقهم، تأثّر بالبيئة الخارجية التّي أسهمت في تكوينه الثّقافيّ، شارك في عدّة ملتقيات، ومهرجانات جهويّة ووطنيّة، مثل مهرجان الباصور سنة 2005م في ولاية الأغواط، والعكاضيّة التّاسعة للشّعر الشّعبيّ 2006م، بولاية ورقلة، والملتّقى الوّطنيّ في المحمدية ولاية معسكر...

** - قادي: وهي من اللّهجة الأغواطية وأصلها غادي يتحطم، أي على وشك التحطم.

*** برقه رايش: أي مشتعل وتقال كلمة رايش للنار الملتهبة.

1- إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول للشّاعر شوشة جلول، خزانة التّراث، الجزائر، ط1، 2009م، ص 110.

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات، ربط الشّاعر الشّعبيّ المكان بالعاطفة ربطا روحيّا، يؤثر فيه التّاريخ الإسلاميّ، حيث يصبح الوطن كائنا حيّا يعيش بالعواطف والأحاسيس، فـ«الوطن ليس مجرد جغرافيا ميّته أو تضاريس جامدة، إنّها جغرافيا حيّة وتضّاريس نابضّة بالعواطف والحياة، لها امتدادها في الزّمان ولها جذورها الثّقافيّة وميراثّها من عادات وتقاليد، جغرافيا لها خصوصيتها وتميّزها وتفرّدها»[1].

فالوطن من الوسائل التّي تثير عواطف الشّاعر الشّعبيّ، ويشكّل رؤيته؛ لأنّه المكان الذّي نشأ فيه، ويسري فيه أرواح الأسلاف والعظماء.

كما نجد الشّاعر شوشة جلول قد سار على درْب سابقيه، حين أعلن مبايعته لعبد العزيز بوتفليقة رئيسا للجمهورية، وهذا دليل على تمسكه بالشّخصية التّي تتوافر فيها مجموعة من الصّفات، قلّما تتوافر في رجال آخرين، استطاع من خلالها أن يضع لنّفسه مادة قوّية حين رفع التّحدي وقال: "آوَطْنِي جَيتْ وْأَنَا مُولاَهَا". أمّا مواقفه فقد رمز إليّها الشّاعر بقوله "وَرْدَة ذَبْلَتْ جَا السَّاقِي أَحْيَاهَا"، والخطاب الشعري: "وْبَرْقَهْ رَايَشْ كَامْلَةْ لَرْضْ أَضوَاهَا"، فالشّاعر يحاول المزج بيّن جمال الطّبيعة وأخلاق الرئيس عبد العزيز بوتفليقة وصفاته، مستعملا في ذلك التّشبيه الذّي يعطي للقصيدة جماليّة خاصّة، ويخلق لدى الشّاعر الشّعبي، أبعادا دلاليّة مستسقاة من محيطه الثّقافيّ والأدبي. كما يفيد التّشبيه توكيد المعنّى في ذاكرة المتّلقي، ويسهم أيضا في توضيح الفّكرة التّي يريد الشّاعر تصويرها.

وهذا الخطاب دليل على إعادة الرّوح التّي فُقدت في زمن، قال عنه الشّاعر أنّه: "سْنِينْ عَذَابْ"، التّي تجمع على المعاناة التّي عاشها الفرد الجزائريّ والأحداث التّي شهدتها الجزائر، والتّي يكون الشّاعر شاهدا عليها أو ضحيّة من ضحاياها، فهو يسجل الأحداث التّي دونتّها الذّاكرة، وجسّدتها الأشعار والقصائد، صادقة خالية من أيّ تصنّع؛ لأنّ الموقف هنا لا يحتاج إلى ذلك التّصنع أو التّفنن اللّفظي، كما كان الحال عند شعراء الفصيح.

1- جودة كساب، الخطاب الشّعريّ العربيّ الحديث، المصادر والآليّات، مؤسسة حمّادة للدّراسات الجامعيّة والنّشر والتّوزيع، ط1، 2002م، ص60.

وهذه المواقف قد صوّرها الشّاعر الشّعبي، وأبرز حنكة الرّئيس بوتفليقة فيها؛ لأنّه العارف بأمور الدّولة، راح يرجع أفراد الوطن إلى جادّة الصّواب واتخذّ الحلّ المناسب ليعيد للجزائر روحها المفقودة في هذه السنين. والملاحظ من خلال الأبيات أيضا أنّ الشّاعر الشّعبيّ استعمل الصور البيانية التّي توضّح المستوى الرّمزي، حين شبّه عبد العزيز بوتفليقة بالسّاقي" و"البرق"، فالتشبيه الأول يدّل على أنّه من أعاد للجزائر حياتها العادية، واستقرارها الأمني، ونشاطها المعهود، الذّي فقدته في العشريّة السوداء، حين أصبح الفرد الجزائريّ، يخاف الخروج من منزله ليلا ونهارا.

أمّا التشبيه الثاني فيدلّ على العلم الذّي أنار به العقول، وأعاد الفرد إلى التمسك بالدّين والتعاليم الصّحيحة، حيث إنّه يدعو إلى التّسامح والاتّحاد بين المسلمين، يقول الله تعالى: **"الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، والّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُّوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ، والَذِينَ صَبَرُوا اِبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ."**[1]

هذا هو ديننا الحنّيف، الذّي يدعو إلى طاعة الله، وإصلاح ذات البيْن والإيصال والصّبر وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة، والسعي إلى ذكر الله تعالى، يقول الله تعالى أيضا في كتابه الكريم: **"وَمَنَ اَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسلِمِينَ، وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذِّي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ومَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ."**[2]

إنّ الصّورة التّي يمثّلها الشّاعر الشّعبي، مرتبطة بالأوضّاع الاجتماعيّة والدّينيّة السائدة في المجتمع الجزائريّ، المعروف بتمسّكه الدّائم بالوطن والمقوّمات الوطنيّة، المتمثّلة في الدّين واللّغة العربيّة والأصل الأمازيغي، فالوقوف ضدّ الوضع المزري هي صورة استعارية رمزية، شكل الشّاعر الشّعبيّ من خلالها موضوعا دينيّا روحيّا، والذّي يحقق له شعرية كتاباته، فالوقوف مع شخصية الرئيس عبد العزيز هي ثورة الشّعب ضدّ البأس والجوع

1 - سورة الرعد، الآيات: 20، 21-22.
2 - سورة فصلت، الآيات: 33، 34، 35.

والقهر، والصواب فيه هو الابتعاد عن الخطأ واتّباع السّبيل الصحيح للوصول إلى سعادة الفرد الجزائريّ.

أمّا الصّور العديدة التّي وظّفها الشّاعر في الأبيات، والتّي جعل من الطبيعة إيحاء لها، فمثّلت علاقة تطابقية بين العلم الذّي تحمله شخصية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، والرّوح التي تمثّل الحالة النّفسيّة والذّهنية للشّاعر، فجعل من العلم صلّة الرّحم بين أفراد المجتمع، التّي تحافظ على الحرية والاستقرار والأمن.

أمّا شجاعة الشّخصية، فمثّلها الشّاعر في العزم على إنقاذ الوطن، الذّي طلب النجدة، وتمثّلها الشاعر في الحالة النّفسيّة الوجدانيّة للشّخصية، والتي كان مصدرها الثّورة الدّاخليّة، وهي توحي إلى قوّة النّفس وصدق الإيمان الذّي يصبو إلى تحقيق المراد المتمثّل في العدل والسلام في الوطن الذّي صعب عليه الإنسان تحقيقه من قبل.

وقد احتفى الشّاعر محمد بودالي، بتصوير الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في قصيدته "الوئام سنة"، والتّي بدأها بوصف حالة الشّعب وما حل به، فهو بكلّ بساطة من أبناء الوطن، عاش المحنة من بدايتها وأحسن عكس مشاعر الآلام والجراح وتصوير أحاسيس المواطن، كما أحسن إعلام النّاس وتبليغهم، وحفظ العديد من الوقائع والأحداث، يقول الشّاعر:

سُبْحَانْ الإِلَهْ فِي مُلْكَهْ وْحِيدْ يَقْلَبْ الأَحْوَالْ مَنْحِينْ لآخَرْ

عَشْنَا مَنْ الدُّنْيَا أَيَامَاتْ أَتَنْكِيدْ نَارْ الَحْسَابَاتْ بِينْ الأَكَابَرْ

بَضْطِهَادْ وَظُلْمْ ذْهَبْ مَا فِي لْيَدْ وَغْتِصَابْ وْقَتْلَ جَمَاعِي جَايَرْ

جَزَّارْ الأَجْسَامْ قَلْبُ مَنْ حْدِيدْ مَا يَعْرَفْ رَحْمَةْ الْعَبْدْ لَلِّي غَادَرْ

عُظَمَاء بْكَاتْ مَنْ هَذَا اَتَفْسِيدْ تَبْكِي فَالسُجُودْ لَلْرَّبْ البَاصَرْ[1]

1 - محمد بودالي، الوئام سنة، أعمال الملتقى الوطنيّ حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائريّ من خلال فنون القول الشّعبيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، تيارت، الجزائر، 2002م، ص 540.

كانت الجزائر تعيش في أمن وسلام، ينعم أهلها برغدِ العيش، لا يقلق راحتهم ووئامهم أحد، إلى أن ظهر الإرهاب، الذّي زرع العنف والظّلم في الوطن. ومن خلال الأبيات، نلمس صدق قول الشّاعر وصراحته في إيصال حقيقة الوّاقع الجزائريّ إلى أعماق المتّلقي. ويتميّز الخطاب الشّعريّ الشّعبيّ بالوّضوح والبساطة؛ لأنّه لا يحتاج إلى مترجمّ حتّى يشرح المعاني؛ لأنّ اللّغة المستعملة هي لغة الشّعب البسيط، التّي تمتاز ببلاغتها وقوّة إيحائها.

فـ«اللّغة بتراكيبها وإيحاءاتها ودلالاتها المتنوعة، تبلغ أعلى المراتب في تصوير المعانيّ الذّهنية وتقويمها في صورة محسوسة، يتخيّلها الفكر، فتشكل صورة للدّلالة على كلّ ماله صلّة بالتّعبير الحسّي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاريّ للكلمات، الذّي يربط الفّرد بالكلّ، ويربط اللّحظة بالدّيمومة، وتنشأ الصّورة حين يتّسع الشّعور باجتماعية الحياة حتّى تشمل كافة الموجودات»[1].

أمّا الشّاعر الشّعبيّ فيحسن انتقاء الألفاظ الموجزة والموحيّة في الآن نفسه، يصوّر بها الوقائع وينقل المشاهد للقارئ، كأنّه يراه عينا ويلازم المشهد كلّ أسباب الإيحاء، حتّى يلمّ بكلّ التّفاصيل، ويحقق الهدف المنشود وتصل إلى قلب القارئ وعقله.

وهو يحمل لنا صوّرا متعددة عن الواقع المعاش وقت الإرهاب وفي زمن العشرية السوداء، ويصوّر لنا أيضا مواجهة الفرد الجزائريّ الصّعاب وهول الوقائع، ويرمز إلى الإرهابيّ بقاسي القلب، الذّي لا مكان للرّحمة في قلبه، فهو جزّار الأجسام، وهي صفات استعارها الشّاعر للدّلالة على الحقدّ الذي يكنه الإرهابي للمجتمع الجزائريّ عامة، ويبيّن أنّ الإرهابيّ يعاني بسبب الشرّ الساكن في نفسه.

ثمّ يتحدث الشاعر بودالي عن عودة رجل الأقدار، الذّي بعثه الله تعالى، ليخرج أبناء أمته من ظلمات الإرهاب، حين قال:

بْعَثْ الْـمَوْلَى شَبَهْ ابْنُ الْوَلِيـدْ وُلْدْ الأَصْلْ شْرِيفْ اِبْنُ الجَزَايَرْ

حْضُورْ الْمَنْسِي كِي جَانَا مَبْعِيدْ نَزْلَـتْ الرَّحْمَـةْ وَالظُّلْمْ تْعَاذَرْ

1- لحسن مخلوفي، الصورة الشعرية في النعاليات النبوية بالمغرب- دراسة في المكونات والآليات- مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 2010م، ص14.

جَانَا بَالسِّيرَةْ ذَا مَا هُوشْ جْدِيدْ سِيرَةْ نَبِينَا اَلْمْنَوَّرْ الطَّاهَرْ

رَايَسْنَا هُوَ مَنْ يْخَافْ الْوَعِيدْ مَنْ كْتَابْ اللهْ أَمْرُو ذَا سَايَرْ

أَصَالِي صْحِيحْ مَا خَانْ الشَّهِيدْ عَهْدْ الثَّوْرَةْ بَانْ بْعَبْدْ الْقَادَرْ[1]

يرمز الشّاعر إلى الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بعدّة رموز دلاليّة، والتّي تبيّن مكانته في نفوس أفراد المجتمع، الذّين ينظرون إليه على أنّه الأمل الواعد، فاستعار صورا تدّل على البّعد الدّينيّ مثّل قوله: "بعث المولى شبه ابن الوليد"، والتّي تكشف عن عالم الشّاعر الدّاخلي المملوء بالأحاسيس والمشّاعر اتجاه شخصية عبد العزيز، كما هي محاولة لإبراز علاقات نفسية تدّل على الأصل الطّاهر للشّخصية، وهو ما يفسّره الخطاب الموالي "ولد الأصل شريف ابن الجزاير"، هذه العبارة خطاب رمزيّ يدلّ على نقاوة وطهارة الأصّل، دلالة أيضا على القيمة التّي اكتسبها الرئيس، والتّي تحمل إشارات وعلامات العلوّ، التّي التقطها الشّاعر ليجعل منّها إشارة لقومه، ويحفز بها أبناء جلدّه للوقوف إلى جانب الرّجل، الذّي كانت وقفته لصالح الشّعب.

ويواصل الشّاعر بودالي في إبراز أهمّ الدلالات الرمزية حول الشخصية في قوله: "نزلت الرّحمة والظّلم تعاذر"، وهي صورة أخرى تدلّ على طهارة الرّجل والنّية الصّافية، التّي عاد من أجلها بعد أن غاب عن البلاد لمدّة طويلة، فالرّحمة التّي يقصدها الشّاعر هي التّوفيق من عند الله، في إخماد نارّ الفّتنة وزوال ظلم الإرهاب. أمّا في قوله: "جانا بالسيرة" فهو خطاب رمزيّ إيحائي، يتمثّل فيربط أعمال الرئيس ونشاطه ومحاولته إصلاح ما أفسده الإرهاب بالسّيرة النبوية، حيث يصرّح الشاعر بذلك في قوله: "سيرة نبينا المنوّر الطّاهر"، وهي دلالة توحي بأنّ ما يقوم به الرئيس عبد العزيز، منه تبليغ رسالة ربانية، لأنّ إخماد الحرب بين الأهالي وإرجاع المياه إلى مجاريها بين المسلمين، هي من آيات الله، يقول الله تعالى: **"مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ**

1 - لحسن مخلوفي، المرجع السابق، ص 540.

جَمِيعًا وَمَنَ اَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ."[1]

ويقول أيضا في كتابه العزيز: **"لَقَدِ ابْتَغُوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ."**[2]

ومن هنا يمكن القول إنّ الشّاعر الشّعبيّ حين ربط مسيرة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالسّيرة النّبوية، يهدف إلى إبراز القيمة الدّينية لشّخصيّة الرئيس وشجاعته النّفسية والوجدانيّة النّابعة من المشّاعر والأحاسيس الدّاخلية، وهي توحي إلى قوة الإيمان بالله أولاً، ثمّ الإيمان بتحقيق ما يصبو إليه منذ ترأسه الجزائر، وهو تحقيق الأمن والسلام وإعادة العزّة والكرامة التّي فقدت في الأقطار العربية والإسلامية. يقول الشّاعر أحمد بوزيان في قصيدة "وقفة مع التاريخ":

بُوتَفْلِيقَةْ سَاقْتَهْ لِنَا الأَقْدَارْ وَهْبَة لَلأُمَةْ مَنْ الْحَيْ القَدِيرْ

لُومَا عَبْدْ العَزِيزْ مَا كَانْ اِسْتِقْرَارْ مَا قَرَّتْ عَيْنْ الوْطَنْ مَا جَاء تَغْيِيرْ

يَا شَعْبْ وْصَايْتِي اَحْفَظْهَا لَلتَذْكَارْ بُوتَفْلِيقَةْ يْكُونْ لَكْ مَفْتَاحْ الْخِيرْ[3]

بالغ الشّاعر في تمثّلاته لشّخصية بوتفليقة، عندما اعتبره بطلا ورفعه إلى درجة المعصُومين، لكن الحقيقة تكون بأنّ شخصية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة هيّ شخصية صالحة صامته عاملة للخير، دون أن نشهر بها ونبالغ في وصفها، فهي شخصية تحمل المبادئ العقائدية التّي تسمو بالشّخصية كالدّين والكرامة والإنسانيّة.

أمّا الصّورة التّي وظّفها الشّاعر، والتّي استعمل فيها صيّغة المبالغة، حين ذكر عبد العزيز بقوله: "لو ما عبد العزيز ما كان استقرار"، وقوله أيضا: "ما قرّت عين الوطن ما جاء تغيير"، فتدفع القارئ إلى قراءة المعنى؛ وهو يوحي إلى الدّور الكبير المقدم من طرف الرئيس عبد العزيز في سبيل زرع الاستقرار وتغيير الأوضاع السابقة، والتّي كانت عبارة عن صرَاعات سياسية واجتماعية

1 - سورة المائدة، الآية 32.
2 - سورة التوبة، الآية 48.
3 - أحمد بوزيان، وحي الوئام، ص 68.

وحتّى ثقافية ودينية، وأصبح الشّعر الشّعبيّ وسيلة توضّح هذا الصراع القائم قبل عودة عبد العزيز، ودخوله معركة الإصلاح وحملته ضدّ فساد النّفس، وقد أشاد الشّاعر الشّعبي بالشّخصية، باعتبار أنّ الرّجل عامل صادق أثنى على أعماله واستوحى الهدف الذي يريد الوصول إليه، عن طريق الصّورة الصّادقة والمعبّرة عن كفاحه وبسالته في مواجهة الصّعاب.

ومن الشّواهد التّي مجدّ فيها الشّاعر الشّعبيّ أحمد بوزيان شخصية عبد العزيز بوتفليقة ومدحها، قوله في قصيدته "وحي الوئام":

عَبْدْ الْعَزِيزْ عَزْنَا بِهْ الوَّهَابْ وَخْذَلْ بِهْ الْحَسُودْ وْأَنْصَارْ الخَدْعَةْ

قَمْرَهْ هَلْ اليُومْ بَعْدْ سْنِينْ غْيَابْ عِشْرِينْ سَنَةْ كَامْلَتَةْ وأَشْهُرْ رَبْعَةْ

بِهْ زْهَاتْ نْفُوسْنَا وَحْيَاتْ البَابْ ذَا النُّوبَةْ رَبِّي اَسْتَجَبْ لَلدُّعَاءْ

بَعْدْ أَنْ قُلْنَا مَا بْقَى لَلْوْطَنْ صْوَابْ والخَيْرْ حْسَبْنَاهْ رَاحْ بْلاَ رَجْعَهْ[1]

يصف الشّاعر شوقه وحبه ولوعته إلى الرئيس عبد العزيز من خلال هذه الأبيات، فحبه ملأ أحشاءه، والصّورة هنا حقيقة رمزيّة، المقصود منها إبراز شدّة التأثير الدّيني في نفسيّة الشّاعر، حيث يجعل حضور شخصية عبد العزيز بوتفليقة في المجتمع الشّعبيّ عن رغبة إلهية. والشاعر أحمد بوزيان يعكس إحساسه وشوقه لبوتفليقة وقوّة تعلقه به، بعدّة صور لها دلالات مختلفة تندرج في إطار البعد الديني، حين يجعله آية من آيات الله، بعثه للشّعب الجزائري لينقذه ممّا هو فيه، حيث أصبح الرئيس عبد العزيز في المخيال الشّعبي رمزا للهروب من الواقع المزْري، ووسيلة لنِسيان الانكسارات التّي خلَّفها الإرهاب، فهو بالنّسبة للشّاعر قيمة دينية تستحق المدح والاحترام.

وتعتبر شخصية الرئيس عبد العزيز من أهمّ منابع الإبداع الشّعري الشّعبي، ومصدرا من مصادر الإلهام والوحي لدى شعراء الشّعر الشّعبي؛ إذ نلمس ذلك التّعلق الكبير بين الشّعراء الشعبيين والشّخصيّة السيّاسية، وهذا راجع للحب والاحترام الذّي يكنّه للوطن وأفراده، وكلّ شخصيّة تسعى إلى المصلحة

1– أحمد بوزيان، المصدر السابق، ص69.

العليّا للوطن، تصبح محبوبة من طرف الشعب، حيث يتعلق بها أفراد ويرتبطون بها.

أمّا المتتبّع لهذه الأبيات فيلمس عدّة تمثّلات شعرية رمزية للشّخصيّة، والتّي تجمع بين الرّغبة الإلهية والحب البشري؛ أيّ التعبير عن التعلق الروحي، وهذا ما تدّل عليه بعضّ الخطابات مثّل قوله: "عبد العزيز عزنا به الوهاب" وقوله أيضا: "ذا النّوبة ربّي استجب للدعاء" فمن خلال دلالة هذه الخطابات نلاحظ كيف تحولت الرّغبة الإلهية لوجود شخصيّة عبد العزيز بوتفليقة، إلى وحدة نفسيّة ينشد فيها الشّاعر ويتعلق بها الشّعب؛ لأنّه يزرع الطمأنينة، وهذا ليس حبا ماديّا؛ بل هو صورة حسيّة مفعمة بلغة الصفاء والطهارة.

ومن الطبيعي أن يتمسك الشّاعر الشّعبي بالقيّم الإسلاميّة، ومحاولة التّحرر من سجن الإرهاب، والارتياد إلى عالم السّلام والحريّة، فهو يناجي الله ويشكره على نعمه، المتمثّلة في إصلاح الوطن على يد هذا الرجل الذّي يعتبر الرّوح العليّا التّي لا يمكن بلوغها، فهيّ القوّة المستمدّة من قوّة الإله، والتّي جعلها الشّاعر رمزا في المخيال الشّعبي، يلجأ إليها الشّعب كحصن يهرب إليه من حرائق الإرهاب وضلالته، وهذا ما نلمسه في قوله: "بِهْ زْهَاتْ نْفُوسْنَا وَحْيَاتْ أَلْبَابْ"، وهذا تلويح رمزيّ إلى التّغيير، الذّي حوّل الجزائر من مرحلة الحرب إلى مرحلة الاستقرار والأمن، ولذلك نجد الشّعراء الشّعبيين يذكرون الشّخصية؛ لأنّهم وجدوا فيها الملاذ والهروب من مصاعب الحياة، يقول أحمد بوزيان في قصيدته "والصلح خير...":

ذَا حُلْمْ الأُمَـةْ تْحَقَقْ فِـي لَمْـحَـةْ وَالصُلْحْ مْعَ الذَّاتْ عَشْنَاهْ مَرَاحِلْ

بُـوتَفْلِيقَـة لَـمْ حَبَّـاةْ السَّبْحَـةْ رَايَسْنَا مَكَـانْ مَـنْ فِيـهْ يْجَادَلْ

بَعْدْ الْعُسْرْ ضْفَى عْلَى الوْطَنْ الرَّاحَةْ مَـنْ بَعْدْ اللِّي كَانْ بَالفَتْنَةْ شَاعَلْ

أَلّـفْ بِينْ قْلُـوبْ كَانَـتْ مَجْرُوحَةْ بَالْوِئَـامْ قْضَى عْلَى الهَّمْ الطَّايَلْ

الجَـزَائَـرْ بِـهْ رَجْعَتْ لَلسَّـاحَـةْ صَارْ شْنَاهَا فِي العْلاَ مَا هُوَ نَازَلْ[1]

1 - أحمد بوزيان، المصدر السابق، ص 33.

وفي هذه الأبيات يظهر الاستعمال الرّمزيّ في طيّات القصيدة، وتتمدّد الدّلالات الرّمزيّة، في أنّ الرّمز كان تعبيرا عن المشّاعر والأحاسيس، التّي يرغب الشّاعر في الإفصاح عنّها، ومن ثمّ كانت تعبيرا صادقا عن تطورات الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة والسيّاسيّة، إضافة إلى احتوائها على دلالات تاريخية؛ لأنّ «الأحداث التّاريخيّة والشّخصيّات التّاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعيّ، فإنّ لها إلى جانب دلالتّها الشّموليّة الباقيّة والقابلة للتجدّد على امتداد التّاريخ، في صيغ وأشكال أخرى»[1].

ونلاحظ من خلال الأبيات توظيف الشّاعر الرّموز الدّينية في ثنايا القصيدة مثّل قوله: "حَبَاةْ السَّبْحَةْ"، والتّي تدّل على أفراد المجتمع، ولفظة "يجادل" والخطاب الرّمزي في "بَعْدْ العُسْرْ ضْفَى عْلَى الوْطَنْ الرَّاحَةْ"، حيث أضفت على القصيدة طابعا حيويّا، فبوتفليقة هو الرّجل العادل الذّي حقق للجزائر استقلالها الدّينيّ كما حقق في قضيّة الإرهاب الانتصار والخلّود.

ويتجلّى رمز الشّخصيّة في القصيدة الشّعبية في علاقته بالوطن، حين يبيّن العلاقة الوطيدة بينهما، مبرزا ذلك الحب مستخدما الرّمز بكثرة حتّى يترك للقارئ لذّة التّذوق والكشف عن الدّلالات الجديدة، وفق المعطى الشّعري والموقف النّفسي.

وقد يجد الشّاعر الشّعبي إضافة وفضاء واسعا، يساعده على توظيف الرّموز الخّاصة بالشّخصية السيّاسيّة، انطلاقا من تجربته المعاشة، فرمز الشّخصية أخذ عدّة دلالات، وأصبح أكثر الرموز تداولا في الشّعر الشّعبي؛ لأنّها النّور الذّي تحيى به النّفوس، واكتسبت بذلك مكانة مقدسة في قلب الفّرد الجزائري؛ لأنّها رمز من رموز الأمّة الإسلامية.

ونشير إلى أنّ حضور الشّخصية السيّاسية للرئيس عبد العزيز بوتفليقة، في المخيال الشّعبي عامّة والقصيدة الشّعبية بخاصّة، يضيف إثراء للنّص، ويعطي دلالة التّغيير، والدّليل على ذلك قول الشّاعر: "الجَزَائِرْ بِهْ رَجْعَتْ لِلسَاحَةْ"، وقوله أيضا: "قْضَى عْلَى الهَّمْ"، الذّي يبيّن حركيّة الانتقال من

1 - علي عشري زايد، استدعاء الشّخصيّات التّراثيّة في الشّعر العربيّ المعاصر، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2006م، ص 120.

مرحلـة إلـى مرحلـة أخرى، تختلف عن بعضها البعض، فتصبح تعبيرا عن الأمل الذّي لا يتحقق إلاّ بالعمل، والتّغنـي بالمبـادئ التّـي يؤمن بها الفرد الجزائريّ، بما أنّه مصدر للرّاحة النّفسية، من خلال السعيّ إلى إزالة ما تعلق بالقلب من جراح ومتاعب.

وقد شبه الشّاعر الشّعبي عبد العزيز بوتفليقة بالرّسل؛ لأنّه يحمل رسالة إلهية تتمثّل في المصالحة، وهي رمز من الرّموز التّي التصقت بالشّخصية حتّى أصبحت جزءا منه، يقول الشّاعر شوشه جلول:

طْبِيبْ الشَّعْبْ اَلْيـُومْ بَعْدْ مَا خَمَّـمْ جَابَ لْنَا وَصْفَةْ جْدِيدَةْ بَشْفَاهَا

رَانِـي عَ المُصَالَحَةْ يَا مَنْ تَفْهَمْ دَوَ الَبْـلادْ ضُرْ لَلِّي عَادَاهَـا

رَبِّـي قَـالْ الصُّلْحْ زِينْ* وْخِيرَ لْكُمْ وْالَعْدَاوَةْ وِيحْ مَنْ رَاحْ مْعَاهَا[1]

إنّ رمز المصّالحة الذّي وظّفه الشّاعر الشّعبي شوشة جلول، يدخل في إطار البّعد الدّيني، وهذا طبعا حسب الموضوع الذّي يعالجه الشّاعر، فالمصالحة بيّن أفراد الشّعب الوّاحد ولمّ الشمل، من شيّم المسلمين، يقول الله تعالى في كتابه المقدس: **"لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمُ إِلاَّ مَنَ اَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَلِكَ اِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا."**[2]

فالشّاعر الشّعبي حين يوظّف شخصية عبد العزيز بوتفليقة في قصائده، يسعى إلى إيصال رسالة أو صورة للوّاقع الذّي يعيش فيه، نظرا للعمّق الرّمزيّ لشّخصيّة عبد العزيز، فبإصـلاحه للمجتمع أكسبـه قـداسة جعلت منه رمزا، وعلامة في المخيال الشّعبيّ الجزائري، ولربّما يحاول الشّاعر إبراز التّناقض بين المـاضي المظّلم وفسـاد الواقع والتّدهور الاجتماعيّ، والحاضر المزدّهر بالسّلام والأمن، وهيّ إطلالة يتطلع من خلال ترميزها إلى إعادة تصوير الواقع وفق الإيحاءات الدّلالية، التّي تعكس حلم الفّرد الجزائريّ الذّي يريد التّغيير، وقد شبه الشّاعـر الـرئيس بالطّبيب، الذّي يرمز إلى وجود المرض،و الذّي أصاب

* - أيّ الصّلح أحسن لكم من العداوة.

1- إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول لشّاعر شوشة جلول، ص 110.

2 - سورة النّساء، الآية 113.

الشّعب جراء الإرهاب، ودليل أيضا على الدّور الذّي قام به الرئيس عبد العزيز في معالجة القضيّة الوطنيّة. أمّا المصالحة فهي معادل رمزيّ لشخصيّة الرئيس عبد العزيز؛ لأنّها الوسيلة التّي استعملها في سبيل معالجة هذه القضيّة.

ونجد الشّاعر محمد بوشتة*، يوضّح ذلك التّعلق القائم بيّن الشّعب وشخصية عبد العزيز، وهو دليل على قوّة وقع الشّخصيّة في نفوسهم وما تعلقهم بها إلّا دليل على صفائه وحسن النّية، التّي يعالج بها قضية وطنه:

مَرْحَبًا بِيكْ يَا زِينْ تَّبْسِيمَةْ يَا وُلْدْ تْلَمْسَانْ وُلْدْ الْجَزَائَرْ

شَعْبْ وَاقَفْ مْعَاكْ دِيمَهْ نَاصْرَكْ وَمْعَلِّيكْ يَا حْبِيبْ الْجَمَاهِيرْ

أَنْتَ عَنْدَكْ عَنْدْ شَعْبْ قِيمَةْ أَنْتَ مَحْبُوبْ عَنْدْ الْعْرَبْ وتَنْصِيرْ

رَجْعَتْ الْجَزَائَرْ لَلدُّوَلْ سَلِيمَهْ وَعْلامْهَا كَانْ فَالْمْحَافَلْ الدَّوْلِيَّةْ أَسِيرْ

مَا خَلِّيتْ اَلْجَزَائَرْ بِينْ الدُّوَلْ يَتِيمَةْ وقَدَمْتْ لْشَعْبْهَا شِيءْ اَلْكَّثِيرْ[1]

يستعمل الشّاعر في وصفه للشّخصيّة، مجموعة من الجمل الاسمية؛ لأنّ «الوّصف ميزة الشّعر، فلا غرابة أن يحتوي على جمل اسمية غرضّها الوّصف، في مقابل الجمل الفّعليّة التّي تتلاءم مع الخطابات السّردية»[2].

كما وظّف أسلوب النّداء، لإيمانه بأنّه وسيلة من وسائل الخطاب الشّعري، والذّي يوجه إلى عقل المتّلقي، وهو وسيلة أيضا تبرز أهمّ التمثّلات في البيت الواحد أو في القصيدة كاملة، والوّصول إلى المعاني الخفيّة، التّي يعالجها الشّاعر الشّعبيّ، «في حين أنّ الانتقال إلى المعنّى يتطلّب عملية عقلية استنتاجيه، ننتقل فيها من معان محسوسة إلى معانيّ محسوسة أيضا»[3].

لقد وظّف الشّاعر الشّعبي عدّة رموز في خطابه، للدّلالة على الحالة النّفسيّة للشّاعر تجاه الشّخصيّة السيّاسيّة لعبد العزيز بوتفليقة، فهو متأكد بأنّ قدرة عظيمة تساعد الرّجل في إنجازاته، وكيف لا والشّعب أحبّه وتعلّق به منذ

*- في قصيدته "بوتفليقة".

1- فتيحة ولداي تبينة، شعر محمد بوشتة الشّعبيّ، جمع ودراسة، ص 109.

2- حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفرابي منشورات الاختلاف، بيروت،ط1، 2001م، ص 154.

3 - حسين خالفي، المرجع السابق، ص 156.

عودته إلى أرض الوطن، ورفع التّحدي ضدّ أعداء الله الذين قتلوا وشرّدوا أبناء الوطن باسم الإسلام، على الرّغم من أنّ الإسلام يدعو إلى الرّفق بالأخوة والصّبر وطاعة الله والحكم بقول الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: **"وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(46) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ(47)."**[1]

فكان شعار الرّجل العزّة والكرامة لبناء جزائر الغد؛ لأنّه اهتمّ بمستقبل الجزائر، وقد اعتمد الرّئيس على مخيلته للّوصول إلى مبتغاه؛ لأنّ المستقبل مجهول ولابد أنّ يخطط له بإحكام، برسم صور ذهنية في مخيلته تقوده إلى الحلّ العامّ، وهو ما تجلّى في المقولة التّي ردّدها عدّة مرات في كلّ خطاب صدر منه أثناء الحملّة الانتخابية، «سأخمد نار الفتنة وسأرجع الأمن والآمان وسيكون الاستقرار في الجزائر وسوف يعرف الاقتصاد حركة نمو...»[2].

وقد استقبل الشّعب هذه الوعود وتعلّق من خلالها بشخصية عبد العزيز؛ لأنّه كان في حاجة إلى الاستقرار، وكان يأمل أن تعود الجزائر آمنة، وهذا ما يعكسه الشّاعر الشّعبيّ بين سطور أبياته لمّا يقول: "شَعْبْ وَاقَفْ مْعَاكْ" و" اَلشَّعْبْ ناصرك"، "يَا حْبِيبْ الجَمَاهِيرْ"، وما يدلّ على هذا في الواقع الجزائري، هو نسبة المشاركة العالية والنّاجحة في الانتخابات الرئاسية ليوم: 08 أبريل 2004م، وهو دليل بأنّ «عبد العزيز بوتفليقة" يتّسم بالقدرة القوّية والنّاضجة على الإبّانة والإفصّاح عن المفاهيم والمعاني الذّهنية، التّي تتأتى له بيد أنّه يكون في إبانته وإفصاحه، محققا التّكيف أو التّوافق بينه وبين من يقوم بقيادتهم. لذلك تجده يخاطب الشّعب الجزائريّ الذّي يقوده بمهارة، ويستحوذ على أفئدتهم، فهو يعتمد إلى توظيف ثقافته للمواقف القيّادية التّي يتصدى لها»[3].

1 - سورة الأنفال، الآيتان: 46 و47.
2 - أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة، (بين الموهّبة والقيّادة) رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2005م، ص 179.
3 - المرجع نفسه، ص 180.

هذه الثّقافة استمدّها من خبرته السّابقة ومن تربيته التّي تلقّاها، ومن الظروف التّي عاشها- وقد تجد الشّاعر أيضا في نظمه حول شخصية بوتفليقة، يقيّم رأيه حول الأعمال التّي قام بها بقوله:

لَنْ وَلَنْ نْقُولُوا لَكَ إِلَي اللِّقَا

يَا سِيدِي يَا بُوتَفْلِيقَةْ

الجَزَائِرْ بيكْ تَحْيَا وتَرْقَا

يَا سِيدِي يَا بُوتَفْلِيقَةْ

وْالأَعْدَاءْ وَالْحَاسْدِينْ سَيُصَابُونْ بَالْحَرْقَا

وَ شَعْبْ لَقَدْ بَرْهَنْ بَالْوَرْقَا

يَا سِيدِي يَا بُوتَفْلِيقَةْ

أَنْتَ الَّذِي كَسَرْتْ جُسُورْ تَّفْرِيقَا

وجْمَعْتْ بِينْ الأَحْبَابْ والأَشِقَا

يَا سِيدِي يَا بُوتَفْلِيقَةْ[1]

و الملاحظ من خلال هذه الأبيات، استعمال الشّاعر التّكرار في الوحدة الخطّابية "يَا سِيدِي يَا بُوتَفْلِيقَةْ"، وهي وسيلة يثبّت من خلالها الشّاعر الشّعبي، المعنى الإنساني الذّي تدور حوله القصيدة، والذّي يعطي كمّا هائلا من الدّلالات التّي تخدم المعنّى العامّ للقصيدة الشّعبية، أمّا تكرار الوحدة "يَا سِيدِي يَا بُوتَفْلِيقَةْ" دلالة على شدّة تعلقه بالشّخصيّة، وكذلك إعطاء القصيدة حركة إيقاعيّة تعبّر عن ذات الشّاعر وتولد جرسا موسيقيّا في النّص، وتخلق نوعا من الإثارة وتكثّيف المعنّى، فيجعل البناء الشّعريّ بناءا متماسكا ومتناسقا، يوصل الشّاعر إلى إيجاد المعانّي والكلمات التّي يعبّر من خلالها، عن وجدانه وأحاسيسه تّجاه عبد العزيز بوتفليقة.

1 - فتيحة ولداي تبينة، شعر محمد بوشته الشعبي، ص 123.

أمّا التّمثّلات الشّعريّة التّي وظّفها الشّـاعر في هذه الأبيات، توضّحها بعض الـوحـدات مثل (إصابة الأعداء بالحرقة)، (كسرت جسور التّفرقة)، (وجمعت بين الأحباب والأشقاء)، وهي دلالة رمزيّة عن الدّور الدّينيّ، الذّي يقدّمه عبد العزيز للشّعب الجزائريّ، وهو تعبير أيضا عن الوّضع الاجتماعيّ الذّي عاشه الشّعب، وتفشّي ظاهرة العنف في الوسط الاجتماعيّ، على الرّغم من أنّ الدّين الإسلاميّ الحنيف يدعونا إلى التّماسك والاتّحاد والتّسامح... وهو المبدأ الذّي انطلق منه عبد العزيز بوتفليقة، من أجل إخماد نار الفّتنة، وإعادة للجزائر قيمتها التّي فقدت في العشرية السّوداء، يقول الشّاعر الشّعبيّ أحمد بوزيان:

رَجْعَتْ سُمْعَةْ الوْطَنْ مَا بِينْ أَقْطَارْ وَرْجَعْ عَزْ بْلَادْنَا فِي ظَرْفْ قْصِيرْ

بَعْدْ أَنْ كُنَّا لَلْعُرُوبَةْ وَصْمَتْ عَارْ رَانَا شَاوْ الرُّكْبْ والقُومَانْ تْسِيرْ[1]

إنّ التّغيّير الـذي طرأ على البلاد منذ تولّي عبد العزيز بوتفليقة زمـام القيّادة، جعل الشّاعر يـوظّف مـن شخصيته صوّرا ذهنيّة تـوحي إلى القوّة والعظّمة، واتخذ منّها أيضا موضوعا إبداعيا يزيد النّص الشّعري بعدا جماليّا، وهذا دليل على تجربة الشّاعر ورؤياه الخاصّة. فربطّ الشّاعر الشّعبيّ شخصيّة عبد العزيز بالوطن الهام روحي ودليل رمزيّ لعلاقة الفرد بوطنه، فالوطن رمز الخصوبة والنّماء، فإذا فسدت سياسة تسييره سقطت عنه قيمته، وأصبح ينظـر إلى شعبه نظرة احتقار، لهذا السبب ركز الشّاعر الشّعبي، على هذه النّقطة حين كان الوضْع قاهرا، حين انتشر الفساد في الجزائر، وفقدت فيه الجزائر عزّتها بيّن الأقطار العربية، وأصبح الفـرد الجزائريّ في موقف لا يحسد عليه، ولمّا عاد عبد العزيز إلى الوطن، أرجـع للجزائر عزّتها، وهو دليل رمزيّ على قوّة الشّخصيّة وكفاءتها في التّسيّير، واعتراف العرب بدوره الفعّال في إنجاح الثّقافة ونشر الدّين الصّحيح في الجزائر، ولمّ شمل أفراد الأمة والمجتمع الواحد، وإعطاء فرصة الحياة في أمن واستقرار.

ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى أمر مهمّ يبيّن العلاقة بين الشّاعر والشّخصية، وهو الحالة النّفسية التّي تؤثّر على إبداع الشّاعر وتساعده على النّظم، فالشّاعر حين يتحدّث عن شخصية عبد العزيز، نلمس ذلك الحبّ العميق

1 - أحمد بوزيان، من وحي الوئام، ص 68.

والعلاقة الوطيدة، وتلك الثّقة التّي يجعلها في الشّخصيّة، فهو متأكد من أنّه السّبب في الانتقال من المرحلة الصّعبة إلى المرحلة الحاليّة المملوءة بالفرح والسعادة، ويرى بأنّه السّبب في إطفاء نار الفّتنة والسبب في إعادة قيمة الفرد ومكانته، التّي فقدت في العشريّة السوداء حين أصبح ينظر إلى الجزائريّ، على أنّه إرهابيّ، فللرّجل دور في الوقوف ضدّ الظّلم والطغيان، وإعطاء حقّ الفرد في مجتمعه والمتمثّل في التّعليم والعمل والعيش في سلام، ولعل الشّاعر أحمد بوزيان أكثر الشّعراء الشّعبيّين إعجابا بالشّخصية، التّي عرف عنها رفضها الوضع والثّورة على مسبّبيها، ومقاومة الظلم، فأكثر من ذكر أعماله والافتخار بها.

3- المبحث الثّاني: البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ

إنّ الحديث عن البّعد الإصلاحيّ الاجتماعيّ، يقودنا إلى إبراز أهمّ التّمثّلات الاجتماعيّة للشّخصيّة، من خلال القصيدة الشّعبيّة، وقد نلاحظ بعض الأمور في هذه الدّراسة المتمثّلة في تداخل وتقاطع بعض التّمثّلات بين البّعد الاجتماعيّ والبعد الدّينيّ.

وقبل الحديث عن أهمّ التّمثّلات الشّعريّة، يجب الحديث أوّلا عن الوضع الاجتماعي الذّي عاشته الجزائر وقت الإرهاب، حيث تدهورت الأوضاع، وأصبح الفّرد الجزائريّ، يعيش التّعاسة والظّلم والاضطهاد والقنوط والخيبة، وعجز عن التّعرف على نفسه، وأصبحت الجزائر عبارة عن ساحة للصّراع بين فئة ضالة تبحث عن النّجاة، وأخرى مهملة تبحث عن الانتقام، وهذا إنّما يدلّ على صنّاع السيّاسة، الّذين يسعون للوُصول إلى السّلطة.

إنّ الموضوع الأساسيّ الذّي يعالجه الشّاعر الشّعبيّ في تمثّلاته الاجتماعيّة هي مدح الرّئيس عبد العزيز بوتفليقة، والإشادة بخصاله وتعداد أعماله والاعتراف بدوره الاجتماعيّ. ومن النّماذج الشّعريّة التّي تذكر ذلك، قول الشّاعر أحمد بوزيان في قصيدته "والصلح خير...":

صَلَّحْ ذَاتْ الْبِينْ وْأَعْطَاهَا مَسْحَةْ صَارَتْ خَيْرَاتْهَا عْلِينَا تَتْهَاطَلْ

اَتْهَنَّى يَا شَعْبْ وْأَهْنَى بَالْفَرْحَة وتْمَتَّعْ مَا دَامْ فِي كَتْفَكْ رَاجَلْ

هُوَ مَنْ نَادَاكْ بَالمُصَالَحَةْ بُوتَفْلِيقَةْ جَاكْ بَالْبُشْرَى عَاجَلْ[1]

حيث يقوم الشّاعر الشّعبي بتعداد بعض الصّفات، التّي لها دلالات رمزيّة توحي إلى صفات أخرى يمثّلها الشاعر عن شخصيّة عبد العزيز، كما يقوم بتتبّع هذه الصّفات، التّي تدخل في بناء الشخصية الاجتماعية لعبد العزيز؛ لأنّه المصلح الاجتماعيّ الذّي ألّف بين قلوب الأفراد، وأصلح ذات بينهم، كما حوّل المعاناة إلى فرحة، وأدخل البهجة في قلوب الشّعب بعد معاناة دامت أكثر من عشر سنين عجاف. أمّا استعماله لفظة "رَاجَلْ" في الأبيات، فيدل على أنّه أعظم فرد جزائريّ، وكان لمجيئه دور جليّ في انجلاء الضّلالة وعموم الأخلاق الحميدة، وهي الأسباب التّي تجعل الفرد الجزائريّ يضع الثقة فيه، ويعطيه أصواته في الانتخابات؛ لأنّه واثق إن لم نقل متأكّد من أنّ الرّجل هبة من الله، أرسله إلى الشّعب الجزائري ليخرجه من الظّلمات، ويدخله إلى النّور، ومواقفه وأعماله تزيد الفّرد حبّا وإعجابا بهذه الشّخصيّة، فـ«الجديد في قصائد الملحون الخاصة بمدح هؤلاء، والاستنجاد بهم يتمثّل في الرّبط بين الشّاعر وبيئته وبين الفرد ومجتمعه»[2].

كما يمكن أن نجد بعض القصائد التّي تتحدث عن شخصيّة عبد العزيز وتستنجد به، و«تكاد تكون صرخات مدوّية تعلن عن ألم الشّاعر ويأسه، وترتفع نبرتها إذا كانت من أجل الوطن، أو من أجل ما لحق بالشّاعر والشّعب معا»[3].

يقول الشّاعر محمد بوشتّة في قصيدته "بوتفليقة":

وَأَنْتَ الذِّي وَحَدْتْ بِينْ الأَفَارِقَا
هْنَا فِي بْلادَكْ وْبِينْنَا سَتَبْقَا
وْلَنْ وَلَنْ شَعْبْ يْقُولُوا لَكْ إِلَى اللِّقَا
يَا مَنْ حَارَبْتَ الزُّورْ وَالرَّشْوَةْ والسَّرِقَا
وَذْهَبْ تْمَشْيَا فِي وَسَطْ شَعْبْ فَزُنْقَا

1 - أحمد بوزيان، المصدرالسابق، ص 33.
2 - عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 437.
3 - المرجع نفسه، ص 438.

بَالْيَدْ تْشَـالِــي وَالنَّـاسْ بْـحُبَكْ حَامْقَـا

لا حُـرَاسْ يَحْرُسُونَـكْ وْلا رْجَالْ يَحْمِلُونْ بَنَادِيقَا

عشر سَنَـوَاتْ حَـرْقَـتْنَا وْنَـارْهَـا نَـارْ حَارِقَا

وَأَنْـتَ أَلـذِي رَجْعَتْ شَـمْسْ مَنْ جْدِيدْ شَارِقَا

وَلَنْ ولَنْ نْقُولَكْ إِلَى لِقَاءْ[1]

ذكـر الشّاعـر فـي هذه الأبيات بعض الأعمال التّي قام بها عبد العزيز بوتفليقة، والتّي تدلّ على التّغيّير الاجتماعيّ، الذّي عرف عدّة آفات اجتماعيّة، كآفة الرّشوة والسرقة وشهادة الزّور وغيرها... والتّـي انتشرت بكثرة في المجتمع الجزائريّ. و«على هذا المستوى برع شاعر الملحون في نقل صور وتأملات، عن أحوال عصره ومظاهر التّردّي والانحلال في مجتمعه، ومحاولة البّحث عن المعنى والدّلالة في كلّ ذلك، مع تنبيه أعين النّاس وضمائرهم إلى عواقبه وأخطاره»[2].

وعند الإشارة إلى بعض الآفات التّي التصقت بالفرد الجزائريّ، في زمن مضى، ليست «هي الصّورة الوحيدة عن المجتمع ومكوناته لدى شاعر الملحون، فهناك قراءات أخرى أكثر اعتدالا، وربّما تطرفا على السّابقة»[3]. والمتمثّلة في القتل والتّشريد والاغتصّاب... وكلّها صفات تجمع على فساد المجتمع أخلاقيّا ودينيّا.

وبالعودة إلى الأبيات السّابقة، تظهر جليّا دلالات بعض الصّور والرّموز، التّي تدلّ على حسن نيّة الشّخصيّة، وما التّحدي إلّا دليل قاطع على عدم تقبّل هذا الوضع الاجتماعي، الذي لا يصل بالإسلام في شيء، على العكس فهو يميل إلى الشّرك بما أمر الله عباده وطالبهم به يقول الله تعالى: **"وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ**

1 - فتيحة ولداي تبينة، شعر محمد بوشتة الشّعبيّ، ص 123.
2 - عبد الصمد بلكبير، شعر الملحون الظّاهرة ودلالتها، ص 153.
3 - المرجع نفسه، ص 154.

بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ(81) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ اَلْمُبِينُ(82)."[1]

وأمّا الصّورة الاجتماعيّة البارزة في هذه الأبيات فهي صورة التّواضع التّي تمثّلها الشّاعر في عدّة وحدات خطابيّة مثل قوله: "ذهبت مشيا في وسط شعب فزنقا"، وقوله أيضا: "لاَ حُرَاسْ يَحْرُسُونَكْ وَلاَ رْجَالْ يَحْمِلُونَ بَنَادِيقَا"، فالرجل من الشّعب وثقة الشّعب به جعلته ينزل إلى منزلة الشعب، حتى يحسّ بما يحسّون به، وكأنّه يريد القول من خلال هذا التّصرف أنني مثلكم أعاني؛ لأنّي أحسّ بما تحسون، والضرّ الذي يمسكم يضرني، فلنجعل أيدينا يدا واحدة ونُسهم معا في بناء جزائرنا، وننهض بوطننا إلى المستوى الأحسن.

وبالطّبع فلا يمكن إخراج الجزائر من وضعها إلاّ إذا اتحد جميع أفرادها، ورفعوا شعارا واحدا ضدّ أعداء الوطن، وأسهموا في بناء الجزائر؛ جزائر العزّة والكرامة، التّي ضحّى في سبيلها أكثر من مليون ونصف مليون شهيد. أمّا الشّاعر شوشة جلول فقد عبّر عن صورة اجتماعيّة أخرى في قصيدته "المصالحة الوطنية" لمّا قال:

وْ بَالْـوِئَامْ الْحَـالْ وَلّـَى مْسَقَّمْ لَقْلُـوبْ الـسُّودْ اَتْغَسْلَتْ نَقَّاهَا

اَلْوِئَامْ سْـدُودْ رَبْطَـتْ وَادْ الـدَّمْ وَالنَّـاسْ اَلْمَتْنَافْرَةْ قَعْ رَضَّاهَا

وْ تَوَّبْ ظَالَمْ كَانْ فِي السَّاحَةْ يَعْدَمْ وْفَرَحْ نَـاسْ سْنِينْ مَازَلْ بْكَاهَا

وْالخَـوَّفْ اَلْلِّي كَانْ بَنْيَـابَهْ يْزَّدَمْ ذِيكْ الـصِّفَةْ كَـانَتْ وَدَّعْنَاهَا[2]

ومن الجيّد أن يصوّر الشّاعر الوضع نفسه، والحالة النّفسيّة والاجتماعيّة نفسهما للفّرد الجزائريّ، حين ينوّع التعابير الشعرية للدّلالة على حياة الفّرد في العشر سنوات الدامية، والتّي اسودّت فيها قلوب الشعب وكثرت فيها الاقتتال، وفُقدت كرامة الفرد وعزته، وتنافر فيها النّاس، وعاث الظّالم فيها فسادا، وساد الخوف، وانتشر الرعب في الوطن المستقل، وكأنّنا ما نزال نعيش أيام الاستعمار الفرنسي.

1 - سورة النّحل، الآيات: 81-82.
2 - إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول لشّاعر شوشة جلول، ص 110.

وكانت شخصية عبد العزيز هي الأنسب لزوال هذه الظّاهرة، عندما وظّف الوئام كوسيلة لجمع شمْل الشّعب، وهو ما يؤكده الشّاعر في قوله: "وْبِالْوِئَامْ اَلْحَالْ وَلّى مْسَقَمْ"، فالوئام ظاهرة اجتماعيّة تهدف إلى تحسين الوضع وتوحيد الأفراد. أمّا شخصيّة الرئيس عبد العزيز، فهو الرّمز الذّي يعطي دلالات جديدة، وفق الموقف النّفسي للشّاعر، والذّي يكسب النّص بعض الإيحاءات، حيث لن يبقى رمز الشّخصيّة حبيس ذلك الماضي المؤسف.

أمّا رمز "الوئام" في الشّعر الشعبي الجزائري، يحيل إلى الإسلام، فهو النّور الذّي يعيد للجزائر أمنَها واستقرارها، وتحيى به النّفوس بعد أن عاشت ظلم الجّهل والاضطهاد، وتجود على النّفس الحبّ والفرح والسعادة والهناء... وللوئام مكانة مقدّسة في نفس الفرد الجزائريّ، وفي قلب الشّاعر الشّعبيّ الذّي يسعى إلى تحسين وضع إخوانه المواطنين، فالجزائر أمّة عربية ترمز للإسلام، فمن غير الممكن أن تعيش في هذا الوضع الذّي آل واقعها إليه. يقول محمد بودالي في قصيدة "الوئام سنة":

نَقَّى اَلْقْلُوبْ هَذَمَتْ مَرْيدْ أَوْقَفْ بْجَنْبُو الإِلَهْ النَّاصَرْ

نَزَّلْ اَلرَّحْمَةْ بْقُوّتْهَا تْزِيدْ اللهِ الرَّؤُوفْ فَالشَّدَّةْ حَاضَرْ

بْعَثْ بُوتَفْلِيقَةْ جَانَا بَالْمُفِيدْ قَانُونْ الْوِئَامْ اللهِ لُو نَصَرْ

نَادَا لَلتَّوْبَةْ ذَا وَاجَبْ أَكِيدْ وَالرَّافَضْ هَذَاكْ فَالتَّالِي خَاسَرْ[1]

من خلال هذه الأبيات يتّضح أنّ شخصيّة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة وأعماله المقدّمة من أجل الشّعب الجزائري، أصبح لها صدى في المخيال الشّعبيّ الجزائريّ وخاصة عند شعراء الملحون، الذّين يعتبرون الشخصية رغبة إلهية بعثها الله للشعب لتكون رحمة من الله الرؤوف الرحيم، والدّليل على ذلك قول الشاعر: "نَزَّلْ الرَّحْمَةْ"، وقوله: "بْعَثْ بُوتَفْلِيقَةْ"، وهي رموز دالة على التّطور الاجتماعيّ الذّي عرفه المجتمع الجزائري، بعد عودة الشّخصيّة إلى أرض الوطن، ورفعها التّحدي ضدّ الظالم الغاشم، الذّي حوّل الوطن إلى دمار وقفر

1 - محمد بودالي، أعمال الملتّقى الوطنيّ حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائريّ من خلال فنون القول الشّعبيّ، ص 540.

وخراب، وقد تسبب في إبادة الأرواح. أمّا الإرهاب فهو رمز للتّشاؤم والنّفور في المخيال الشّعبي الاجتماعي.

ونشير إلى أنّ حضور الشّخصية في الشّعر الشعبي، أضحت رمزا أساسيّا يثري دلالة النّص الشّعري، ونذكر أنّ الرّمز يكسب خاصيّة مميزة لدى الشّاعر الشّعبي. وهي الخاصيّة الذّاتيّة التّي تختلف من مبدع لآخر «إلاّ أنّ نقطة البدء الطبيعيّة في عملية الرّمز، هي اختلاجه النفس بحالة يراد التّعبير عنّها، ثمّ يتجه طريق السير من باطن إلى ظاهر ومن حالة وجدانيّة داخليّة إلى شيء في دنيا الأشياء الخارجيّة»[1]. ووجود هذه الحالة يكون عن طريق التأثر بأعمال عبد العزيز بوتفليقة، خاصة تلك الأعمال التّي تسعى إلى تغيّير الحالة الاجتماعيّة بما أنّه أحد أفراد المجتمع، متأثر هو كذلك من الوضع ويبحث عن وسيلة تساعده والشّعب قصد الخروج منه.

أمّا لغة الشّاعر الشّعبية فهي معبِّرة عن ذلك التوتر والقلق الذي يمتاز بالحيوّية، وتكون اللّغة المستعملة في القصيدة الشّعبية، «فرديّة وعالميّة قوميّة وشائعة، موقوتة وأبديّة، ضاربة بجذورها في البيئة، ومزوّدة بأجنحة الرّوح، مفهومة وعاليّة على الفهم، منفتحة على اللاّ نهائيّ»[2]. ترمز إلى الفرد الاجتماعيّ وتعكس الوّضع المعاش، وتدلّ على قيمة شخصيّة الرئيس عبد العزيز في الوطن العربي عامة، والجزائر خاصة؛ لأنّ أخبار إنجازاته بلغت العالم أجمع وأصبح رمزا ومثلا يضرب في الرّوح الإصلاحيّة، ومقاما يعتبر به في محاربة الإرهاب.

إنّ العمل الذّي يقدِّمه الرئيس عبد العزيز إلى وطنه، هو عمل حثّ عليه القرآن الكريم، وهو دليل على الارتباط بأسس الدّين والإيمان بالله ومصدقا لقوله تعالى: **"مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.**"[3]

1 - زكي نجيب محمود، قيّم من التّراث، دار الشّروق، مصر، (د.ت)، ص 49.
2 - عاطف جودة نصر، الرّمز الشّعريّ عند الصّوفيّة، ص 113.
3 - سورة النّحل، الآية 97.

ويقول أيضا: **"وَإِذَا جَاءَكَ الذِينَ يُومِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ."**[1]

ومن أسباب تمسك الشّعب الجزائريّ بشخصيّة الرئيس عبد العزيز، أنّه يقول ما يفعل، والصّدق في القول وسيلة لاكتساب العقول والقلوب، ونلمس ذلك حين وعد الشّعب بأنّه سيسترجع «الأمن والطمأنينة عبر السلم المدني، والقضاء على العنف فكرا وقولا وحتى عملا، من خلال خطاباته الموجهة للأمة، وعد بإطفاء نار الفتنة التّي كانت آنذاك مشتعلة»[2]. وهذا ما تحقق فعلا على أرض الواقع، وعادت الرّحمة إلى المجتمع، وأصبح الفرد الجزائريّ يعيش في أمان.

كما تعهد بصدّق وإخلاصّ أنّ يجمع الشّمل، ويحقق «الأهداف الحيويّة التّي تنشدّها السيّاسة الوطنيّة»[3]. وهذا ما أعطى للشّاعر الشّعبي موضوع إنشاده، حيث اعترف بالقيمة السيّاسيّة والاجتماعيّة للرئيس عبد العزيز، الذّي وعد ووفّى بعهده؛ وعد بتوفير الأمن والسّلام ووفّى بذلك، وأصبح الفرد الجزائريّ يتنقل في كافة أرجاء الوطن دون خوف، ينعم بالأمن والسّلم، وهو ما كان يصبو إليه الرئيس حتّى يتمّ تحقيق الأهداف الأخرى؛ لأنّ «الأمن والاستقرار هو السبيل الوحيد لإنجاح الميادين الأخرى»[4].

ولهذا فإنّ الشّاعر الشّعبي، يختار في قصائده مواضيع تسهم في تعميق الأحاسيس، عن طريق مدح شخصيّة الرئيس عبد العزيز الذّي يتمتع بمكانة خاصّة في نفوس الشّعب الجزائريّ، يقول شوشة جلول:

يَا مَبْهَى شَعْبْ الدْزَايرْ كِي يَتْلَمْ وْيَا مَبْهَى شَمْسَهْ إِذَا بَانْ ضْيَاهَا

اَلْوَطَنِيَةْ فِي قْلُوبَهْ مَاتَهْرَمْ والْحُرِيَةْ فُوقْ رَاسَهْ عَلاهَا

اَلْعُبُودِيَةْ مَا يْقُولَلْهَاشْ أَنْعَمْ وْكَلْمَتْ "لا" لَقَالْهَا مَاتْ حْذَاهَا

1 - سورة الأنعام، الآية54.
2 - أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيادة، رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنية، ص 39.
3 - أحمد قوراية، المرجع السابق ، ص 40.
4 - المرجع ، نفسه ص 40.

مَشْرُوعْ الْمُصَالَحَةْ هَذَا يَلْزَمْ وَاللِّي ضَدَّهْ آ المَخْصُوصْ نْبَاهَـه[1]

إنّ المسألة الاجتماعيّة التّي يعالجها الشّاعر الشّعبيّ في قصيدته، عبارة عن تعبير أكثر دقة وملاءمة لأعمال عبد العزيز بوتفليقة، الـذّي حول الحياة الاجتماعيّة المظّلمة بأساليب الإرهاب واضطهاده خاصة بالنسبة لشعب المعزول الذّي\ لا حول ولا قوّة له، والذّي بعد أن كان يصارع قسوة الظّروف الطبيعيّة، أصبح يصارع بطش العناصر الإرهابّية من جهة، والخوف من المجهول الذّي قد يحدث في أي لحظة من جهة أخرى. فالخطر كان موجودا في كلّ لحظة، وفي كل وقت، لذلك كان يعاني اللا استقرار أمنيّا واجتماعيّا وحتّى ثقافيّا بسبب انعزاله عن المجمعات السكانيّة.

وقد ربط الشّاعر الشّعبي شخصية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالمصالحة؛ لأنّها الوسيلة التّي تساعد على إرساء قواعد ثقافة السّلم، ويسعى بذلك إلـى محاربـة الحقد والشحناء، ويبدّلها بثقافة الحبّ والمودّة، ليمحو آثار الحزن الـذّي عاشـه الشّعب مدّة عشر سنوات، فهو بهذا يسيّر بما يمليه عليه ديننا الحنيف، وما أمره الله تعالى به في قوله: **"إِنَّمَا اَلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"**[2].

إنّ تحقيق المراد يجعـل من شخصيّـة الرئيس عبد الـعزيز رمزا في الذّاكرة الشّعبيّة، فهو من دون شكّ أصبح كبيـرا وسيِّـدا لـدى الـفرد في المجتمع الجزائريّ، يدعو إلى التّماسك والاتحاد وينبذ التّفريق بين أفراد الشّعب الواحد، الذّين تجمعهم الأصالة والعروبة والدّين. والشّاعر الشّعبيّ يسعى من خلال تعداد أعماله الإصلاحيّة إلى توظيف الرّمز في الإشارة إلى الرئيس عبد العزيز، فهو رمز الإصلاح والسّلام، وكلّها تدل على أنّ الرّجل مؤمن بالله تعالى، ومصدّقا لسنّة رسوله الكريم، مؤمن بنجاحه في جمع شمل الشّعب، وحقن دمّ المسلمين الجزائريّين، بسياسة العفو عن من تاب بعد كفره وأصلح ما أفسد.

ولذلك سهر على تطبيق قانون المصّالحة الوطنية، التّـي تمثّل القيّم والفضائل والأخلاق، وهي صفات قلَّما تجتمع في شخص واحد. ومنها نتوصل

1 - إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول لشّاعر شوشة جلول، ص 110.
2 - سورة الحجرات، الآية 10.

إلى أهمّ التمثّلات التّي يوظّفها الشّاعر الشّعبي في قصائده، يقول الشاعر ابن السّايح الخثير في قصيدته "الصلح"، والتي يسعى بها لتدعيم قانون المصالحة.

الصُّلْحْ الصُّلْحْ تْعُودْ فِي القُوَّةْ مَجْهَدْ وبْلا صُلْحْ نْعَمْ فِي الدَّوْلَةْ لَفْسَادْ

الصُّلْحْ الصُّلْحْ عْلاشْ تَبْقَى حَاقَدْ قَلْبَكْ يَصْفَى خِيرْ لَكْ مَلِّي يَسْوَادْ

الصُّلْحْ الصُّلْحْ تْعُودْ لَلْمَوْلَى حَامَدْ وشَاكَرْ فَضْلَهْ كِي تَتْهَنَّى لَكْبَادْ

كِيمَا دَارَتْ نَاسْ سَبْقَتْنَا فِي الْوِدّْ وتَبْقَى فِي لَخْيَالْ سِيرَتْهُمْ تَتْعَادْ

اَلْجُرْحْ اللِّي كَانْ دَامِي يَظَّمَدْ وْذِيكْ النَّارْ تْصِيرْ بْإِذْنْ اللهْ رْمَادْ[1]

فالشّاعر يريد المشاركة في إرساء قانون المصّالحة، والتّي يدعو إليها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، فيبيّن إيجابيات نشر هذا القانون وتطبيقه في المجتمع، فهو يحافظ على النّفس وروح الفرد، ويسهم في نشر المحبّة ويشفي الجرح الذّي ظلّ ينزف في العشرية الدّامية، ويخمد لهيب الفتنة، ويوحّد المجتمع ويحافظ على كيان الدّولة وأسسها الاجتماعيّة والثّقافيّة والدّينيّة والسيّاسيّة، ويبعد الخوف عن المواطن، الذّي لن يستطيع المقاومة لفترة أخرى، بسبب ضعف قدرته على تحمّل، وهذا ما يسعى إليه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، وقد تحقّق على أرض الواقع، حيث أصبح الفرد الجزائريّ يعيش في سلم وسلام، والدور يرجع لشخصية الرئيس عبد العزيز الذي كان له الفضل الإيجابي في إرجاع الجزائر إلى السكّة الصحيحة، حيث ألهمه الله عزّ وجلَّ القدرة على رفع التّحدي ومواجهة الصّعاب لتحقيق جزائر العزّة والكرامة.

إنّ القيّم التّي يتميّز بها الفرد الجزائري، تجعله يقف ضدّ أيّ عدوان ويجازف بنفسه في سبيلها، وهذا ما نلمسه في شخصية عبد العزيز بوتفليقة، الذّي واجه كلّ الأطراف الضديدة له، والتي تحمل برنامجا غير برنامجه، وتسعى إلى الفتنة وعدم الاستقرار.

والملاحظ من خلال النّصوص الشّعرية الشعبية التّي تجعل من شخصية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة موضوعا لها تشابها في الموضوعات، غير أنّ القيّم

1 - إبراهيم شعيب، الدّيوان المثّير للشّاعر ابن السايح الخثّير، ص 101.

تختلف من نص إلى آخر لإثبات الذّات الشّاعرة ضدّ إرادة المجتمع الطّاغية، والتّي يجب تصحيحها؛ فالشّاعر الشّعبي يرى أنّ شخصيّة الرئيس عبد العزيز، تمثّل رمز السّعادة. أمّا المجتمع فهو رمز الشّرف والكرامة، ولا يمكن للفرد أن يدوس على منبع سعادته ومصدر شرفه وكرامته، فتصبح كلاّ من الشّخصيّة والمجتمع شيئا مقدسا لدى الفرد الجزائريّ يجب المحافظة عليه.

حاول الشّاعر علي لميزي*، في حديثه عن سيّاسة الرئيس عبد العزيز الإصلاحيّة إبراز بعض العوامل المساعدة على نجاحها في الواقع، رغم وقعها النّفسي خاصة على بعض الأفراد، الذّين فقدوا أعزّ الرّفقاء، لكن التّسامح من شيّم المسلم وخصاله، خاصة إذا عاد بالفائدة على المجتمع الجزائري. يقول في ذلك:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ مَنْ بَشَّرْنَا مَنْ وَحَّدْ صْفُوفْنَا جَابْ الْوِئَامْ

وَاقْسَمْ فِي الْخِطَابْ لَوَّلْ وَاعْجَبْنَا قَالْ العِزّهْ وَالْكَرَامَةْ لَلْكِرَامْ

وَنْغَيَّرْ مُحَالْ نَقْعُدْ نَسْتَنَا وَانْصَلَحْ مَا رَاهْ غَالَطْ فِي النِّظَامْ

بِيكُمْ يَا شَبَابْ لَلنَّهْظَةْ قُمْنَا وبِيكُمْ يَا شَبَابْ يَتْقَدْ المَقَامْ

اَلْجَزَائَرْ غَرْبْ شَرْقْ أَوْ مَا شَفْنَا شَمَالْ أَوْ جَنُوبْ يَلْزَمْ لَنْسِجَامْ

فَوَّتْنَا هْمُومْ شْتَاتْ أُوغَبْنَا اَلْمَاضِي مَا نَنْسَاهْ وَالَمُسْتَقْبَلْ هَامْ[1]

تكشف اللّغة العاميّة المستعملة في الشّعر الشّعبيّ، والتّي تجعل منه أقوى في التّداول والاستمراريّة، أنّ قوة القصيدة لا تكمن في قدرتها على توظيف اللّغة

* - هو أحد فحول الشّعر الشّعبيّ ببلدة سيدي خالد ولاية بسكرة، وهو علي لميزي بن بن عزوز بن أحمد بن الحاج أحمد المولود يوم 20 جانفي 1955 بسيدي خالد، المعروف بضريح النبيّ خالد بن سنان العبسيّ كما يعتقد سكان المنطقة وورد في بعض الكتب القديمة، وتعرف بقبر "حيزية" المرأة المعروفة بوفائها وإخلاصها.
ينسب إلى عرش أولاد حركات وموضوع من قبيلة أولاد زكري التّي تنتمي بدورها إلى قبيلة أولاد نايل وهي من أكبر القبائل في الجزائر، ومن العوامل التّي ساعدت على نبوغه حبه الشّعر وحبه للكلمة الجملية منذ نعومة أظافره، واختلاطه بكثير من الشّعراء ولعلّ أشهرهم بن السائح الخيثر والشّاعر عبد القادر بن النوّي والسعيد بوعشرين والبشير قدايعة وإبراهيم لحسن...

1 - علي لميزي، الخيّال الرّمزي من خواطر علي لميزي، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريّين، الجزائر، ط1، 2009م، ص 70.

توظيفا شعريّا وحسب، وإنّما تميّزها بخصائص جوهرية متعددة يصعب إعادتها عندما تكون في صيغتها الأوليّة.

ومن بين الرّموز التّي استعملها الشّاعر علي لميزي، "في الصيغة المكتوبة."[1] ولذلك نجده أكثر دلالة وأكثر رمزا توظيفه لبعض الألفاظ مثل "وحد" و"بشر" "أقسم"، وهي ألفاظ دالة أولا على القوّة والقدرة الهائلة التّي تميّز شخصية عبد العزيز بوتفليقة عن باقي عظماء الجزائر، حيث ضمّنها دلالة الفرج من قساوة الحياة، فهو الذّي أعطى للشباب فرصة العمل وبناء الأسرة، بعث فيه الأمل والتّفاؤل، فتوظيف شخصية عبد العزيز كرمز في الواقع تعبير عن الأمل الذّي لا يتحقق إلا بالتوحّد والعمل الصالح ولمّ الشّمل والتّسامح وإصلاح النّظام والانسجام والتّوجه إلى بناء جزائر المستقبل، كما يرمز الشّاعر لشخصية بالمبادئ التّي يؤمن بها الفرد ويلتزم بتحقيقها وتحقق له راحة نفسيّة، والمتمثّلة في "العزة والكرامة".

واستعمل الشّاعر في قصيدته "المصالحة الوطنية"، الكثير من الرّموز التّي تأخذ دلالات عامّة وذلك في قوله:

كُنَا فِي دَمَارْ وَالْيُومْ جْمَلْنَا قَصْدُو فِي الْمُصَالَحَةْ حُبْ الإِسْلامْ

اَلْعَفْوْ الشَّامَلْ بَاهْ تَخْمَدْ ذِي الْفِتْنَا نَسَّامَحْ وَاتْعُودْ مَقْدُودَةْ لِيَّامْ

نُوفَمْبَرْ مَا غَابْ وَاحْنَا مَزَلْنَا اَلْجزَائَرْ رَاسْخَةْ فِي الْقَلْبْ أُو شَامْ

بَالْخَرِيطَةْ كَامْلَةْ مَا نَسْتَغْنَا وَطْنِينَا مَحْبُوبْ رَفْرَفْ يَا عْلَامْ

يَا شَبَابْ اَلْيُومْ اَفْهَمْ مَا قُلْنَا وفِي الْوَحْدَةْ مَوْجُودْ مَفْتَاحْ السَّلامْ

يَدْ فَرِيدَةْ مَا يْعُودَ لْهَا مَعْنَا جَمْعْ الشَّمْلْ يْزَوَّلْ عَنَّا ذَا الظَّلامْ[2]

إنّ استعمال الرّمز في هذه الأبيات تعبير من الشّاعر عن خلجات نفسه، في محاولته التّنفيس عن واقعه المتأزّم والمهزوم. وأبرز الرّموز وأقربها تعبيرا عن الشّخصيّة السيّاسيّة لعبد العزيز بوتفليقة رمز التّسامح، فالمصالحة تجعل التّسامح

1 - فرانك بالمر، مدخل إلى علم الدّلالة، ترجمة د.خالد محمود، جمعة، مكتبة دار العروبة للنّشر والتّوزيع، الكويت، ط1، 1997م، ص 41.

2 - علي لميزي، الخيّال الرّمزيّ من خواطر علي لميزي، ص: 70-71.

أساسا لها بين الطرفين المتعاديين، وهذا ما يدلّ عليه الشّاعر في الوحدة الموضوعيّة "العفو الشامل"، فيربط نجاح قانون المصالحة بالعفوّ الشّامل تارة وبالوئام المدنيّ تارة أخرى. لكن الحقيقة التّي يسعى الشّاعر لإبرازها هي حبّ عبد العزيز بوتفليقة للإسلام الذّي يحثّ على التّسامح والاتحاد، وهي النّقطة التّي ردّدها عبد العزيز «في أغلب خطاباته ثلاث مرات (عفى الله عن ما سلف)، كان يرى أنّ الوئام المدني يمحي الحقد ويزهق الفّتنة العميّاء التّي قادت البعضّ مرغمين ومجبرين وبدون قناعة، نتيجة كثرة المظالم الاجتماعية»[1]. فنجاح قانون المصالحة هو نجاة للعباد وخدمة للبلاد، التّي ستبقى واقفة وعظيمة لأنّ أبناءها أبناء نوفمبر وأبناء نوفمبر لن يفرطوا في وطنهم؛ لأنّه رمز الانتماء ورمز الوجود.

إنّ استعمال رمز التّسامح، يوضّح المسعى العام لقانون المصّالحة، فالشّاعر يربط بين المصّالحة وحبّ الإسلام عند الرئيس عبد العزيز، وهو دليل على سعيه في تطبيق ما أمر الله به، فالمصالحة تدعو إلى حماية النّفس التّي حرّم الله قتلها إلاّ بالحقّ، في قوله تعالى **"وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التِّي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا."**[2]

فتكون الدّعوة إلى المصالحة من أجل إخضاع الجميع إلى هذا القانون، والدّعوة إلى الإيمان؛ لأنّها الوسيلة الوحيدة التّي تخرج الجزائر من محنتها، وترجع المجتمع إلى الحركة العادية التّي يسودها الرأفة والتّعاطف والعدل وإنصاف المظلوم وإعطاء كلّ ذي حق حقه.

ومن بين الرّموز التّي وظّفها الشّعراء الشعبيّون حول شخصية عبد العزيز بوتفليقة، هي التّناغم الوجداني؛ أي «الإحساس بالمشاعر الوجدانيّة التّي تعتمل في قوام الشّعب، الذي يقوده القائد من الضبطّ الانفعاليّ الإيجابيّ والوجدانيّ»[3]؛ أيّ الإحساس بما يعانيه الشّعب سواء أكانت هذه المعاناة اجتماعيّة أو ثقافيّة أو

1 - أحمد قوارية، عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيّادة، رجل الأقدار وزعيم المصّالحة الوطنيّة، ص 44.
2 - سورة الإسراء، الآية 33.
3 - أحمد قوارية، عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيّادة، رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنية، ص 176.

سياسية، والصّدق في القول والفعل والأحاسيس، وهذا ما يعكسه الشّاعر الشّعبيّ "أحمد ميمون" في قصيدته "الزلزال" حين قال:

بُوتَفْلِيقَةْ فِي السْبِيطَارْ بْقَى يَخْطُبْ

بَـاقِـي فِـي الطُبِّـى يَرْغَـبْ

يَا فْـرَامْـلا قُومُـوا بَالـوَاجَـبْ

وقَـامْ بَـالشِـيء الـلّـِي كَانْ

بُـوتَـفْـلِيـقَةْ هْـدَرْ مْـلِيـحْ

قَـالْ كْـلامْ اَلْـكُـلْ صْـحِيحْ

اَلْمَرْضَى الدَمْعَةْ مَنْ الْعَيْنْ الطِّيحْ

أَيْصَـبَّـرْ فِـي الصَّـبْـيَـانْ

طَيَّـارَاتْ مْـنَ الدُّوَلْ جَايِّينْ

قَالْ اَعْطِيـوْهُمْ لْـهَذَا الْمَنْكُوبِينْ

بَالْكَسْوَى والَفْرَاشَاتْ مْعَمْرِينْ

اَلْـمَـوَادْ ذَا زِيـدْ الـدْيَّـانْ[1]

لقد أحسن الشّاعر تمثّلاته حول شخصيّة عبد العزيز بوتفليقة، حيث اختار توظّيفها بعناية فائقة، حسب الموضوع الشّعري المعالج أو المراد تبليغه، فتجربة الرئيس عبد العزيز الإنسانية تقوده إلى التّقرب من المواطن في سرّائه وضرّائه، وهي رسالة معينة تكتسي نوعا من الواقعيّة الشّعبية والارتباط لا متفاني بين الشّخصيّة الرئيسة وأفراد المجتمع.

فالشّاعر من خلال هذه الأبيات يستعمل الرمز في سرده للواقع الاجتماعي، حتى يكسب الشّخصية تلك القداسة التّي تعكس الأعمال التّي قامت بها، فيوظّفها

1 - سميرة لحمر، شعر أحمد ميمون الشّعبيّ، جمع ودراسة، مخطوط مذكرة ماجستير في الشّعر الشّعبيّ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2008م، ص148.

عن طريق الإيحاء، ليوّلد علاقة بين روعة الماضي وتألقه في الحاضر، فالرئيس عبد العزيز شخصيّة رمزيّة تركت بصمتها في التّاريخ من خلال الوقوف والتحدّي ضدّ الأحداث التّي وُجدت في الواقع الجزائريّ، والتي ناضل من أجلها حتّى تحقق له ما أراده، ويتطلع الشّاعر الشّعبيّ من خلاله إلى إعادة الحياة الطيّبة للجزائر، التّي كان يعيش فيها الفرد قبل ظهور الإرهاب.

وبالعودة إلى الأبيّات السّابقة؛ لابدّ من الإشارة إلى بعض التّمثّلات التّي يحاول الشّاعر من خلالها، إبراز الدّلالات الإيحائيّة المتمثّلة في استحضار الوّضع المأسويّ الذّي سبّبه الزلزال، مستحضرا الحادثة في سياقها الاجتماعيّ، وكيف تعامل معها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.

ويبدو من خلال صيّاغة الشاعر لهذه الأبيات، وضوح خاصيّة تشير إلى قيمة شخصيّة الرئيس عبد العزيز، فالشّاعر حين يستعمل بعض الوحدات الموضوعيّة مثل قوله: "بُوتَفْلِيقَةْ فِي سْبِطَارْ بْقَى يَخْطُبْ"، لها دلالة غير الدّلالة الظّاهرة في السياق الشّعري، فهو لا يخطب بمعنى إلقاء خطبة؛ بل يصبّر المنكوبين من المحنة التّي حلت بهم وبأولادهم، فخطابه هذا يعكس مشاركة الرئيس الشّعب المنكوب معاناته، وهو ما يعكس أعماله الميدانيّة، والتّي تأثر بها الشّعب وجعلت له مكانة في نفوسهم.

أمّا في الوحدة الموضوعيّة "بَاقِي فِي الطُّبَى يَرْغُبْ"، وقوله: "يَا فْرَامْلَا قُومُوا بَالْوَاجَبْ"، فإنّ الشّاعر يخرج عبد العزيز من سلطته باعتباره رئيسا، ويضعه في مرتبة التّواضع، وفي هذا دلالة رمزية على الحكمة في مواجهة الأحداث بأسلوب متناغم وجدانيّ، من أجل مواساة المواطنين المتضرّرين والتّخفيف عنهم شدّة الواقعة نتيجة فقدانهم الكثير من الأفراد، والسّعيّ إلى إسكانهم حتى يحقّق ما بدأه في إطار المصالحة الوطنية، وهذا ما تدل عليه الوحدة الموضوعية "وْقَامْ بَالشِيء اللّي كَانْ"،أي أن عبد العزيز قدّم ما يجب تقديمه لهذا الشّعب المنكوب.

وتتأجج مشاعر الحبّ بين الشّعب والرئيس، في قول الشّاعر أحمد ميمون "بُوتَفْلِيقَةْ هْدَرْ مْلِيحْ"، وهذا دليل على حسن الخطّاب الذّي سميناه بالتّناغم الوجدانيّ الصّادق، والذّي يهدف إلى إصلاح الوضع الاجتماعيّ وخدمة البلاد،

أمّا قوله "قَالْ كْلَامْ اَلْكُلْ صْحِيحْ"، دليل على الثّقة التّي يضعها الشّعب في شخص عبد العزيز، وصدق قول الرّجل الذّي يبحث عن إرضاء الشّعب وكسب ودّهم؛ لأنّ ارتباط شخصيّة عبد العزيز بالشّعب، هو ارتباط راسخ يسوده سموّ المشاعر الإنسانيّة، ومقصد الشّاعر من ذكر كلّ هذا يشحذ العزائم والهمم للنّهوض بالمجتمع الجزائريّ إلى برّ الأمان يقول الشّاعر طاهر رياح*، في تمثّلاته لشخصيّة عبد العزيز بوتفليقة:

عَبْدْ الْعَزِيزْ اللِّي عَزْ قِيمَتْنَا وَارْفَعْنَا رُوسْنَا بَعْدْ التَّحْنَاتْ

قَتالْ اَلْمُصَالَحَةْ بِيهَا بَادَرْنَا وَشَمْسْ الوِئَامْ عْلَى وَطْنِي ضَوَاتْ

وَ انْقَذْ الَبْلادْ مَنْ نَارْ اَلْفَتْنَا وارْفَعْ يَدُو وقَالْ يَزِينَا مَا فَاتْ

وَاسْمَحْ لَلْمَغْرُورْ والْغَالَطْ مَنَّا واتْخَاوَاتْ أَوْلادْنَا بَعْدْ التَشْتَاتْ

وَاجْمِيعْ الْمَغْبُونْ مَنْ الْفَقْرْ اَتْهَنَّا وَارْحَلْ مَنْ الْقَصْدِيرْ والسْكَنْ عِمَارَاتْ

وَاصْبَحْ فَرْحَانْ سَالَكْ مَنْ الْغَبْنَا والْكَهْرَبَاء بَنْوَارْ فِي بِيتُو ضَوَّاتْ[1]

يمثّل الشّاعر شخصيّة عبد العزيز كرمز للذّات العلوّية، التّي تذوب مشاعره وأحاسيسه في أعماله وإنجازاته الاجتماعيّة والثّقافية والدّينيّة والسيّاسيّة، فيبرز القيّم الاجتماعيّة والعلاقات الإنسانيّة بالواقع، وهي علاقات قائمة على التّرابط والتّكامل، فالقصيدة حافلة بالدّلالات التّي ترمز إلى شخصيّة عبد العزيز، مثل قوله: "عَزَرْ قِيمَتْنَا"، والتّي تدلّ على أنّ قيمة الشّعب فقدت إنّ لم نقل انعدمت في ظلّ الأوضاع السّابقة، حين أصبح الأخ يقتل أخاه دون سبب، واكتسبت الشّخصيّة الجزائريّة صفة الذّل، وأصبح الفرد في المجتمع الجزائريّ مطأطأ الرأس، يستحيي أنّ يذكر انتماءه الوطنيّ، بعد أن كان في زمن ليس ببعيد رمز الفداء والاستشهاد، لكن كلّ هذا تحطم في العشريّة الدّامية، وتغيّرت نظرة العالم للشّعب الجزائريّ.

* - القصيدة بعنوان "مبروك لعزير الشعب".

1 - توفيق ومان، في الشّعر الشّعبيّ المعاصر، ص 47.

وقد تدلّ لفظة "عزز"، على عدّة دلالات أهمّها أنّه من الاسم العزيز، وهو اسم الله تعالى، والذّي يدلّ على القوّة، وقد توحي أيضا لفظة "عزز" إلى العزّة وهيّ القوّة والشدّة، وتطلق على الرّجل إذا قويّ بعد ذلة وصار عزيزا، فالشّاعر باستعماله لفظة "عزز" يصوّر الوضعيّة المأساويّة التّي آل إليها المجتمع الجزائريّ، حتّى صار الفرد فيها مذلولا، وهو في الآن نفسه يرمز بها إلى الدّور الفعّال الذّي قام به عبد العزيز، حيث أعاد للفرد قيمته وأصبح يتباهى بانتمائه الجزائريّ، ويتشرف بذلك في كلّ المناسبات.

ويرجع الشّاعر السّبب الذّي ساعد عبد العزيز في تحسين وضع الفرد في مجتمعه، إلى المصالحة الوطنية والوئام المدني والذّي عاد بالفائدة على الوطن والشّعب الجزائريّ بأسره، عندما أزال الخطر المتمثّل في الفتنة الدّموية، والتّي عاشها الشّعب لمدّة عشر سنوات، سادت فيها التّفرقة بين الأفراد وكثرت الفتن وختلّ التّوازن المعيشيّ، وانتشر الفقر، وأصبح الشّعب يعانيّ مرارة الحرمان، وهو الذّي كان يقف صفّا واحدا ضدّ الاستعمار. بقيادة رجال عظماء أمثال الشّيخ بوعمامة والأمير عبد القادر وابن باديس... أمّا الآن فقد وجد الشّعب من يقوده إلى بر الأمان، ويعطيه الحريّة في العيش الآمن والمستقر، بسيّاسة حكيمة تثبّتها التّجربة المعاشة، شخصيّة قيادية همّها الوحيد الدّفاع عن مبادئ الوطن، والمساهمة في تطويره، هو الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذّي أعزّه الله وبعثه إلى أهله، فهو رمز الصّدق والقوّة والشّدّة والحكمة والمسامحة.

ثمّ ينتقل الشّاعر في تمثّلاته إلى الحديث عن بعض الخصوصيّات الاجتماعيّة، والتّي تبرز الدّور الاجتماعيّ لشخصيّة عبد العزيز بوتفليقة، مثل قوله: "اَسْمَحْ لَلْمَغْرُورْ وْالْغَاطْ"، فالسّماحة رمز الجود والكرم سمة الإسلام وأحد أركانه، وقد حثّنا الله تعالى على ذلك في القرآن الكريم بقوله جلّ جلاله: **"وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ اَلْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَاتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."**[1]

فالسّماحة والصّفح من صفات العظماء، ودليل على القدرة القوّية في تفسير الظّواهر الاجتماعيّة، فالسّماحة وسيلة لجمع الشّمل، وتوحيد الأفراد والوقوف في

1 - سورة البقرة، الآية 108.

وجه الأعداء، ونشر المحبّة بين الأفراد والدّعوة إلى التّآخي والتّآزر في سبيل الدّين والوطن، وهو ما يفسّره قول الشّاعر في الوحدة الموضوعيّة "وَاتْخَاوَاتْ أَوْلاَدْنَا بَعْدْ التَشْتَاتْ"، وهذا دليل على أنّ الهدف من ظهور الإرهاب هو التّفرقة ونشر العداوة بين أفراد الأمة الواحدة، أمّا هدف التّسامح والمصّالحة فهو التّوحيد وجمع الشّمل. ومن خلال المصالحة يمكن توفير الأمور الأخرى كالإسكان والعمل والصّحة والتّعليم وغيرها من الضروريات الاجتماعيّة، وهذا ما تفسّره الأبيات الأخيرة؛ لأنّ الرئيس عبد العزيز بوتفليقة استطاع بحنكته وتجربته السّابقة إخراج الشّعب الجزائريّ من ظلمات الإرهاب إلى نور المصالحة والتآخي، من ظلمات الفقّر إلى نور الحياة العاديّة والعيش البسيط، من ظلمات الجهلّ إلى نور العلمّ والصّحة الجيدة، يقول الشّاعر علي لميزي في قصيدة "سفينة السّلام":

بُوتَفْلِيقَةْ كِـي تْكَـلَـمْ قَالِّـنَـا عْـلـىَ الْوِحْدَةْ هِيَ اللِّي تَعْدَلْ لَبْلاَدْ

بَالْوِئَـامْ بْـلاَدْنَـا تَرْجَعْ جَنَّـا بَالْوِئَـامْ اَنْـشَتُـو قَـوْمْ الْفَسَـادْ

بَالْـوِئَـامْ قْـلُـوبْنَا كَامَلْ تَهْنَا بَالْـوِئَـامْ نْرَجْعُـو عَادَتْ لَجْدَادْ

بَالْـوِئَـامْ تْزُولْ عَنَّا ذِي لْمَحْنَا بَالْـوِئَـامْ أَسَّامْحُـو مَكَـانْ عْنَادْ

بَالْـوِئَـامْ انَـخَمْـدُو نَارْ الفَتْنَةْ بَالوِئَـامْ الطَّيْشْ مَعَادْشْ يَتْعَـادْ[1]

اهتمّ الشّاعر لميزي أكثَر بالشّكل في هذه الأبيات، ذلك من أجل جذب اهتمام القارئ، فكلّما أجاد الشّاعر في صياغة شكّل القصيدة، كان أثرها في النّفس عميقا ودلالاتها قويّة، فالشّكل في القصيدة هو حسن استعمال الألفاظ والتّراكيب، التّي تدلّ على وجدان الشّاعر، وتكون اللّغة العاميّة مصدر التّواصل، فهي أعظم عناصر الشّعر الشّعبي، والشّاعر البارع هو الذّي يحسن «تشكيلها تشكيلا خاصا، يؤدي به المعنى بطرق مختلفة عن فنون القول الأخرى»[2].

فاستعمال الشّاعر للألفاظ الموحيّة، القادرة على إثارة معان كثيرة من خلال التّمعن والتّركيز، يظهر جليّا إيحاءها، فهيّ سمة من سمات الشّعر الشّعبيّ،

1 - علي لميزي، الخيّال الرّمزيّ من خواطر عليّ لميزي، ص 89.
2 - د.إبراهيم السامرائي، لغة الشّعر بيّن جيليّن، دار الثّقافة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 8.

ونلمس ذلك حين يستعمل لفظّة "الوئام" التّي تعني الموافقة، وتعني أيضا المباهاة، لكن في القصيدة تعني صورة من صور المصّالحة الوطنيّة، التّي اعتمدها الرئيس بوتفليقة في لمّ شمل الشّعب، والاتحاد للخروج من الوّضع المزري الذّي عشناه طوال عشر سنوات من الدّم والقتّل والتّخريب.

أمّا تكرار لفظة "الوئام" في الأبيات فالغرض منّها تأكيد معنى التّسامح والتّصالح، فبالوئام تصبّح الجزائر جنّة يسودها الأمن والاستقرار، ويسقط عنها الفساد، وبالوئام تهنأ القلوب وتزول المحن وتخمد نار الفتنة، فالتّكرار مركز من «مراكز القوّى العاطفيّة التّي تنطلق منّها الإثارة، تقنع السّامع بالمشاركة الوجدانيّة، التّي هي الغاية من القول في كثير من الفنون»[1]. وتكرار لفظه الوئام دلالة على ضرورة التّسامح؛ لأنه الحلّ الوحيد والأنسب، فالشّاعر يمهد القارئ نفسيّا حتّى يقنعه بهذه الضّرورة الملحّة.

ووجود مثل هذه السّمات الشّعريّة من ألفاظ وتراكيب دالة في القصيدة الشّعبية، غرضها الرّمز؛ لأنّه يبعث الحيويّة في القصيدة الشّعبيّة ويكسبها سمة التّأثير، وهذا ما يزيد في عمق الصورة الذهنية، التي يسعى الشّاعر إلى إثباتها في الواقع، من خلال استعمال الرّمز للإشارة إلى أعمال وإنجازات الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، فهو يصف غرامه ولوعته وشوقه إليه، فحبه ملأ أحشاءه وأرّق جفونه، فالصّورة حقيقة رمزية المقصود منها إبراز شدّة الشّوق وقوّة التّعلق وقيمة الاحترام. فالشّاعر عندما يستعمل عدّة ألفاظ دالة، يريد بها الدّلالة على الحبّ والشّوق والعّرفان والصّبابة والكآبة والوّصال والبّعد والقرب والعطف، وكلّها ألفاظ رامزة إلى المعاني السّامية.

وقد يهدف الشّاعر من خلال توظيفه معاني الشّوق إلى التّطلع إلى الحياة الهانئة، وطلب الوصال، قصد البحث عن الأمان والاطمئنان النّفسيّ والرّوحيّ، والذي يكون مصدره الشخصيّة السياسية، التّي تغرس في الأفراد شعورا بأدائها الواجب الوطني والدّيني.

4- المبحث الثالث: البّعد السّياسيّ والاقتصاديّ

1 - د.عزّ الدّين السيد، التّكرير بين المثير والتّأثير، دار الطّباعة المحمديّة، القّاهرة، ط1، 1398هـ، ص 110.

يمثّل البّعد السيّاسيّ والاقتصاديّ جانبا مهمّا في أعمال وإنجازات الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، والمقصود من البّعد السيّاسيّ في القصيدة الشّعبيّة «كلّ ما تصل بقضايا الحكم والعلاقات بين الدّولة والمجتمع»[1].

ولقد اهتمّ الشّاعر الشّعبيّ بهذا الموضوع؛ لأنّه يعكس الواقع الجزائريّ، ويعكس تعلق الشّعب بوطنه؛ فالوطن ضرورة إنسانيّة لعيش الشّعب، والعمل فيه وتحقيق الذّات، فيه يجد راحته وهناءه ويشعر ويحلم بالأمن والاستقرار والاتزان الرّوحيّ.

أمّا الشّعر الشّعبي فقد أصبح يكتسي أهميّة كبيرة عندما يوظّف الأحداث الوطنيّة كموضوع له، معتمدا على القيمة العاطفيّة والرّمزية للأحداث وما يرتبط بها من أمجاد، يقول الشّاعر أحمد بوزيان:

هَـذِي يَدْ الْعَوْنْ مَمْدُودَةْ بَجْهَـارْ شَـدُّ الْيَـدُّ اللِّـي تْمَـدَتْ لَكْ بَالْخِيرْ

هَذَا عَبْدْ الْعْزِيزْ عَـدَّالْ الْمِشْـوَارْ مَنْ شَهْدَتْ بَخْصَايْـلُهْ حَرْبْ التَّحْرِيرْ

هَذَا ثَوْرِي وجَايْ مَنْ صُلْبْ الثُّوَّارْ وَابْنْ الثَّوْرَةْ عْلَى الَوْطَنْ مَعْلُومْ يْغِيرْ

هَذَا جَابَهْ نِيفْ مَا هُو شِي سِمْسَـارْ وَتْقَلَّدْ مَرْكُوبْهَـا وَالظَّـرْفَ عْسِيـرْ

هَذَا مَنْ عْمَدْ اَلْبْلاء وَرْكَبْ الأَوْعَارْ قَـالْ بْـلادِي نْشِيلْهَا مَنْ قَاعْ الْبِيرْ

هَذَا مَنْ بِهْ الُوْطَـنْ شَعْشَعْ بَأَنْـوَارْ وْلَـبَّسْ حُلَّةْ فَاخْرَةْ سُنْدُسْ وَحْرِيرْ

هَذَا مَنْ بِهْ السَّمَاء جَادَتْ بَأَمْطَـارْ غَيْثْ الـرَّحْمَةْ جَـاء مْعَ نَفْحَةْ يَبْرِيرْ[2]

نلاحظ من خلال هذه الأبيَات استعمال الشّاعر وتكراره لاسم الإشارة "هذا"، الذّي يعطي جمالا إيقاعيّا ونغمة موسيقيّة، وهو دلالة نفسيّة عن تعلق والشّاعر وتأثره بشخصية الرئيس عبد العزيز وإنجازاته، ولا نلمس هذا التّأثر إلاّ بعد القراءة الجيّدة للأبيات وإبراز أهمّ الرّموز، ويدلّ هذا التّكرار أيضا على إحساس الشّاعر والتّغيرات النّفسيّة، التّي تعكس ذلك التّعلق والإعجاب وحبّ الشّاعر الذّي يكنّه لشخصية عبد العزيز، وما يميّزه من إرادة وتحدي الذي قرّر

1 - عبد الصمد بلكبير، شعر الملحون الظّاهرة ودلالتها، ص 162.
2 - أحمد بوزيان، من وحي الوئام، ص 67.

رفعهما للتّعبير عن رفضه الوضع الاجتماعي والأحوال المعايشة، ويكون البّاعث على هذا التّحدي الوصول إلى الأجل المنشود، والمتمثّل في تحرير الوطن من قيود الإرهاب وإعادة الحياة إلى الشعب الذي فقد طعمها.

والشّاعر في سرده للأبيات، يبين الصورة الرّمزية لشخصيّة عبد العزيز بوتفليقة في المخيّال الشّعبيّ، من خلال بعض الوحدات الدّالة كقوله: "يَدْ الْعَوْنْ"، "اَلْيَدُّ اَلْلِّي تْمَدَ تْلَكْ بَالْخَيْرْ"، "عَدَّالْ الْمُشْوَّارْ"، وكلّها دلالات توحي إلى أنّ الهدف الذّي يسعى إليه عبد العزيز في مسيرته انتخابيّة ليس ماديّا ولا منفعة خاصّة؛ بل المشاركة في آلام وآمال الجماعة، وإيجاد المخرج الذّي يرفع الوطن إلى مقامه الحقيقيّ بيّن الدّول العالميّة وليس العربيّة فقط.

غير أنّ الشّاعر الشّعبي لم يتوقف عند ذكر المسعى الذّي يهدف إليه فقط؛ بل مثّله بعدّة تمثّلات مثّل قوله: "ثَّوْرِي وْجَايْ مَنْ صُلْبْ الثُّوَارْ"، والتّي تدلّ على التّربيّة الثّوريّة والسيّاسيّة التّي تلقاها من خلال التحاقه بالجيش إبّان الثّورة الجزائريّة، فبهذا الأسلوب يؤكّد الشّاعر انتماءه الثّوريّ، فهو يري أنّ من دافع عن الوطن وجاهد في سبيله وعمره لا يتجاوز 19 سنة، لا يمكن أن يسعى إلى إلحاق الضّرر بوطنه؛ بل بالعكس فهو يسعى إلى الخير لإصلاح ما أفسد في العشرية الدّامية، وهذا ما يدلّ أيضا على معرفته الجيّدة بالسيّاسة التسيّيريّة والطريقة المثْلى لإدارة شؤون البلاد، وهذا ما يفسّره الخطاب الرّمزيّ في قوله: "هَذَا جَابَهْ نِيفْ مَا هُو شِي سَمْسَارْ"، ودلالة الوحدة تفسّرها كلمة "نِيفْ" التّي تعني الغيرة على الوطن، وحبّ المكان الذّي ينتمي إليه، وليس "سِمْسَارْ" الذّي يبيع ويشتري في أبناء وطنه، وهدفه الفائدة الشّخصيّة دون النّظر في ما سيصيب الشّعب من معاناة، وباعتبار الشّاعر فردا من أفراد المجتمع، فهو أكثر النّاس إحساسا بمعاناة الشّعب داخل الوطن، ويسعى لإيجاد الشّخصية الرّمزية التّي تعالج الوضع الرّاهن ومآسيه، باستعمال دلالة المقارنة بين الواقع المعاش في الفترة الدّموية والواقع في فترة حكم السيد عبد العزيز بوتفليقة.

ويصوّر الشّاعر في الأبيات السابقة صعوبة المأموريّة التّي تنتظر الشّخصيّة في تحدّيّاتها السيّاسيّة، ومثّل لذلك في قوله: "هَذَا مَنْ عْمَدْ الْبْلَاء وَرْكَبْ الأَوْعَارْ"، فليس من السّهل أن يفرض على الشّعب سياسة قد ملّ منّها؛ لأنّ في كلّ مرة يدعى للانتخاب يسمع نفس الخطابات ونفس الوعود دون أنّ

تجسّد على أرض الوّاقع، لكن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة عرف كيف يقنع الشّعب ويمتصّ روح الجماعة، عندما شاركهم أحزانهم، وبلور الفكر والنفس، بالنّتيجة التّي توصل إليها كحلٍّ لهذه المأساة، يستعمل خبرته السّابقة وتجاربه باعتماد على المواقف الحسنة والمواتيّة، كدوافع لإيقاظ الفكر الشّعبي، من خموله والانتقال به إلى مرحلة التّطور الاجتماعي والسيّاسي والثّقافي...

والبعض من يظنّ أنّ هناك قدرات وسمات معيّنة لاصقة بالقائد بوتفليقة «تميّزه عن غيره من النّاس، وتجعله صالحا للقيّادة في كلّ مجال وفي كلّ جماعة، من هذه القدرات والسّمات الذكاء والحكم السليم، والقدرة على تحمّل المسؤولية وروح العدّل والمبادأة واتزان الشّخصية»[1]. وهو ما تفسّره الوحدة الموضوعيّة: "قَالْ بْلادِي نْشِيلْهَا مَنْ قَاعْ اَلْبِيرْ"، وهي الإرادة التّي تعطيه القوّة على فعل المستحيل من أجل رفع شأن البلاد.

إنّ هذه الأبيات تحتوي على بؤر دلاليّة تشكّل الصّورة الذّهنيّة، حول شخصية عبد العزيز بوتفليقة في قوله: "بِهْ اَلْوَطَنْ شَعْشَعْ بَأنْوَارْ"، هذه الصورة «تمثّل جسرا يتنقل عليه الإحساس والفكرة والنبض الشّعريّ إلى المتلقّي، ومن ثمّ يشارك في إحداث الأثّر الفنّي»[2]. فهي ليست تعبيرا مجازيّا كما يظهر في السياق؛ بل حقيقة تعكس داخل الشّخص للوصول إلى حقيقة الواقع المراد التّعبير عنه، والتّي تدلّ على إخراجه من فترة مظلمة بأساليبها الدّموية التّي لا ترضي الخالق، إلى فترة يسودها نور الأمن والاستقرار والسّلم والمصالحة الوطنية.

فالنّص مبني على بؤرة الخير التي تمثّلها بعض الوحدات مثل: "لَبَسْ حُلَّةْ فَاخْرَةْ" التّي يقصد بها الاقتصاد والنّماء، وقوله: "غَيْثْ الرَّحْمَةْ جَاء مْعَ نَفْحَةْ يَبْرِيلْ" دلالة على الخيّر الذّي نزل على البلاد والعباد منذ توليه قيادة الدّولة، فما ذكر الشّاعر لمظاهر الطبيعة، إلاّ دليل واضح على شجاعة الممدوح والتّنويه ببطولته وسياسته التّي جلبت المستثّمرين الأجانب بعد أنّ قرؤوا الأمان في البلاد ولمسوا ذلك التّطور في الفكر والمجتمع والسيّاسيّة، والذّي انعكس بالنّفع على

1 - سحر سامي، شعرية النّص الصّوفيّ في الفتوحات المكيّة لمحيّ الدّين بن عربيّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005م، ص 135.
2 - سحر سامي، المرجع السابق، ص 135.

البلاد، كما ترمز إلى مدى إعجابه واعتزازه وشدّة تعلقه به. يقول الشّاعر طاهر رياح في قصيدته "مبروك لعزيز الشّعب":

وَاجْمِيعْ الْمَغْبُونْ مَنْ الْفَقْرْ أَتْهَنَـا وَارْحَلْ مَنْ الْقَصْدِيرْ وَالسْكَنْ عَمَارَاتْ

وَاصْبَحْ فَرْحَانْ سَالَكْ مَنْ اَلْغَبْنَـا وَالْكَهْرَبَاء بَنْوَارْ فِـي بِيتُو ضَـوَّاتْ

وَالْمَدْرَسَةْ فِي الْحَسْ اَقْرِيبَهْ مَنَّـا وَالْجَامِعَةْ مَشْرُوعْ مَـنْ الإِنْجَـازَاتْ

وْ اشَجَعْ الْفَلاحْ مَنْ خَيْرُو ذُقْنَـا وَمْـدَعَمْ بْأَمْـوَالْ مْـعَـهَا آلاتْ

وَارْفَعْ رَاسَكْ يَابَّا وَافْخَرْ بِنَـا وْعَنْقَرْهَا كِيمَا ابْغِيتْ أَنْـتَ بَالـذَّاتْ

وْلَلْمَرْأَةْ حْقُـوقْ فِي مُجْتَمَعْنَـا وْبْلا بِيهَا مُحَالْ نَنْجَحْ فِـي الْحَيَـاةْ

نَتْعَطَّلْ فِي السِّيرْ كِيفْ مَا كُنَّا والرَّاجَلْ إِذَا انْشَلْ واذْرَاعُـو مَاتْ

بَالدِيمُقْرَاطِيَةْ اَتْحَقَقْ مَكْسَبْنَـا وحُرِيَةْ التَّعْبِيـرْ بِكُـلْ اللُّغَـاتْ[1]

إنّ الرّموز الدّلالية في الألفاظ: (أتهنا، فرحان، ضوات، المدرسة، الجامعة، إنجاز، الشجع، حق المرأة...)، علامات دالة على التّطور الذّي آل إليه الوطن، من خلال معظّم الأعمال والإنجازات التّي قام بها عبد العزيز بوتفليقة، فالشّخصيّة هنّا تعني دلالة التّطور، حيث وصفه الشّاعر بالسيّاسيّ الذّي يحسن تسيّير البلاد، وله القدرة في الدّفع بعجلتها إلى التّطور في جميع الميادين الاقتصاديّة والاجتماعيّة، فشخصيّة الرئيس عبد العزيز في التوظيف الشّعري، عبارة عن رمز الصفاء والتضحية والوحدة من أجل تطوير البلاد، جعله الشاعر مفخرة لملكته الشّعرية، وصورة دائمة للانتقال من مرحلة التّخلف إلى مرحلة التّطور.

ومن أعمال الرئيس أيضا، والتّي أعطاها قيمة في برنامجه السيّاسي، إعطاء المرأة حقّها السياسي والاجتماعي والثّقافيّ، فهي بالإضافة لكونها رمزا للحبّ، تمتاز أيضا كسبيل يلجأ إليه الشّاعر عندما تضيق به دروب الحياة، أمّا بالنسبة للرئيس عبد العزيز بوتفليقة فيجعلها جزءا من مخططاته المستقبليّة؛ لأنّه يعلم أنّها أساس بناء الدولة الجزائريّة، يصوّرها الشّاعر في قوله "وْالرَّاجَلْ إِذَا

1 - توفيق ومان، في الشّعر الشّعبيّ المعاصر، ص: 47-48.

نْشَلْ أَدْرَاعُوا مَاتْ"، في إشارة إلى أنّ المرأة ذراع الرّجل، وفقدان الذراع يؤدِّي بصاحبها إلى الموت، وهي رمز قوام الدّولة والسّبيل إلى بنائها.

ومن سيّاسة الرئيس بوتفليقة أيضا، والتّي أشار إليها الشاعر الشعبي في قصيدته، تطبيق الديمقراطية وهي سيّاسة تعطي الحقّ للشّعب قصد التّعبير عن أفكاره بكلّ حرية، ودون أيّ ضغط، وهو ما تدلّ عليه الوحدة الموضوعيّة: "بَالدِيمُقْرَاطِيَّةْ اَتْحَقَقْ مَكْسَبْنَا".

ومن الخطط السيّاسة أيضا، الاهتمام بالتّعليم وإنجاز الجامعات، حيث بلغت حصيلته «إنجاز 21 بالمائة من المدن الجامعيّة و44 بالمائة من الجامعات وإنجاز 15 بالمائة من الثّانويّات والمدارس الأساسيّة»[1].

وخلاصة القول من خلال الأبيات الشعرية، أنّ مع مجيء الرئيس بوتفليقة، تحقّق الأمن والسّلام في البلاد، وانتعشت الحركة الثّقافيّة والاقتصاديّة، وعمّ السّلم بالمصالحة الوطنية، وانتعش النّشاط الاقتصاديّ، وارتقت المدرسة وصلح النّظام التّربويّ، وتمّ تشجيع الاعتراف الثّقافي المبني على القيّم العربيّة والإسلاميّة، وترسيخ الثّقافة الأمازيغيّة، وتطوير جهاز الصّحة ومواجهة الفقر، وتوفير أحسن الظّروف المعيشية...

يقول الشّاعر محمد بوشتة في قصيدته: "سنين الجمر":

بُـوتَـفْـلِيقَـةْ رَايَـسْ وسُـلْطَـانْ

غَـادِي يْعَزْنَـا ويْدِيـرَنَـا الشَّـانْ

تْوَلِّي الْجَزَائَرْ كِي الْوَرْدَةْ مَنْ بَعْدْ اَتْبَانْ

اَحَـفْظَـهْ هَـا الْـعَـالِـي الْـعُلْيَـهْ

شَفْنَاهْ فِي الأُمَمْ يَخْطُبْ فِي الْمَرِيكَانْ

رَايَـسْنَـا وعَنْدْنَـا فِيـهْ لَمَانْ

يَـفْخَـرْ ومَـا هُوشْ حَـشْـمَانْ

1 - أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيّادة رجل الأقدّار وزعيمّ المصّالحة الوطنيّة، ص: 78- 79 .

قُدَّامْ الـدُّوَلْ الأَجْـنَـبِـيَّـةْ

نَتْمَنَاوْلَهْ يَحْكُمْ بَحْكَامْ الْقُرْآن

تَطْفَى ذَا الْعِيشَهْ مَنْ النِّيرَانْ

يَدَّفَقْ الَحْلِيبْ عْلَى الصَّبْيَانْ

يْبَانْ حَقّْ الشَّـبَـابِـيَـةْ[1]

وقد مثّل الشّاعر شخصيّة عبد العزيز بوتفليقة في هذه الأبيات بصورتين رمزيتيّن، "الرّايس" و"السّلطان"، ودلالة السلطان تطلق على الشّخص صاحب الحجّة والقدرة على الإقناع. والسلطان هنا دليل على تميّز شخصية الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالشدّة والحدّة والسطّوة، فهو قادر على الفعل فلا يقول ما لا يفعل.

فالشاعر في تمثّلاته، يريد أن يثبت في توظيفه لصورة السّلطان أنّ الرئيس عبد العزيز قادر على إخراج الجزائر من محنتها، وإعادة الشأن لشعبها، والعودة بالجزائر إلى مكانتها بين الدّول؛ لأنّه يعرف ما يفعل، ويعرف أنّ للجزائر رجالا عاهدوا الله على تحريرها، فهي رمز النّماء والانتماء، يشرفه انتماؤه إليّها، ويدافع عنّها حتى آخر رمق من حياته.

وتتجلى لنا من خلال الأبيات صورة الإيمان بالنّجاح الذي قد يكون الرئيس عبد العزيز سببا في تحقيقه، من خلال سياسته الرّشيدة، وتجربته السّابقة، فالخروج من جحيم الإرهاب، يتطلب الإيمان بالله والقدرة على تحقيق ذلك، فحلم الفّرد هو الحكم بأحكام القرآن؛ لأنّه السبيل الوحيد إلى تحقيق العدل والنّجاح وإعطاء الشباب حقّهم في الحياة.

كما يمكننا أن نلاحظ تلك القوّة التّي يمنحها الرئيس إلى شعبه، فوضعوا فيه الثّقة واتّحدوا على رفع الظّلم والخروج من الوضع المزري للبلاد، فأصبح عبد العزيز سلطانا بين قومه، كيف لا وهو صاحب القيّم الأخلاقية العاليّة التي ترفع المعنويات وتدفع المواطن للبحث عن الارتقاء والنّجاح.

1 - فتيحة ولداي تبينه، شعر محمد بوشتة الشّعبي، ص: 178- 179.

يقول شوشه جلول في قصيدة "المصالحة الوطنية":

اَلْجَزَايَرْ دَايْمًا تَبْقَى هِـيَّ لُـمْ وْنَبْقَاوْ اَحْنَا دَايْمًا تَحْتْ اَكْفَاهَا

وَالشَّدَّةْ مَـا تَقْهَرْ الْعَبْدْ الْمُسْلِمْ وْكَمْ مَنْ صَابَرْ لَلشْدَايَدْ عَيَاهَا

دَوْلَتْنَا رَيَسْـهَا رَاجَلْ مْرَحَـمْ ولا الرَّحْمَةْ فَاتْ حَتَّى مَعْنَاهَا

الشَّعْبْ إِذَا طَاعْ ذَا الْقَايَدْ يَسْلَمْ وِيذَا مَا طَاعُوشْ هَذِيكْ خْلاَهَا[1]

اتخذ الشّاعر الوطن كرمز يلجأ إليه كلّما ضاقت به دروب الحياة، فمثّله على أنّه الأمّ التّي تحضن أولادها وتعطيهم الأمن والرّاحة التّي يفتقدونها في مكان آخر، فالوطن بحاجة إلى أولاده الذّين يقدّمون أعمارهم فداء له، وما عبد العزيز إلاّ واحد من هؤلاء الأولاد الذّين رفعوا التّحدي في الماضي ضدّ الاستعمار حين تسابق مع إخوانه المجاهدين، حاملين أرواحهم على أكفّهم في سبيل تحريره، وهو الآن يقدم تجربته السّابقة من أجل تحريرها من عدو آخر، ربما يكون من صنع الاستعمار، هو الإرهاب الذّي عاث رجاله في أرض الوطن فسادا ونهبا واضطهادا.

ويتضح موضوع التمثّل في هذه الأبيات، حين يرمز إلى عبد العزيز بلفظة "راجل" التّي تحمل عدّة دلالات؛ أهمّها عدم الرضا بالوضع السائد في البلاد، والابتزاز المسلط على الفرد الشّعبي الضعيف والمنعزل، الذّي يصارع متاعب الطبيعة وقسوتها وزاده الأمر صعوبة عندما أصبح يصارع متاعب الإرهاب والظلم الذّي يميزه، حين سلب ماله واغتصب نساءه وحول حياته إلى خوف واضطهاد.

كما يمثّل الشّاعر الشّخصية "بالقايد"، والذي يرمز إلى الشخص الذّي ينشأ في الجماعة «ويملك القوّة المؤثرة على أفكارها ومشاعرها، ويستطيع أن يلعب دورا إيجابيّا في حركة الجماعة، وإقناعها بالطرق الملائمة لتحقيق مصالحهم وأهدافهم، على شرط أن يكون نابعا من الجماعة، واختيارها المحض وليس

1 - إبراهيم شعيب، ديوان نزهة العقول لشّاعر شوشة جلول، ص 111.

مفروضا عليها»[1]. فالشّاعر يبيّن تلك القوّة المؤثّرة التّي جعلت من عبد العزيز منظما وموجها لسلوك الفرد الجزائري له القدرة على التّخطيط ورسم الأهداف، والعمل على إقامة العلاقات داخل الوطن وخارجه بين المسؤولين، والتّشجيع على التّواصل الفكريّ والاجتماعيّ، وتنمية القدرات والمواهب، وهذا حتّى يقوّي الفرد في الجماعة؛ لأنّ قوّة الجماعة تكون بقوّة أفرادها.

و الشّاعر ينوّه بأنّ حسن القيّادة يتطلّب الطّاعة، فالفرد الجزائريّ المسلم لا تضعفه الشدّة والقهر؛ بل تزيده قوّة وصبْرا، وطاعة القائد واجبة لأنه يبحث عن السّلم بتطبيقه لقانون المصالحة؛ لأنّه السّبيل الذّي يراه الرئيس حلاّ أنسب لمثل هذه الأوضاع، فالشّاعر بهذا السرد يعبّر عن النّبرة الصّادقة عمّا يعانيه الشّعب، فيستنجد بعبد العزيز بوتفليقة، بصرخات «مدوّية تعلن عن ألم الشّاعر أو يأسه، وترتفع نبرتها إذا كانت من أجل الوطن أو من أجل ما لحق بالشّاعر والشّعب معا»[2].

فالشّاعر يسعى إلى إيجاد البديل الذّي يخرج الوطن الجزائري من مرحلة الهمّ والأرق والمعاناة؛ لأنّ الوطن بالنّسبة له هو رمز للعزّة، يحمل هموم الفّرد ويعبّر عن انكساراته. يستعمل تصوّراته ويربّطها بالفّكرة التّي يريد معالجتها، فهو يبرر ويشرح ويفسر وتارة أخرى يزين ويزركش، لكن الوظيفتين تتفقان معا في المعنى المبني على التبرير لإقناع المتّلقي.

ومن خلال ما قدّمناه، يمكن القول إنّ وظيفة الشّاعر هي حسن استعمال الصوّر في التّعبير عن الأشياء الموجودة في الواقع، أو عن تجربته الخاصّة، بلغة عاميّة تميّزها بلاغة التّصوير في التّراكيب وإيحاءات ودلالاتها المتنوّعة، والتّي تعطي جماليّة في تصوير المعاني الذّهنية وتقديمها في صوّر محسوسة يتخيّلها الفكر وتؤثّر في نفسيّة القارئ.

1 - أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة، بين الموهبة والقيادة، رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنية، ص 144.

2 - د.عبد الله ركيبي، الشّعر الدّينيّ الجزائريّ الحديث، ص 438.

خـاتمـة

خاتمة:

إنّ القراءة التّحليلية التّي أسقطناها على الخطاب الشعريّ الشعبيّ مكنتنا من الوقوف على بعض الخصائص التّي تميّز القصيدة الشّعبيّة الجزائرية عن غيرها من القصائد العربية، والتّي تبرز في البنيّة الفكريّة والمعرفيّة، والتّي تتحقق في حضور الرّموز ودلالاتها، وتكون الشّخصيّات السيّاسيّة أحد الرّموز الحاضرة في المخيال الشّعبيّ رغمّ تنوع الأساليب اللّغوية، ومن خلال هذا وقفنا على مجموعة من النتائج أهمّها:

- تمثّل جلّ الشّخصيّات السيّاسيّة في الشّعر الشّعبيّ، على أنّها شخصيّات قريبة من الفرد الجزائريّ، وتسعى إلى الخدمة العليا للمواطن، يُبنى الموضوع فيها على علاقة متكاملة بين الشّخصيّات والفرد في المجتمع، وتتمثّلها القصيدة الشّعبيّة بمجموعة من الصّور المكثّفة التّي تصف هذه الشّخصيات السيّاسيّة ذوات الصّفات الخلقيّة، والتّي تتجسد في تشكّلات سيميولوجية متمثلة في الثّقافة والدّين والسياسة والمعرفة...

- أكثر الشعراء استعمال بعض الألفاظ التّي ترتبط بالموضوع نفسه، رغم اختلاف اللّهجة في غالب الأحيان، ويدلّ ذلك على أهميّة الموضوع بالنّسبة للشّاعر والمتلقي، كما يدلّ عن أنّ الشّعراء الشّعبيين ينشدون أشعارهم حسب الأحداث الواقعة في المجتمع الجزائريّ، فهم يسايرون الأوضاع حسب حضورها في المخيال الشّعبيّ للفرد، ولهذا الأساس يمكن القول إنّ الشّعر الشّعبي المتداول بين النّاس أغلبه نظم من أجل المناسبات، لكن لابد من الإشارة إلى أنّ بعضه يتناول هموم الفرد الجزائري، ويعكس جميع القضايا المطروحة في الفكر الشّعبيّ ووجدانه.

- استطاع الشّاعر الشّعبيّ أن يوصل أفكار الفرد وحقيقة حياته وصموده أمام المواجهات المختلفة رغم بساطته والحصار المفروض عليه؛ لأنّ الشّعر الشّعبي تضمن كلّ الأمور التّي تمسّ حياته وواقعه. فالموضوع العامّ يعكس الأوضاع الاقتصادية والسيّاسيّة والاجتماعيّة، والتّي كانت حاضرة فيه دائما وفي جميع الأغراض.

- أغلب التّمثّلات الشّعرية للشّخصيّات السيّاسيّة الثلاثة محلّ الدراسة في هذا البحث، تتشبّع بالقيّم الأخلاقيّة والنّظرة المثّالية التّي تدعو إلى التّوحيد والتّمسك بتعاليم الإسلام وإتباع مبادئ الدّين.

- نلمس من خلال القصائد التّي ذكرت كلّ من شخصية ابن باديس وشخصية عبد العزيز بوتفليقة، تلك النّظرة الإصلاحية التّي تعتمد على الإرشاد والوعظ، والتّي تحثّ على الاتحاد والوقوف ضدّ كلّ ظالم مستبد، يريد المساس بحرية الفرد الجزائريّ وعزته ومقوماته المتمثّلة في اللّغة العربيّة والوحدة الوطنية والدّين الإسلاميّ.

- البناء في القصيدة الشّعبيّة يقوم على أساس مجريات الأحداث والمناسبات الوطنية، والقضايا الاجتماعيّة والثّقافيّة والسياسيّة، والمواقف الثّورية ضدّ الاستعمار وضدّ كلّ عدوان على الوطن، ويكون الشّاعر دائما صاحب الموقف المعادي؛ لأنّه دائم الإصرار على الجهاد والتّضحية، وحثّ أفراد المجتمع على الصّبر عند المحن؛ لأنّه الوسيلة التّي تجلب النّصر وتحقق الاستقلال، والوطنية عندهم هي حبّ الوطن والدّفاع عنه والوقوف ضدّ كلّ وضع يمسّ كيانه ومقوماته.

- يعبّر الشّاعر في قصائده على ذلك الشّعور الوجداني الذّي يتطلب من الباحث في مجال الشّعر الشّعبيّ إلى الغوص في أعماقه، والكشف عن دلالاته، فيكون البّحث موضوعا معرفيّا، يعبّر عن الحبّ الوطني، ويبثّ روحها في ثنايا القصيدة التّي تحمل تلك الإشارات الدّالة على الإصلاح بكلّ أبعاده، واستنهاض الهمم، وتخليد البطولات، وتعظيم الشّهداء وأعمال الأبطال.

- يعتبر الرّمز الشّعري في القصيدة الشّعبية وسيلة يعتمدها الشّاعر في تعبيره عن الموضوع؛ لأنّه ينمّي الرؤيا الشّعرية، بالاعتماد أيضا على التاريخ كمصدر لبناء هذه الرّموز وتوظيفها في القصيدة، ويكون حضور الشّخصيّات السيّاسيّة بأبعادها المختلفة شاملا غير مفصّل بهدف تكثيف الإيحاء.

- إنّ الشخصيّات السيّاسية الثلاث (بوعمامة، ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة) هي شخصيّات شعبيّة معروفة عند جميع أفراد المجتمع الجزائريّ، وذكرها في القصائد الشّعبيّة تعبير عميق وكبير عن أصالة المجتمع الشّعبيّ، لا

يقتصر مفهومها على الوظيفة الاجتماعيّة؛ بل تجاوز ذلك إلى مفاهيم ودلالات رمزيّة، لا يستوعبها إلاّ من عاش أطوار حياة الشّعب باختلاف طبقاته. فهذه الشّخصيّات رسمت لنفسها رموزا تراثية واقعة في أعماق المجتمع، استغلها الشّاعر الشّعبيّ ليؤكد موقفه ضدّ الأوضاع الاجتماعيّة والثّقافيّة والسيّاسيّة...

نأمل في ختام هذا البحث أن نكون قد وفّقنا في الإجابة عن الإشكاليات التّي طرحت في المقدمة والخاصة بمصطلح التمثّلات في الشّعر الشّعبيّ، كما نكون قد ألممنا بجوانب الموضوع؛ لأنّنا لا يمكن أنّ نقول إنّنا وُفقنا وبلغنا الغاية، فالبحث دائما يكون ناقصا رغم الإيجابيات؛ لأنّ الشّعر الشّعبيّ وموضوع التّمثّلات يفتحان المجال للدّراسة والتنقيب، ولهذا لا يبقى لنا إلاّ أنّ نشجع الباحثين المقبلين على البحث في مثل هذه الموضوعات التّي تبقى الدّراسة فيها ناقصة تحتاج إلى مجهود أكبر.

ملـــــحق الأشعـــــار

الجزائر تبقى رغم الخصوم

أعمال الملتقى الوطني حول: مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية.

أحمد بوزيان

تيارت: 13-14 أكتوبر2002

هَـــذَا يُـــومْ فْـــرَاحْ لَعْـــرُوسْ الّهِضَـــابْ * مَبْـــرُوكْ ذَا الّمَلّقَـــى ومَحْلاَهَـــا سَـــاعَهْ

ثْيَـارَتْ فِـي ذَا الّيُـومْ فَتْحَـتْ لَـكْ لَبْـوَابْ * قَالَـــتْ لَـــكْ لْبِيـــكْ بَالسَـــمْعْ وَطَاعَـــهْ

غَيْـثْ الرَحْمَـةْ زَارْهَـا مَـنْ بَعْـدْ غْيَـابْ * بُوتَفْلِيقَـــةْ صَـــاحَبْ الّجَـــاهْ وَرَفْعَـــهْ

بُوتَفْلِيقَـــةْ مَـــنْ الحْسَـــدْ ضَـــمْنُوهْ قْطَـــابْ * وَمْجَـــادَبْ وَغْـــوَاثْ بَرْضَـــاهُمْ يَسْـــعَى

سْـــتَنِينَاهْ شْـــحَالْ خَبْـــرُ وعَنَـــا غَـــابْ * وَالّيُـــومْ مْنِـــينْ جَـــا عْطِينَـــاهْ الّبِيعَـــهْ

ثِقَتْنَـــا فِـــي ثِقَـــةْ الّوَلّـــدْ مْـــعَ الآبْ * وَفْتَحْنَـــالُو الَقْلُـــوبْ مَـــنْ غِيـــرْ خْدِيعَـــةْ

بِيـــهْ خْوَاطَرْنَـــا زْهَـــاتْ عْلَـــى لَعْقَـــابْ * بَارَكْنَـــا مَـــنْ قْلُوبْنَـــا هَـــذَا الّمَسْـــعَى

مَـــنْ عَنَابَـــةْ لّبَاتْنَـــهْ حَتَـــى لَمْـــزَابْ * مَـــنْ تِيـــزِي وَزُو لّمَغْنِيَـــهْ دَفْعَـــهْ

مَالّهُقَـــارْ لّسِـــيرْتَا بَرْبَـــرْ وَعْـــرَابْ * وْمَـــنْ حْـــدُودْ الطَـــارَفْ لّبُوزَرِيعَـــهْ

قْلّنَـــا كَلّمَـــهْ مْوَحْـــدَهْ شَـــايَبْ وْشَـــبَابْ * كُـــلّ اَنْتَخَبْنَـــا عْلِيـــهْ بَقّنَاعَـــهْ

الّمُسْـــؤُولِيَةْ دْخَـــلّ لِيهَـــا مَالّبَـــابْ * دِبْلُومَاسِـــي مَـــنْ قَبْـــلْ عَنْـــدُو سُـــمْعَهْ

وِيـــنْ مْشَـــى يَلْقُـــوهْ بَحْضَـــانْ التَرْحَـــابْ * قِيمَـــةْ عَبْـــدْ الْعَزِيـــزْ دِيمَـــا مَرْفُوعَـــهْ

الطِيـــبْ عْلَـــى اللْسَـــانْ وَحْـــدِيثْ وآدَابْ * وَالْحِكْمَـــةْ مَـــنْ بَعْـــدْ رَايَسْـــنَا بَدْعَـــهْ

هُـــوَ وَالْمَرْحُـــومْ كَـــانُوا عَـــزْ صْـــحَابْ * وَحْنَـــا كُنَـــا عْبَـــادْ فِـــي ذِيـــكْ السَـــاعَةْ

عَبْـــدْ الْعَزِيـــزْ عَـــزُوا بِيـــهْ الوَهَـــابْ * وَخْـــدَلْ بِيـــهْ الَحْسُـــودْ وَنْصَـــارْ الْبَدْعَـــهْ

قَمْـــرُو هَـــلْ الْيُـــومْ بَعْـــدْ سْـــنِينْ غْيَـــابْ * عِشْـــرِينْ سَـــنَةْ كَامْلَـــهْ وَشْـــهَرْ رَبْعَـــهْ

بِيـــهْ زْهَـــاتْ نْفُوسْـــنَا وَحْيَـــاتْ لْبَـــابْ * ذَا النُوبَـــــهْ رَبْ اَسْـــــتَجَبْ لَلـــــدُعَا

بَعْـــدْ أنْ قْلْنـــا مَـــا بْقَـــى لَلْـــوْطَنْ صْـــوَابْ * وَالْخِيـــرْ حْسَـــبْنَاهْ رَاحْ بْـــلاَ رَجْعَـــهْ

حَقَـــقْ لِينَـــا حُلْـــمْ نَحَسْـــبُوهْ سْـــرَابْ * وَحَـــدْ ذَا الأَمَـــةْ وْجَفَـــفَ الدَمْعَـــهْ

وَكْلاَمُـــو لَلشَـــعْبْ وَاضَـــحْ فِـــي الْخِطَـــابْ * فِـــي الْوِحْـــدَهْ مَكَـــانْ شَـــكْ وْلاَ رَجْعَـــهْ

هَـــذَا الَـــوْطَنْ عْلِيـــهْ مَاتَـــتْ كَـــمْ رْقَـــابْ * مُوحَـــــالْ نْخَلْـــــوهْ لَلْغِيـــــرْ وْدِيعَـــــهْ

كَـــانُو فِيـــهْ جْـــدُودْنَا خَـــاوَهْ وَحْبَـــابْ * لِينَـــا وْطَـــنْ فْرِيـــدْ مَـــا هُمْشِـــي تَسْـــعَهْ

كَامَـــلْ ضَـــحَيْنَا عْلِيـــهْ بْغِيـــرْ حْسَـــابْ * وْعَاهَـــدْنَا مَـــا كَـــانْ بِيدِيـــهْ الخَدْعَـــهْ

اَحْنَـــا شَـــعْبْ فَرِيـــدْ عَاهَـــدْنَا مَـــا خَـــابْ * بَالْوِئَـــــامْ نْـــــرَدْ لَلْعِـــــينْ الدَمْعَـــــهْ

يَـــاكْ الـــدَهْرْ اَيَـــامْ وَايَـــامُو تَقْـــلاَبْ * مَكَـــاشْ اللِـــي تْـــدُومْ فِيدِيـــهْ السَـــاعَهْ

يَـــارَايَسْ لَبِيـــكْ وَاللِـــي قُلْـــتْ صْـــوَابْ * ضَـــنْ عْلَـــى رَبِ وْكَمَـــلْ ذَا المَسْـــعَى

هَـــذَا الـــوْطَنْ الله دَارَكْ لِيـــهْ سْـــبَابْ * وَالثَمْـــرَةْ الزِينَـــةْ تْخَلِـــي زَرِيعَـــهْ

بِيـــكْ دْزَايَـــرْ عَزْهَـــا مَالَـــكْ لَرْقَـــابْ * وَحْيَـــا بِيـــكْ الْقْلُـــوبْ مَـــنْ بَعْـــدْ الفَجْعَـــهْ

هَـــلْ هْـــلاَلْ الْحَـــقْ فِيهَـــا بَعْـــدْ سْـــحَابْ * وْكَلَمْتْهَـــا كِـــي زْمَـــانْ رَاهَـــا مَسْـــمُوعَهْ

ضَـــنْ الشَـــهْدَا مْعَـــاكْ اَنْـــتَ مَـــا خَـــابْ * وْعَهْـــدْ الثَـــوْرَةْ عَهْـــدْ مَـــا فِـــيهْشْ رَجْعَـــهْ

أَهْـــلاً بِيـــكْ الْيُـــومْ فِـــي قَلْعَـــةْ لَنْسَـــابْ * مَـــنْ فْجَـــرْ التَـــارِيخْ مَـــذْكُورَةْ قَلْعَـــهْ

وحي الوئام

أحمد بوزيان

أثناء التحضير لاستقبال فخامة رئيس الجمهورية في شهر أكتوبر2002، حرص المبرمجون عند اختيار أسماء شعراء على ألا أكون فيها، وأثناء مجالستي لأعضاء المجلس الأعلى للغة العربية أسبوعا قبل موعد الزيادة وبإيحاء من السيد ساحي نور الدين مدير الثقافة للولاية على أنني الأشعر والأقدر، وما كان منهم إلا أن يطلعوا على ما كتبت وإذا بشيطان الشعر يزورني ليلا ويلهمني هذه القصيدة، ولما اطلع عليا معالي رئيس المجلس الأعلى للغة العربية برمجوها دون سواها.

هَـــذَا يُـــومْ أَفْـــرَاحْ لَعْـــرُوسْ اَلْهِضَـــابْ * مَـــاأَبْرَكْ ذَا اللَّقَـــاءْ ومَاأَحْلاَهَـــا سَـــاعَهْ

ثْيَـارَتْ هَـذَا اَلْيُـومْ فَتْحَـتْ لَـكْ اَلأَبْـوَابْ * قَالَـــتْ لَـــكْ لَبِّيـــكْ بَالسَّـــمْعْ وَطَاعَـــهْ

غَيْـثْ الرَّحْمَـة زَارْهَـا مَـنْ بَعْـدْ غْيَـابْ * بُوتَفْلِيقَـــةْ صَـــاحَبْ اَلْجَـــاهْ وْرِفْعَـــهْ

بُوتَفْلِيقَـــة مْـــنَ الْحْسَـــدْ ضَـــمْنُوهْ أَقْطَـــابْ * وَمْجَـــادَبْ وَأَغْـــوَاثْ بَرْضَـــاهُمْ يَسْـــعَى

سْـــتَتَّيْنَاهْ شْـــحَالْ خَبْـــرُهْ عَنَّـــا غَـــابْ * وَالْيُـــومْ مْنِـــينْ جَـــاء أَعْطِينَـــاهْ اَلْبَيْعَـــهْ

كِمَـــا بَايَعْنَـــا زْمَـــانْ أَشْـــرَافْ أَنْسَـــابْ * إِبْـــنُ رُسْـــتُمْ دَارْ لَتْيَـــارَتْ شِـــيعَةْ

وَابْـــنُ خَلْـــدُونْ لَـــبَسْ لْهَـــا حُسْـــنْ ثِيَـــابْ * زَخْرَفْهَـــا بَـــالْعِلْمْ وَأَعْطَاهَـــا ُدفْعَـــةْ

عَبْـــدْ الْقَـــادْرْ مَـــا خْفَـــى طَيْـــرُه جَـــوَّابْ * أَمِيـــرْ الشَّـــجْعَانْ دَارْ هْنَـــا قَلْعَـــةْ

هَـــذَا الْيُـــومْ تِيَـــارَتْ وْفَـــاتْ النِّصَـــابْ * بُوتَفْلِيقَـــة زَادْهَـــا شَـــانْ وْرِفْعَـــة

هَـــذُوهُمْ أَرْكَانْهَـــا وَالْقَـــوْلْ صْـــوَابْ * وْأَرْكَـــانْ البُنْيَـــانْ فِـــي اَلْـــدُنْيَا رَبْعَـــةْ

بِـــهْ خْوَاطَرْنَـــا زْهَـــاتْ عْلَـــى الأعَقَـــابْ * بَارَكْنَـــا مَـــنْ قْلُوبْنَـــا هَـــذَا اَلْمَسْـــعَى

ثِقَتْنَـــا فِيـــهّ ثِقَـــةْ اَلْوَلْـــدْ مْـــعَ الأَبْ * وَفْتَحْنَـــا لَـــهْ اَلْقْلُـــوبْ مَـــنْ غِيـــرْ خْدِيعَـــة

مَـــنْ عَنَّابَـــة لّبَاتْنَـــه حَتَّـــى لَمْـــزَابْ * مَـــنْ تِيـــزِي وَزُو لّمَغْنِيَـــه دُفْعَـــه

مَـــنْ تِيهَـــرْتْ لّسِـــيرْتَا بَرْبَـــرْ وْأعْـــرَابْ * مَـــنْ حُـــدُودْ اَلطّـــارَفْ لّبُوزَرِيعَـــه

قْلْنَـــا كَلّمَـــه مْوَحْـــدَه شَـــايَبْ وْشَـــبَابْ * كُـــلْ أنْتَخَبْنَـــا عْلِيـــهْ بْقَنَاعَـــهْ

اَلْمَسْـــؤُولِيَة دْخَلّهَـــا مَـــنْ الأبْـــوَابْ * دِبْلُومَاسِـــي مَـــنْ قْبَـــلْ عَنْـــدُه سُـــمْعَه

وِيـــنْ مْشَـــى يَلّقُـــوهْ بَأحْضَـــانْ التَّرْحَـــابْ * قِيمَـــةْ عَبْـــدْ العْزِيـــزْ دِيمَـــا مَرْفُوعَـــه

يَـــامَسْ ذَا الْقِيمَـــة نْظَرْنَاهَـــا بَاهْـــدَابْ * شُـــفْنَاهَا فِـــي إِسْـــبَانْيَا ذِيـــكْ الرِّفْعَـــة

فَتْحَـــتْ لِـــهْ أبْوَابْهَـــا مَـــنْ غِيـــرْ حْجَـــابْ * مِثّـــلْ اسْـــلاَفُه أعْطَـــاتْ لَـــه كُـــلْ الطّاعَـــة

هَـذَا يُـومْ عْظِـيمْ مَـا هُـو يُـومض عْتَـابْ * بُوتَفْلِيقَـــة يْزِيـــدْ لَلّخَـــاطَرْ مُتْعَـــة

رَايَسْـــنَا مُحَـــالْ كِـــي مِثّلْـــهْ يَنْصَـــابْ * فِيـــهْ خْصَـــالْ الأبْطَـــالْ كَامَـــلْ مُجْتَمْعَـــة

الطّيـــبْ عْلَـــى اللّسَـــانْ وَحْدِيثْـــه آدَابْ * وَاَلْخَصْـــلَةْ مَـــنْ بَعْـــدْ رَايَسْـــنَا بِدْعَـــه

هُـــوَ وَالمَرْحُـــومْ كَـــانُوا عَـــزْ أُصْـــحَابْ * وَحْنَـــا كُنَّـــا عْبَـــاّد فِـــي ذِيـــكْ السَّـــاعَة

عَبْـــدْ اَلْعَزِيـــزْ عَزْنَـــا بِـــهْ اَلْوَهَّـــابْ * وَخْـــذَلْ بِـــهْ اَلْحْسُـــودْ وَأَنْصَـــارْ اَلْخَدْعَـــه

قَمْـــرُه هَـــلْ اَلْيُـــومْ بَعْـــدْ سْـــنِينْ غْيَـــابْ * عِشْـــرِينْ سْـــنَةْ كَامْلَـــة وَأشْـــهُرْ رَبْعَـــه

بِـــهْ زْهَـــاتْ نْفُوسْـــنَا وَحْيَـــاتْ أَلْبَـــابْ * ذَا النَّوبَـــة رَبِّـــي اَسْـــتَجَبْ لَلـــدُّعَاءْ

بَعْـد أنْ قْلْنَـا مَـا بْقَـى لَلْـوَطَنْ صْـوَابْ * وَالْخِيـــرْ حْسَـــبْنَاهْ رَاحْ بْـــلاَ رَجْعَـــة

كْلاَمُـــه لَلشَّـــعْبْ وَاضَـــحْ فِـــي الْخِطَـــابْ * فِـــي اَلْوِحْـــدَة مَـــا كَـــانْ شَـــكْ وْلاَ صَـــنْعَة

هَـذَا الـوَطْن شْـتَى فْنَـاتْ عْلِيـهْ رْقَـابْ * كِيفَـــــاهْ نْخَّلْـــــوه لَلْغِيـــــرْ وْدِيعَـــــة

كَامَـــلْ ضَـــحِّينَا عْلِيـــه بْغِيـــرْ حْسَـــابْ * ثَوْرَتْنَـــا مُحَـــالْ مَـــا فِيهَـــا خَدعَـــة

يَـــاكْ أحْنَـــا ثُـــوَّارْ مَـــا كُنَّـــا إرْهَـــابْ * يَـــدْ الْغَـــدْرَةْ مَـــا تْفَـــرَّقْ جَمَاعَـــة

أَحْنَـــا شَـــعْبْ عْظِـــيمْ وَالْعَاهَـــدْ مَـــا خَـــابْ * بَأمْجَـــادُه مَعْـــرُوفْ مَـــا عَنْـــدُه نَزْعَـــة

عُمْـــرُه وَلاَ كَـــانْ فِـــي عَهْـــدُه كَـــذَّابْ * عَنْـــدُه نِيـــفْ عْلَـــى الـــوْطَنْ دِيمَـــا يَسْـــعَى

كِـــي يَـــامَسْ كِـــالْيُومْ كُـــلْ النَـــاسْ حْبَـــابْ * بَالْوِئَـــــامْ نْـــــرُدْ لَـــــبْلاَدِي سُـــــمْعَة

يَـــارَايَسْ لَبَّيْـــكْ وَاللِّـــي قْلْـــتَ صْـــوَابْ * رَبِّـــي رَاهْ مْعَـــاكْ فِـــي هَـــذَا اَلْمَسْـــعَى

هَـــذَا اَلْـــوْطَنْ الله دَارَاكْ لَـــهْ أسْـــبَابْ * وَالثَّمْـــرَة الزِّينَـــة تْخَلِّـــي زَرِيعَـــة

عنوان المجد

وحي الوئام (ديوان شعر شعبي مقروء ومسموع)، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثّقافيّ

أحمد بوزيان

تيارت: في جانفي 2004

هذه القصيدة ألقيت أمام فخامة رئيس الجمهورية بتيارت بعد جولته الخارجية لإعادة غسل وجه الجزائر في العواصم الدولية. وقد أشرق وجه الجزائر به من جديد... وقد أثارت إعجابه ورق لها وهش واغرورقت عيناه بالدموع إثر ذكري لوالدته فأثرت فيه أيما تأثير...

يَـــا رَمْـــزْ الْعِـــزَّة وْيَـــا صِـــفَةْ الأمْـــلاَكْ * لِـــكْ أشْـــتَقْنَا وْشَـــوْقَنَا فَـــاتْ المَعْقُـــولْ

يَـــا عُنْـــوَانْ الْمَجْـــدْ مَـــا أبْرَكْنَـــا بَلْقَـــاكْ * يَـــا طَلْعَـــة تَعْشِـــي عْلَـــى الْبَـــدْر الْمَكْمُـــولْ

يَـــا عَزِيـــزْ تْعَـــزَّتْ الأمَّـــة بَضْـــيَاكْ * لْحْـــتْ بْنُـــورَكْ عَمْهَـــا صَـــحْرَاء وَتْلُـــولْ

فَرْحَـــتْ بِـــكْ قْلُوبْنَـــا هَتْفَـــتْ بَشْـــنَاكْ * وَتْهَنَّـــــاتْ بْطَلْتَـــــكْ رُوحْ الْمَعْلُـــــولْ

بَكْـــــرَ بْـُن حَمَّـــــادْ رَاهُ يَسْـــــتَنَّاكْ * وَأهْـــلَ الْبَـــارُودْ سَـــرْجُوا لِلزَّهْـــو خْيُـــولْ

أفْلَـــــحْ الإمَـــــامْ بَـــــأوْلاَدُه وَصَّـــــاكْ * فِيـــكَ تْوَسَّـــمْ خَيْـــرْ يَـــا وَلْـــد الأصُـــولْ

ابْـــنُ خَلْـــدُونْ رَاهْ فِـــي ذَا الْيُـــوم دْعَـــاكْ * يَتْرَقَـــبْ فَـــي زْيَارْتَـــكْ حُضْـــنُه مَحْلُـــولْ

وَمْعَاشِـــــي بَأنْغَـــــامْ يَتْـــــرَنَّم بَهْـــــوَاكْ * وَأنْغَامُـــــه مُحَـــــالْ لاَ تَفْنَـــــى وَتْـــــزُولْ

وَقْـــلاَعْ الأمِيـــرْ كَامَـــلْ تَحْـــتَ حْمَـــاكْ * وَتْيَـــارَتْ وَرْجَالْهَـــا وَجْبَـــالْ قَـــزُولْ

الشّـــعْبْ بَلَهْفَـــة أحْضَـــانَهْ تَتْمَنَـــاكْ * طَـــوَّلْ يَسْـــتَنَى وْدَارْ عْلِيـــهْ اَلْحَـــوْلْ

عَاهَـــدْنَا مَـــازَالْ كِـــي مَـــا عَاهَـــدْنَاكْ * وَأَحْفَـــاذْ الأَمِيـــرْ مَـــا تَعْـــرَفْشْ الـــرُّولْ

بَالنِّيَـــة وَالصِّـــدْقْ بَارَكْنَـــا مَسْـــعَاكْ * عُمْـــرْ النِّيَـــة الصَّـــافِيَة لاَ كَـــانْ تْحُـــولْ

بُوتَفْلِيقَـــة عْيُـــونْ ذَا الأَمَّـــة تَرْعَـــاكْ * يَـا مَـنْ صُـنْتْ أَمْجَادْهَـا فِـي وَقْـتْ الهُـولْ

أَنْـتَ زْرَعْـتْ الْـوَرْدْ فِـي قَفْـرَةْ الأَشْـوَاكْ * بِـــكْ تْبَسَّـــمْ خَـــدْ بَالدَّمْعَـــةْ مَبْلَـــولْ

أَنْـــتَ طَعْـــتْ أَمِيمْتَـــكْ سَـــعْدَكْ وَهْنَـــاكْ * رْعَاتَـــكْ بَحْنَـــانْ وَرْضَـــاهَا مَبْـــذُولْ

قَـــرَتْ بِـــكْ عْيُونْهَـــا وْالْقَلْـــبْ غَشَـــاكْ * وَاللهْ بِهَـــا مَـــا تْخَـــافْ مْـــنَ الْمَجْهُـــولْ

وِيـــنْ مْشِـــيتْ بْشِـــيعْتَكْ نَـــوَّرْتْ سْـــمَاكْ * وَالْعَـــالَمْ فِـــي صَـــوَّلْتَكْ بَـــاقِي مَـــذْهُولْ

بَيْـــرُوتْ وْزِينْهَـــا عْلِيهَـــا لاَحْ ضْـــيَاكْ * زَخْرَفْـــتْ مْنَـــابَرْ الشّـــنَاء بَفْصِـــيحْ الْقَـــولْ

مُولاَنَـــا فِـــي كُورْيَـــا بَالسَّـــرْ كْسَـــاكْ * كَامَـــلْ شَـــاهَدْنَا مْقَامْـــكْ فِـــي سِـــيُولْ

جَامِعَـــةْ صُـــرْبُونْ تَشْـــهَدْ لَـــكْ بَنْهَـــاكْ * بِـــكْ بْقَـــى نِبْرَاسْـــنَا فِيهَـــا مَشْـــعُولْ

رَبْ الْعِـــزَّةْ عَزْنَـــا لَلْـــوَطَنِ أَهْـــدَاكْ * بَالْحِكْمَـــةْ وَصْـــوَابْ وَالـــرَّايْ الْمَعْـــدُولْ

رَبِّـــي يَنْصُـــرْ رَايْتَـــكْ وَيْـــذَلْ أَعْـــدَاكْ * وَجْمِيـــعْ اللِّـــي كَارْهَـــكْ يَرْجَـــعْ مَخْـــذُولْ

تْبَـــرَدْ عَـــدْيَانْ اَلْـــوَطَنْ هَـــذَاكْ وْذَاكْ * مَـــنْ جَـــاوْا يْزَاحْمُـــوكْ مَخْصُوصِـــينْ عْقُـــولْ

خْصُـــومَكْ يَـــا حْبِيبْنَـــا مَـــا هُمْـــشْ لّـــدَاكْ * يُـــومْ الّحَسْـــمْ يْبَـــيَّنْ السِّـــيفْ المَسْـــلُولْ

يَـــا عَبْـــدْ الّعَزِيـــزْ سِـــيرْ عْلَـــى مَرْضَـــاكْ * مَـــا دَامْ الشَّـــعْبْ فَـــي أكْتَافَـــكْ صُـــلْ وْجُـــلْ

يَـــا رَايَـــسْ رَسِّـــي الّجَبْهَـــة فِـــي مَرْسَـــاكْ * لاَ تَهْـــدَاهَا تَايْهَـــة فِـــي فُـــمْ الّغُـــولْ

لاَ تَهْـــدَاهَا لّنَـــاسْ عَاشُـــوا هَـــاكْ وْهَـــاكْ * وَاللّـــي عَنْـــدَهْ شَـــكْ فَـــي الّجَبْهَـــة مَهْبُـــولْ

اَلّجَبْهَـــة مَوْرُوثْنَـــا مَـــا هِـــيشْ (لّجَـــاكْ) * بَحْـــرُوفْ مْـــنَ الـــدَّمْ كَتْبُوهَـــا فُحُـــولْ

بُوتَفْلِيقَـــة قَصَـــايْدِي وَالـــرُّوحْ فْـــدَاكْ * وَالله غَيْـــرَكْ مَـــا تْـــوَدَّدْتْ لِمَسْـــؤُولْ

أنَـــا شَـــاعَرْ لِلّـــوَطَنْ مَـــانِي بَعْكَـــاكْ * وَرْفَـدْتْ مْـعَ ذَا الّـوَطَنْ فَـي الصَّـبْرْ حْمُـولْ

مَـــا صَـــلّيتْ الشَّـــكْ مَـــا نَعَـــرَفْ بَـــالاَكْ * وَجْـــوَادِي نَبْغِيـــهْ فِـــي شَـــاو الّمَرْحُـــولْ

غَيْـــرْ تَهْنَّـــى الّشَـــعْبْ هُـــوَ مَـــنْ وَلاّكْ * وَتْبَـــرَّا ذَا زْمَـــانْ مَـــنْ خَلّفَـــهْ دِيغُـــولْ

ظَـــنَّ عْلَـــى رَبِّـــي وْرَانَـــا كُـــلْ مْعَـــاكْ * وَاللّـــي قَـــلَّ حْيَـــاهْ خَلّينَـــاهْ يْقُـــولْ

طَـــلْ عْلِينَـــا بْطّلّتَـــكْ مَـــا مَلّينَـــاكْ * يَـــا مَـــا أحْلاَهَـــا طَلّتَـــكْ لَـــو كَـــانْ تْطُـــولْ

طَـــلْ عْلِينَـــا بْطّلّتَـــكْ مَـــا مَلّينَـــاكْ * يَـــا مَـــا أحْلاَهَـــا طَلّتَـــكْ فِـــي بَـــرَّ قْـــزُولْ

أنْـــتَ رَايَسْـــنَا وْمَـــا نَرْضُـــوا سِـــوَاكْ * حَتَّـــى وَلَـــوْ كَـــانْ مَـــنْ نَسْـــلَ الّبَـــاتُولْ

وقفة مع التاريخ

أحمد بوزيان

قبل أن يركب الناس قطار الحملة الانتخابية تبنيناها صدقا وإيمانا بان الرجل يحمل في قلبه مشروع أمة، فكانت هذه القصيدة نداء إلى ضمير الأمة ألا تختار إلا العزيز رئيسا وأبا للوطن، إذ جربنا الأحزان والآلام وعجز السابقين عن معالجة الوضع، ما فتئت أعتقد أن الأجدر والأقدر على التكفل بإنجاز المشروع الوطني هو عبد العزيز بوتفليقة، وقد أثبتت الأيام صحة ما توسمته فيه.

وقد بادرت بتسجيل هذه القصيدة في شريط سمعي على حسابي الخاص لتكون فيما بعد-من حيث لا أدري- في كل أرجاء الوطن تدوي دعما لفخامة الرئيس في حملته الانتخابية.

يَـــا شَـــعْبْ تْكَاكَـــا وْمَيَزْمَـــا تَخْتَـــارْ * قَـــرَرْ يَـــا مَـــنْ رَاهْ بِـــدِيكْ الْمَصِـــيرْ

كَـــانْ نْسِـــيتْ نْفَكْـــرَكْ مَـــا فَـــاتْ وْصَـــارْ * هَـــذَا الْوَقْفَـــةْ يْحَقْهَـــا سَـــنَةْ تَـــدْبِيرْ

أَنْـــتَ مَـــنْ بَايَعْـــتْ فِـــي شَـــا والمَسَـــارْ * وَأَنْـــتَ اللِـــي مَلِيـــتْ مَـــنْ سُـــوءْ التَسْـــيِيرْ

خَيَـــرْ بِـــينْ اثْنِـــينْ يَـــا جَنَـــةْ يَـــا نَـــارْ * وَأصْـــلَحْ ذَاتْ الْبِـــينْ وَأعْـــرَفْ وَاشْ تْـــدِيرْ

هَـــذِي يَـــدْ الْعَـــوْنْ مَمْـــدُودَةْ بَجْهَـــارْ * شَـــدْ الْيَـــدْ اللِـــي تْمَـــدَتْ لَـــكْ بَـــالْخِيرْ

هَـــذَا عَبْـــدْ الْعْزِيـــزْ عَـــدَالْ الْمُشْـــوَارْ * مَـــنْ شَـــهْدَتْ بَخْصَـــايْلَهْ حَـــرْبْ التَحْرِيـــرْ

هَـــذَا ثَـــوْرِي وِجَـــايْ مَـــنْ صُـــلّبْ الثَـــوَارْ * وَابْـــنْ الثَـــوْرَةْ عْلَـــى الَـــوْطَنْ مَعْلُـــومْ يْغِيـــرْ

هَـــذَا جَابَـــهْ نِيـــفْ مَـــا هُوشِـــي سَمْسَـــارْ * وَتْقَلَـــدْ مَرْكُوبْهَـــا وَالظَـــرْفْ عْسِـــيرْ

هَـــذَا مَـــنْ عْمَـــدْ الّـــبْلاَء وَرْكَـــبْ الأُوْعَـــارْ * قَـــالْ بْـــلاَدِي نْشِـــيلّهَا مَـــنْ قَـــاعْ الّبِيـــرْ

هَـــذَا مَـــنْ بِـــهْ اَلّـــوْطَنْ شَعْشَـــعْ بْـــأَنْوَارْ * وْلَـــبَسْ حُلّـــةْ فَـــاخْرَةْ سُـــنْدُسْ وَحْرِيـــرْ

هَـــذَا مَـــنْ بِـــهْ السْـــمَاء جَـــادَتْ بَأَمْطَـــارْ * غَيْـــثْ الرَحْمَـــةْ جَـــاء مْـــعَ نَفّحَـــةْ يَبْرِيـــرْ

هَبَـــتْ نَسْـــمَة عْلَـــى الَـــوْطَنْ وَالّعُشْـــبْ خْضَـــارْ * وَصْـــفَا مَاهَـــا زْلاَلْ بَعْـــدْ أَنْ كَـــانْ غْـــدِيرْ

رَجْعَـــتْ سُـــمْعَةْ لَـــوْطَنْ مَـــا بِـــينْ أَقْطَـــارْ * وَرْجَـــعْ عَـــزْ بْلاَدْنَـــا فِـــي ظَـــرْفْ قّصِـــيرْ

بَعْـــدْ أَنْ كُنَـــا لْ ْلّعْرُوبَـــةْ وَصْـــمَةْ عَـــارْ * رَانَـــا شَـــاوْ الرَكْـــبْ وَالّقُومَـــانْ تْسِـــيرْ

غَمْـــدَتْ بِـــهْ جْـــرَاحْ كَانَـــتْ تَنْـــزَفْ نَـــارْ * وَطّفَـــى حَـــرْ لّهِيبْهَـــا مَـــنْ بَعْـــدْ زْهِيـــرْ

بُوتَفْلِيقَـــــة عْنَايَـــــةْ الشَـــــعْبْ المُحْتَـــــارْ * كِـــي يَحْضَـــرْ هُـــوَ الشَـــعْبْ عْـــلاَهْ يْحِيـــرْ

بُوتُفْلِيقَـــــةْ سَـــــاقْتَهْ لِنَـــــا الأَقْـــــدَارْ * وَهْبَـــــة لَلأُمَـــــةْ مَـــــنْ الّحَـــــيْ الّقَـــــدِيرْ

لُومَـــا عَبْـــدْ العْزِيـــزْ مَـــا كَـــانْ اِسْـــتِقْرَارْ * مَـــا قَـــرَتْ عَـــيْنَ الـــوْطَنْ مَـــا جَـــاءْ تَغْيِيـــرْ

يَـــا شَـــعْبْ وْصَـــايْتِي اَحْفَظّهَـــا لَتَـــذّكَارْ * بُوتَفْلِيقَـــةْ يْكُـــونْ لَـــكْ مَفْتَـــاحْ الّخِيـــرْ

مَيَـــزْ بِـــينْ الّيُـــومْ وَالّبَـــارَحْ وَأَخْتَـــارْ * مَـــنْ دُونْ الّعَزِيـــزْ مَـــا تَرْضَـــى بَـــالّغِيرْ

أَمَانَـــــةْ الأَجْيَـــــالْ مَـــــا هِـــــيَ لَتُجَـــــارْ * غِـــي قُلْـــتْ نْكَاكِيـــكْ لاَ عَنْـــدَكْ ضَـــمِيرْ

آخَـــــرْ كَلْمَـــــة نْقُولْهَـــــا لَـــــكْ بَاخْتِصَـــــارْ * هَـــذَا الْعُهْـــدَةْ أَدَايْهَـــا وَالـــرَبْ كْبِيـــرْ

11سبتمبر 2003

ابن باديس

عمر موسى

اَتْفَكَـــــرْ يَـــــا جِيـــــلْ رَايَـــــدْ نَهْضَـــــتْنَا * وْعَنُـــو رَحَـــمْ فِـــي أَنْهَـــارْ أَنْ فَارَقْنَـــاهْ

إِمَـــــامْ الإِصْـــــلاَحْ حَصَـــــنْ أَمَتْنَـــــا * بَالْعَمَـــلْ وَالإِيمَـــانْ دَرْسُـــو مَـــا نَنْسَـــاهْ

بَـــــنْ بَـــــادِيسْ شُـــــعَاعْ فِـــــي مَدَارِسْـــــنَا * خَصَصْـــــنَا لُـــــو يُـــــومْ فِيـــــهْ اَتْكَرْنَـــــاهْ

ذَاكْ اَنْهَـــــــارْ الْعَمَـــــــلْ بِيـــــــهْ اَحْتَفَلْنَـــــــا * سَـــــتَاعَشْ أَفْرِيـــــلْ عَنُـــــو سَـــــمَيْنَاهْ

فِـــــي شِـــــعْرُو نَلْقَـــــاوْ شَـــــجْرَةْ نَسْـــــبَتْنَا * وَالّلِـــــي عَنْهَـــــا حَـــــادْ رَأيُـــــو كَـــــذَبْنَاهْ

سِـــــي عَبْـــــدْ الْحَمِيـــــدْ هَاكْـــــذَ عَلَمْنَـــــا * لَحْيَـــــاةْ سْـــــلاَحْ مَـــــنْ قَوْلُـــــو جَبْنَـــــاهْ

وْمَـــــنْ كُـــــلْ الخْطُـــــوبْ يَاسَـــــرْ حَـــــذَرْنَا * لَلْعَـــــدْيَانْ السَـــــمْ بَالنَـــــارْ أمْزَجْنَـــــاهْ

وْمَـــــنْ شَـــــرْ الْمُحْتَـــــلْ حَصَـــــنْ لْغَتْنَـــــا * وْمَـــــنْ كَيْـــــدْ التَنْصِـــــيرْ لَكْتَـــــابْ اَحْفَظْنَـــــاهْ

الشَـــــــبَابْ عَلِيـــــــهْ نَبْنِـــــــي أمَلْنَـــــــا * إِذَا كَـــــانْ أحْنَـــــا بْحِكْمَـــــةْ عَلَمْنَـــــاهْ

وَأنْوَرِيـــــــهْ أَمْجَـــــادْ فِيهَـــــا عَزَتْنَـــــا * وْبَالمُقَوِمَـــــاتْ عَقْلُـــــو سَـــــلَحْنَاهْ

وَاللِـــــي بَالْحُـــــبْ زَايَـــــرْ قَاصَـــــدْنَا * بَـــــالْكَرَمْ وَالْجُـــــودْ رَانَـــــا وَدِينَـــــاهْ

الظَـــــالَمْ مَـــــنْ جَـــــا وْقَصْـــــدُوا يَخْـــــذَلْنَا * وْجَـــــدْنَا لُـــــو كُـــــلْ آفَـــــةْ حَارَبْنَـــــاهْ

وْإِذَا مُـــــتْ يْقُـــــولْ لِـــــيكُمْ صَـــــيْحَتْنَا * اَلْجَزَائَـــــرْ لَلْعَـــــرَبْ وْطَـــــنْ اَنْسَـــــبْنَاهْ

عَلَمْنَـــــا خِصَـــــالْ عَنْهَـــــا وَصَـــــانَا * وْبِهَـــــا كَـــــانْ يْحَـــــثْ وْعَنْهَـــــا عَاهَـــــدْنَاهْ

اَرْحَـــــمْ ذَا لإِمَـــــامْ وَأقْبَـــــلْ دَعْوَتْنَـــــا * غُفْرَانَـــــكْ يَـــــا حَـــــيْ عَبْـــــدَكْ يَتْرَجَـــــاهْ

يَحْيَـــــا وَطَنِـــــي فِيـــــهْ تَكْمَـــــلْ فَرْحَتْنَـــــا * عُرُوبَـــــةْ وْإِسْـــــلاَمْ شِـــــعَارْ اَرْفَعْنَـــــاهْ

قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

✓ **القرآن الكريم**(رواية ورش)

✓ **المعاجم العربية:**

1- ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، الجزء13، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م.

2- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الجزء 5، طبعة اتحاد الكتاب العرب، 2002م.

3- أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، الجزء8،(د. ط)،(د. ت).

4- لاروس، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، بيروت،1991م.

5- محمد بن محمد أبو الفيض الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، (د. ط)، (د. ت).

✓ **الدواوين:**

6 – ابن السّايح الخثّير ،الدّيوان المثّير ، جمعه ودونه إبراهيم شعيب، مطبعة رويغي، الأغواط، ط1، 2006م.

7– د. أحمد الأمين، من فحول الشعراء في سيدي خالد بسكرة، دار السّبيل للنشر والتوزيع،الجزائر، 2008م.

8- أحمد بوزيان، وحي الوئام (ديوان شعر شعبي مقروء ومسموع)، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثّقافيّ،الجزائر،ط2، 2009م.

9- أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف المجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، (د.ت).

10– بن رامي مسعود، الكنّز المغمور في الشّعر الملحون،قصر الكتاب،البليدة، الجزائر، 1999م.

11- توفيق ومان، في الشعر الشعبي المعاصر، الرابطة الوطنية للشّعر الشعبي، 2007م.

12– حويلي مزروع، ديوان شعر الشّعبيّ (قوافي ودموع)، دار الفجر، الجزائر، 2011م.

13– عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون في الشّعر الملحون، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1996م.

14- شوشة جلول ، ديوان نزهة العقول، جمع و تدوين إبراهيم شعيب ، خزانة التّراث، الجزائر،ط1، 2009م.

✓ **المراجع العربية:**

15- د.إبراهيم السامرائي، لغة الشّعر بيّن جيليّن، دار الثّقافة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

16- ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، المجلد2، 1984م.

17– د. أحمد بن نعمان، هذي هيّ الثّقافة، شركة دار الأمّة للطّباعة والتّرجمة والنّشر والتّوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 1996م.

18- أحمد دوغان، شخصيات من الأدب الجزائريّ المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د. ط)، 1989م.

19– د. أحمد شرفي الرّفاعيّ، الشّعر الوّطني الجزائريّ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010م.

20- أحمد قوراية، عبد العزيز بوتفليقة، (بين الموهّبة والقيّادة) رجل الأقدار وزعيم المصالحة الوطنيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2005م.

21- أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4، 1987م.

22- أحمد نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتروبولوجية النّفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

23– إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق... والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)، المجلس الأعلى للثّقافة، دار الكتب المصرية، مصر، 2001م.

24- آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.

25– بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثّورة، دار النفائس، بيروت، ط2، 1983م.

26– التّلي بن الشّيخ، دراسات في الأدب الشّعبيّ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(د. ط)، 1983م.

27– د. التلّي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م-1945م)، سحب الطباعة الشّعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

28– التّلي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ الجزائريّ في الثّورة (1830-1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983م.

29- جودة كساب، الخطاب الشّعريّ العربيّ الحديث، المصادر والآليّات، مؤسسة حمّادة للدّراسات الجامعيّة والنّشر والتّوزيع،ط1، 2002م.

30- حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفرابي منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2001م.

31- الزّبير بن رحال،الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889م- 1940 م)، دار الهدى عين مليلة، الجزائر(د. ت).

32- الزّريبي المولود، بدور الإفهام أو شموس الأحلام، على عقائد ابن عاشور الحبر الهمام، المطبعة التونسية، تونس، 1912م.

33- زكي نجيب محمود، قيّم من التّراث، دار الشّروق، مصر، (د.ت).

34- سحر سامي، شعرية النّص الصّوفيّ في الفتوحات المكيّة لمحيّ الدّين بن عربيّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 2005م.

35- شكري محمد عياد، البطل في الأدب والأساطير، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1971م.

36- د. صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائريّ الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1983م.

37– عبد الحميد بورايو بن طاهر، القصص الشّعبي في منطقة بسكرة -دراسة ميدانية-، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.

38- عبد الحميد بورايو بن طاهر، البطل الملحميّ والبطلة الضّحية في الأدب الشّفويّ الجزائريّ، دراسات حول خطاب المروّيات الشّفوية (الأداء، الشّكل، الدّلالة)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1998م.

39- عباس الجراري، الزجل في المغرب – القصيدة-، مطبعة الأمينة، المغرب، ط1، 1970م.

40- عبد الصّمد بلكبير، شعر الملحون الظّاهرة ودلالاتها، جزء الأول، اتصالات سبو، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2010م.

41- عبد الله التطاوي، الصّورة الفنّية في شعر مسلم بن الوليد، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2002م.

42- عبد الله راجع، القصّيدة المغربية المعاصرة (بنية الشّهادة والاستشهاد)، دار قرطبة للطباعة والنّشر والتوزيع، الدّار البيضاء، (د. ط)، 1988م.

43– عبد الله خليفة ركيبي، القصّة الجزائرية القصيرة، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط3، 1977م.

44- د.عبد الله ركيبي، الأوراس في الشّعر العربيّ ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1982م.

45– د. عبد الله ركيبي، الشّعر الدّينيّ الجزائريّ الحديث، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 1981م.

46-د. عبد الله ركيبي، الشّعر الدّينيّ الجزائريّ الحديث(الشعر الديني الصوفي)، الجزء الأول، دار الكتاب العربي،(د. ط)،2009م.

47- عبد المالك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، دراسة مجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

48- عبده بدوي، دراسات في النّص الشّعري الحديث، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، (د. ت).

49- العربي بن عاشور، محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة صدر بدعم وزارة الثقافة، دار الشّروق للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2008م.

50- العربي دحو، بعض النّماذج الوطنية في الشّعر الشّعبي الأوراسي، خلال الثّورة التّحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(د.ت).

51- العربي دحو، الشّعر الشّعبيّ ودورة في الثّورة التّحريرية الكبرى لمنطقة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزء الأول، 1989م.

52- د.عزّ الدّين السيد، التّكرير بين المثير والتّأثير، دار الطّباعة المحمديّة، القّاهرة، ط1، 1398هـ.

53– د. عاطف جودة نصر، الرّمز الشّعري عند الصّوفية، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1978م.

54– علي بولنوار، الشّعر الشّعبيّ في منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

55- علي زيغور، قطاع البطولة والنرجسية في الذّات العربية المستعلى والأكبري في التّراث والتحليل النّفسيّ، دار الطليعة، بيروت،الطبعة الأولى، 1982م.

56- د.علي عبد الرّزاق جلب، دراسات في المجتمع والثّقافة والشّخصية، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، مصر، 1989م.

57- علي عشري زايد، استدعاء الشّخصيّات التّراثيّة في الشّعر العربيّ المعاصر، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2006م.

58- علي لميزي، الخيّال الرّمزي من خواطر علي لميزي، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريّين، الجزائر، ط1، 2009م.

59– عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشّعر العربيّ الحديث، دار المشرق العربيّ، بيروت، ط1، 1985م.

60– د. عمّار الطالبي، أثار ابن باديس، المجلد الأول، تفسير وشرح الأحاديث، ج1، الشّركة الجزائريّة، الجزائر، ط1، 1968م.

61- فوزي حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1984م.

62– محمد زروال، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار بالرويبة، الجزائر، 1994م.

63- د. محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائريّ، تحليل سوسيولوجي لأهمّ مظاهر التغيّير في المجتمع الجزائريّ المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط) (د، ت).

64- د. محمد عبده غانم، شعر الغناء الصنهاجي، دار العودة، بيروت، ط2، 1980م.

65- محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس،ط5، 1967م.

66– د. محمد ناصر، الشّعر الجزائريّ الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنّية (1925- 1975)، دار الغرب الإسلاميّ بيروت، لبنان، 1983 م.

67- محمود هني، الأدب الشعبي مفهومه، مضمونه، دار الأدب العربي للطباعة،1972م.

68- مجدي كامل، الشخصية القوية، طبع ونشر وتوزيع دار الأمين، القاهرة، ط1، 1997م.

69– مارون عبود، الشّعر العاميّ، دار الثّقافة، بيروت، ط1، 1968م.

70– مصطفى السعدني، البنيّات الأسلوبيّة في لغة الشّعر العربيّ الحديثّ، منشأة المعارف، الإسكندرية،(د.ط)،(د.ت).

71- أ.د. مصطفى السيوفي، تصوير الشّخصيات في قصص محمد فريد أبو حديد، الدّار الدّولية للاستثمارات الثّقافية، القاهرة، ط1، 2011م.

72- مصطفى عزام، أهمية التصورات في التكوين الأساسي- للمعلم البصريات نموذجا-، سلك مفتشي التعليم الابتدائي،(د. ط)،1997م.

73- نباحي ملاح، أليات الخطاب النقدي في مقاربة القصة الجزائرية- دراسة في قراءة بالقراءة -، دار الغرب والنّشر، الجزائر، (د.ط)، 2002م.

74- نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثّورية في اللّهب المقدس، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع،الجزائر،2008م.

75- الوناس شعباني، تطور الشّعر الجزائريّ منذ سنة 1945م حتّى نهاية سنة 1980م، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1988م.

76- د. وهيب سمعان، الثّقافة والتّربية - دراسة تاريخية مقارنة -، دار المعارف، مصر، 1961م.

✓ المراجع المترجمة:

77- أرسطو طاليس،الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشّؤون الثّقافية العامّة، بغداد، 1986م.

78- خالد شايب، بوتفليقة الرئيس وحصيلته التّحدي، ترجمة كابويا عبد الرّحمن، دار الحكمة، الجزائر، 2004م.

79– شارل أندري جوليا، تاريخ أفريقيا الشّمالية، تعريب محمد مزالي البّشير بن سلامة، الجزء 2، دار النّشر والتّونسية للنشر، تونس،1983م.

80- فرانك بالمر، مدخل إلى علم الدّلالة، ترجمة د.خالد محمود، جمعة، مكتبة دار العروبة للنّشر والتّوزيع، الكويت، ط1، 1997م.

81- فانسان جوف، الأدب عند رولان بارث ترجمة وتقديم عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004م.

82- قسطنطين زريق، نحن والتاريخ(مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ)، دار العلم للملايين، بيروت،ط3، 1974م.

83- كرستين نصار، الانسان والتاريخ (أثر التاريخ وتأثره بسيكولوجية الفرد) جروس برس، لبنان، ط1، 1991م.

84- كامل محمد عويضة، علم النفس الشخصية، مراجعة أ. د. محمد رجب البيومي، عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1996م.

85- مالك بن النبي، شروط النّهضة، ترجمة كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ندوة مالك ابن النبي، دار الفكر، دمشق،1979م.

المراجع الاجنبية:

86-J. P astolfi et M. develay, la didactique des sciences , PUF , Paris, 1989.

87-l. Benouri et autres, les représentations, C.F.I.E ,sections naturelles,1994.

88-Tahar ahmed,Lapoèsie populaire algèrienne: Rythme , mètre et forme,Alger, SNED,1975.

✓ **المخطوطات:**

89– أحمد قيطون، شعر المختّار بن صدّيق، مخطوط رسالة ماجستير في الثّقافة الشّعبية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2002م.

90- جحيش سهيلة، شعر شهداء الثّورة الربيع بوشامة نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة، الجزائر، 2008م.

91- جمال حمودي، تمثّلات المجتمع الجزائري لمرض السلطان، المركز الاستشفائيّ الجامعيّ لتلمسان نموذجا، مقاربة أنثروبولوجية، مخطوط مذكرة ماجيستر في الأنثروبولوجيا،جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، سنة2007م.

92- سميرة لحمر، شعر أحمد ميمون الشّعبيّ، جمع ودراسة، مخطوط مذكرة ماجستير في الشّعر الشّعبيّ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2008م.

93– سنوسي خبراج، شعر محمد بن عيسى الشّعبيّ (جمع ودراسة)، مخطط مذكرة ماجيستير في الشّعر الشّعبّي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2007م.

94– صلوح بنت مصلح بن سعيد السريجي، الصّورة في شعر الرّثاء الجاهلي، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب العربي القديم، كلية التربية للبنات، جدة، 1998م.

95- الطيب بن دحمان، القصيدة الشعبية عند شعراء قير العبادلة، جمع ودراسة،أحمد كرومي نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،الجزائر،2001م.

96– عبد القادر لصهب، شعر قادة قندوز الشّعبيّ، مخطوط رسالة ماجستير في الشّعر الشّعبيّ، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007م.

97– عبد اللطيف حني، شعر مدني رحمون دراسة فنّية تحليلية، مخطوط مذكرة ماجستير في الأدب الشّعبيّ، كلية الأدب واللّغات، جامعة الجزائر، 2006م.

98- فتيحة ولداي تبنية، شعر محمد بوشتة الشّعبي- جمع ودراسة-، مخطوط مذكرة ماجستير في الثّقافة الشّعبية، جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2007م.

99- لحسن مخلوفي، الصورة الشعرية في النعاليات النبوية بالمغرب- دراسة في المكونات والآليات-، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 2010م.

100- محمد شحادة تيم، مفهوم الأخلاقّ في الشّعر العربيّ في العصّر العباسيّ الأول، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، 1994م.

✓ **المجلات والدوريات:**

101- حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1987م.

102- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد-، سلسلة عالم المعرفة، العدد 240.

103- محمد بودالي، الوئام سنة، أعمال الملتقى الوطنيّ حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائريّ من خلال فنون القول الشّعبيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، تيارت، الجزائر، 2002م.

104- أ. د. محمد سعيدي، تمثّلات الفّكر الشّعبي لشخصية الأمير عبد القادر، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بجامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العدد 11، الجزائر، 2006.

105- موسى نمر، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر،مجلد33،العدد2،كتوبر2004م.

106– معمر حجيج، الهاجس في شعر أحمد معاش، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، (عدد خاص بملتقى شعر الثّورة الجزائريّة)، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، العدد3، نوفمبر 2005م.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان رقم الصفحة
المقدمة ص أ
المدخل: تحديد مصطلحات ص11
1_ المبحث الأول: تعريف التمثلات ص12
أ- المعنى اللغوي ص12
ب- المعنى الاصطلاحي: ص14
✓ الدراسات الديداكتيكية ص14
✓ الدراسات السوسيو لوجية ص15
✓ التعريف التركيبي ص15
ج- خصائص التمثل: ص15
✓ الموضوع ص15
✓ الرّمز ودلالته ص16
✓ التخيّل ص16
2_ المبحث الثاني: تعريف الشعر الشعبي ص17
3- المبحث الثالث: تعريف الشخصية ص24
أ- لغة ص24
ب- اصطلاحا ص25
4- المبحث الرابع: الشخصية والتاريخ ص30
5- المبحث الخامس: الشخصية والثقافة ص32
6- المبحث السادس: الشعر والشخصية ص34
7- المبحث السابع: الشعر والسياسية ص35
8- المبحث الثامن: الثقافة والمجتمع ص36
الفصل الأول: تمثلات الشعر الشعبي لشخصية الشيخ بوعمامة ص39
1_ تمهيد ص40
2_ المبحث الأول: البعد الثقافي والرّوحي ص44
3_ المبحث الثاني: البعد الاجتماعي ص64
4_ المبحث الثالث: البعد السياسي ص75
الفصل الثاني: تمثلات الشعر الشعبي لشخصية ابن باديس ص96
1_ تمهيد ص97
2_ المبحث الأول: البعد الاصلاحي الثقافي والديني ص99
3_ المبحث الثاني: البعد الاصلاحي الاجتماعي ص124

4_ المبحث الثالث: البعد الاصلاحي السياسي ص142
الفصل الثالث: تمثلات الشعر الشعبي لشخصية عبد العزيز بوتفليقة ص155
1_ تمهيد ص156
2_ المبحث الأول: البعد الثقافي الديني ص160
3_: المبحث الثاني: البعد الاصلاحي الاجتماعي ص185
4_ المبحث الثالث: البعد السياسي والاقتصادي ص212
الخاتمة ص222
ملحق الأشعار النادرة ص227
قائمة المصادر والمراجع ص244
فهرس الموضوعات ص260

الملخص باللغة العربية:

إن دراسة الشعر الشعبي باعتباره لونا أدبيا، يساعد على معرفة الواقع الاجتماعي ويكشف عن مختلف العقليات التي نشأت في حضن الثقافة المحلية، فالشاعر يحاول أن يعكس كل التمثلات الفردية والجماعية حول الشخصيات السياسية، التي تركت بصماتها في نفوس الأفراد، مما أدى بالشعب إلى التعلق بها وتمجيدها إلى درجة تقديسها، واعتبارها رمزا من الرموز التي أسست للجزائر هويتها وحافظت على انتمائها الديني والثقافي، بين الشعوب العربية والإسلامية عموما.

رموز العنوان: التمثلات، الشعر الشعبي، الشخصية، السياسة، الثقافة، المجتمع.

Résumé :

l'approche de la poésie populaire en tan que genre littéraire permet de mieux situer la réalité sociale, et de mieux cerner les différentes mentalités au sein de la culture locale. le poète essaye de refléter l'ensemble des valeurs individuelles et collectives qui distinguent les personnages politiques ayant laissés leurs impactes sur les individus. Cependant le peuple n'à cesser d'apprécier et de glorifier ces personnages, et de les considérer comme étant des symboles ayant largement contribué a l'édifice de l'identité algérienne e de même préserver son appartenance religieuse et culturelle parmi les nations arabo-islamique.

Mots clés : Représentation, la poésie populaire, la personnalité, politiques, la culture, sociale.

Summary:

The approach of folk poetry in tan that genre of literature to know better the social reality and to better to understand the different attitudes within the local culture. The poet tries to reflect all individual and collective values about the political figures that left their Hits on the individuals. However, the people did stop to enjoy and glorify these characters, and to consider them as being symbols that largely contribute to the building of an Algerian identity as well preserve their religious and cultural affiliation the among Arab Islamic nations .

Keywords: representation, social folk poetry, personality, policy, culture,social.